

تاريخ نقد العهد القديم

من أقدم العصور حتى العصر الحديث

تحرير: زلمان شارار ترجمة: أحمد محمد هويدى تقديم و مراجعة: محمد خليفة حسن



المشروع القومي للترجمة

تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث

تحرير

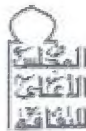
زالمان شازار

ترجمه من العبرية

أحمد محمود هويدي

تقديم ومراجعة

محمد خليفة حسن أحمد



٢٠٠٠

هذا الكتاب ترجمة للجزء الأول من كتاب :

זלמן שזר

מפרד"ס התנ"ך

מחקרים במקרא ובתולדות ביקורת המקרא

הוצאת "קרית ספר", ירושלים - תשלי"ט

تقديم

يتناول الكتاب الذى نقدمه للقارئ الكريم تاريخ نقد العهد القديم من بدايته وحتى العصر الحديث . والعهد القديم هو كتاب اليهود المقدس الذى يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هى التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكنويات (الحكمة) . ونشير هنا إلى أسباب نشأة نقد العهد القديم وتطوره (أو أسباب تطوره) .

أولاً : النقد اليهودى

تطور نقد يهودى للعهد القديم ، وهو نقد نستمد من نص العهد القديم نفسه ، فضلاً عن النقد الذى أتى من مصادر يهودية خارجة عن العهد القديم ، والأسباب التى أدت إلى وجود النقد اليهودى هى :

١ - الاختلاف اليهودى حول نص التوراة

وقد نشأ فى وقت مبكر ، حيث تعرضت التوراة المنزلة على موسى عليه السلام للضياع كنص دينى ثابت . وتطور لدى بنى إسرائيل " اليهود " روايات شفوية حلت محل النص الإلهى المكتوب " المنون " . وظلت التوراة على هذا الوضع الشفوى من بعد عصر موسى وحتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ؛ حيث تم تثبيت نص التوراة وتم تدوينه بعد أن كان نصاً شفويًا . وهذه المرحلة تغطى ما يقرب من ثمانية قرون كاملة اتخذت التوراة هذا الشكل الروائى الشفوى . وكانت بطبيعة الحال أشبه بالكتاب المفتوح الذى يضاف إليه وينتقص منه على حسب الاتجاهات والمذاهب الدينية اليهودية التى ظهرت فى الحياة اليهودية خلال القرون الثمانية . والتى نتج عنها تعدد

الروايات ، ثم قيام عزرا بعملية تحرير لما هو متوافر أمامه من روايات توراتية شفوية ، والقيام بعملية توفيق بين المواضع المتناقضة والمواضع المختلفة ، والانتهاء من وضع نسخة واحدة للتوراة هي التي تم تثبيتها والاعتراف بها منذ عصر عزرا . ويلاحظ أن هذا العمل الكبير ينطبق فقط على التوراة وليس على بقية الأسفار . ونظرا لأهمية هذا العمل اكتسب عزرا مكانة عظيمة في التاريخ الديني اليهودي . وعادة ما يربط بموسى عليه السلام في الأهمية ؛ لأنه على حسب الفهم اليهودي إذا كان موسى عليه السلام هو الذي تلقى الوحي فإن عزرا هو الذي حفظه وثبته . ولا يستبعد في أن يكون هذا سبب تقديس عزرا . وهناك إشارات قرآنية لهذا التقديس .

٢ - الفرق اليهودية واختلافها حول نص العهد القديم

ومن أهم الفرق اليهودية وأقدمها فرقة السامريين التي تعود نشأتها حسب الفهم اليهودي إلى الانشقاق الذي حدث بعد موت سليمان عليه السلام وانشقاق مملكته إلى شمالية وجنوبية . وأصبحت السامرة العاصمة السياسية والدينية للمملكة الشمالية ، ونافست السامرة أورشليم كمركز ديني وسياسي . ونتيجة لهذا الانقسام رفض السامريون التراث الديني المرتبط بأورشليم ، ورفضوها كقبلة دينية حتى سقوط السامرة ٧٢١ ق. م. ومع هذا التطور ظل اللاهوت السامري منافسا لللاهوت أورشليم ، واستمرت فرقة السامرة في الوجود منذ ذلك الوقت وحتى الآن . وهم لا يعترفون باليهود الربانيين ، كما أن اليهود الربانيين لا يعترفون بهم ويرفضون الزواج منهم ، ولا يعتبرونهم يهودا ، ويضموهم للأمم الأخرى . وموقف السامريين من الكتاب المقدس هو أنهم لا يعترفون إلا بالأسفار الستة الأولى فقط من العهد القديم ، ولهم تفسيرهم الخاص للتوراة ، كما أنهم يفسرون بعض مواضع من التوراة حسب رؤيتهم الدينية . ويفسرون الفقرات التي تشير إلى أورشليم على أنها تشير إلى مكانهم المقدس أو

قبلتهم الدينية الجديدة ، وهى السامرة . وتفسير الفقرات الخاصة بجبل صهيون على أنها تشير إلى جبلهم المقدس ، وهو جبل جريزيم . وبالإضافة إلى رفضهم بقية أسفار العهد القديم يرفضون كل التراث الشفوى الذى يعترف به ويقدسه اليهود الربانيون وهم أيضا يرفضون التلمود وكل الشروح التى بنيت عليه ويرفضون ما يسمى بالشرعية الشفوية . وهم يقولون فيما يتعلق بالعهد القديم " التوراة الربانية " أنها توراة محرفة قام بتحريفها عزرا الكاتب . وقد كونوا داخل اليهودية فرقة دينية مستقلة لها رؤية دينية يهودية مستقلة .

أما فرقة القرائين فهى فرقة لا تعترف إلا بأسفار العهد القديم ، وتسميتهم مأخوذة من كلمة " المقرأ " ، وتعبر التسمية عن الموقف الدينى الرافض للتراث الدينى خارج المقرأ . وهم يرفضون التراث الشفوى والشرعية الشفوية غير المكتوبة ، ويرفضون التلمود . وقد دخلوا مع الربانيين فى جدل دينى كبير خلال العصر الوسيط - وهم واقعون تحت تأثير إسلامي- خاصة فيما يتعلق بنقد العهد القديم ومفهوم الألوهية .

٣- اختلاف البيئات اليهودية

من المعروف أن التاريخ اليهودى تميزه ظاهرة الشتات الذى نتج عنه حياة اليهود فى ظل بيئات وثقافات وحضارات مختلفة وقعوا تحت تأثيرها : منها بيئات وثنية قديمة، ومنها بيئات توحيدية مثل المسيحية والإسلام ، ومنها أيضا بيئات حديثة معاصرة تنتشر فيها العلمانية والإلحاد كما هو الحال فى أوروبا المعاصرة وأمريكا . وفى ظل هذه البيئات المختلفة ببئيا ومذهبيا تكيف اليهود مع الأوضاع الثقافية والفكرية لهذه البيئات ، واستجابوا إيجابا وسلبا للمعطيات الفكرية لهذه البيئات كما انشغلوا أيضا بعمليات الجدل الدينى وبخاصة فى البيئات التى تعرضت لنقد اليهودية ، ونقد كتابها المقدس . وقد اشتد الجدل على وجه التحديد فى البلاد المسيحية والإسلامية

التي لها أصلا موقف من الكتب المقدسة اليهودية ، الأمر الذي أدى إلى تطور نقد للكتب المقدسة اليهودية في هذه البيئات .

ثانياً : النقد المسيحي

تطور نقد مسيحي لكتاب العهد القديم على الرغم من قبوله ككتاب مقدس وضمه إلى أسفار العهد الجديد في كتاب واحد تحت اسم " الكتاب المقدس " . ويظهر هذا النقد المسيحي في ذروته في التسمية التي اختارتها المسيحية للأسفار المقدسة اليهودية حيث أطلقت عليها اسم " العهد القديم " في الوقت الذي سمت فيه الأسفار المقدسة المسيحية باسم " العهد الجديد " . والدلالة النقدية هنا واضحة في الصفتين " القديم " و" الجديد " . وتشير هذه الدلالة إلى أن العهد المعطى لبنى إسرائيل أصبح عهدا قديما أي باطلا أو ملغيا ، وأن هناك أمة جديدة هي الأمة المسيحية دخلت في عهد جديد وحلت مكان الجماعة القديمة وهي جماعة بنى إسرائيل صاحبة العهد القديم الملغى .

كما تعرض العهد القديم للنقد المسيحي من خلال إعادة تفسيره في ضوء معطيات الدين المسيحي وعقائده المختلفة عن معطيات اليهودية وعقائدها . ولعل أهم مفهوم تلقى تفسيرا مسيحيا جديدا هو مفهوم الخلاص والمسيح المخلص ، حيث فسرت الديانة المسيحية كل ما ورد عن الخلاص والمسيح المخلص في العهد القديم تفسيرا جديدا ، واعتبرت كل الإشارات الخلاصية والمواضع التي ورد فيها ذكر المسيح المخلص مشيرة إلى الخلاص الذي أتى به عيسى عليه السلام وإلى عيسى عليه السلام كمسيح مخلص .

ثالثاً : النقد الإسلامي

بالنسبة للنقد الإسلامي للعهد القديم ، فقد أتى القرآن الكريم بنظريتين أساسيتين هما عماد النقد الإسلامي وأصبحتا فيما بعد عماد النقد الغربي الحديث والذي تمثله

مدرسة يوليوس فلهاوزن أفضل تمثيل . وهاتان النظريتان هما نظرية التحريف والتبديل ، ونظرية تعدد المصادر والتي أصبحت أساس النقد المصدري للتوراة وبقية أسفار العهد القديم في القرنين التاسع عشر والعشرين . وهنا يجب أن نتعامل مع مصطلحي " التحريف والتبديل " على أنهما مصطلحان نقديان ينتميان إلى مجال النقد الأدبي . وتشير المعاني الأساسية لهما في القرآن الكريم إلى الدلالة النقدية الأدبية قبل أن يتحولوا في القرآن الكريم وفي المصادر الإسلامية الناقدة للتوراة إلى مصطلحين مفعمين بالدلالة الدينية وهي إحداث التغيير في الدين . فالعبارة القرآنية " يحرفون الكلم عن مواضعه " (المائدة : ١٣) تشير إلى حدوث عملية لغوية أدبية أسلوبية تم من خلالها تغيير الدلالة الدينية . ومعنى الآية " يبدلون الكلم من معناه " والكلم هو التوراة وذلك بتحريفهم التوراة وكتابة ما يرغبون فيها ومحو ما لا يرغبون أو تحريفهم معانيها بما يتفق وأهوائهم . وكذلك في الآية " يريدون أن يبدلوا كلام الله " (الفتح : ١٥) أى يغيروه . فالمقصود بالتحريف والتبديل تغيير الكلام ليعطى معنى غير المعنى الأصلي الذي أتى به الوحي . وفي النقد الأدبي الحديث تم تفريغ هذه المصطلحات من دلالاتها الدينية وأصبحت مصطلحات نقدية أدبية عامة تطبق على أية نصوص أدبية كانت أو دينية .

أما نظرية المصادر فقد عبرت عنها الآية القرآنية الكريمة " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " (النساء : ٨٢) . والمعنى المباشر هو أن الاختلاف ينتج عن تعدد المصادر الإنسانية . أما المصدر الواحد - وهو الوحي الإلهي - فوحدته تمنع الاختلاف والتناقض .

رابعاً : تطور نقد العهد القديم في العصر الحديث

تأثر اليهود بأشكال النقد المسيحي والإسلامي في العصر الوسيط ، فرفضوا أكثره

وقبلوا بعضه ، وظهرت فرق يهودية متأثرة بالنقد المسيحي والإسلامي ، وظهرت فرق متأثرة أيضا بالفلسفة وبالتفسير العقلي للكتب المقدسة والتزمت بتأويل الفقرات التي ليست قابلة للتفسير الحرفي والتي يبدو منها أنها متناقضة مع العقل . أما اليهود الذين عاشوا في أوروبا وأمريكا فقد وقعوا تحت تأثير الثقافة الغربية ومعظمها ثقافة علمانية تفصل بين الدين و(الدنيا) النبوة، ويعضها لا يعترف بالدين أصلا انطلاقا من عدم الاعتراف بالألوهية أو بوجود إله. وقد انخرط اليهود في هذه التيارات فنجد أن بعضهم تشدد ضدها متمسكا بصحة العهد القديم والديانة اليهودية ، وبعضهم ترك اليهودية وأصبح علمانيا أو ملحدا . كما خضع اليهود أيضا للتيار العقلاني وفسروا اليهودية والكتاب المقدس تفسيراً عقلياً .

ونشأ عن هذا الاتجاه مدرسة نقد الكتاب المقدس وخاصة نقد العهد القديم . وهناك عدة أسباب لتطور علم نقد الكتاب المقدس في العصر الحديث ، منها :

١ - الاكتشافات الأثرية في منطقة الشرق الأدنى القديم

أدت الاكتشافات الأثرية في العصر الحديث إلى التعرف على معظم الكتابات العربية القديمة والتعمق في معرفة النصوص الهيروغليفية المصرية ، والكتابات المسماة والحواليات الآشورية والبابلية ، وكذلك التعرف على بعض اللهجات العربية (السامية) التي كانت مجهولة ومن أهمها اللغة الأوجريزية نسبة إلى أوجريت * رأس شمرا حالياً * في المنطقة السورية وتأثير هذه اللغة على العبرية والآرامية ، والتعرف أيضا على النقوش العربية الشمالية والجنوبية، ومن هذه الاكتشافات أيضا وثائق البحر الميت والتي كان لها أثر كبير في معرفة طبيعة الفترة المحصورة بين العهدين ، أي بين نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد ، والتعرف على الفرق اليهودية والحصول على نسخ متعددة من أسفار العهد القديم لم تكن موجودة من قبل .

ومن أهم نتائج الاكتشافات الأثرية ، اكتشاف مجموعات قانونية جديدة فى مصر القديمة وبلاد النهرين كشفت لنا عن مؤثرات مصرية آشورية بابلية على الأحكام والتشريعات التوراتية بعد أن ساد الاعتقاد بأن الإسرائيليين القدامى فقط هم الذين أنشأوا التشريعات وطبقوها على حياتهم . وقد أثبتت هذه الأمور جميعا فشل النظرية التى تقول بالاستقلال الدينى والفكرى لجماعة بنى إسرائيل عن الشعوب المحيطة استنادا إلى الاختلاف فى العقائد الدينية بين التوحيد فى بنى إسرائيل والتعدد عند غيرهم حيث ثبت اتصال جماعة بنى إسرائيل بالشعوب الأخرى فى الشرق الأدنى القديم ووقوعهم تحت التأثير الحضارى للشعوب السورية والمصرية والعراقية القديمة وأيضا الفرس ، وأثبتت أيضا دور الشتات فى وقوع التأثير الأجنبى على بنى إسرائيل .

٢ - اكتشاف عجز نظرية فلهاوزن فى الكشف عن طبيعة العهد القديم

نجحت مدرسة فلهاوزن نجاحا كبيرا فى تحديد مصادر التوراة ، وقد ركزت على ذلك تركيزا شديدا ولم تتجاوز حدود النقد المصدري إلى تطوير اتجاهات نقدية أخرى تساعد على فهم العهد القديم وبالتالي فهم حياة بنى إسرائيل قديما من خلال العهد القديم الذى يعد المصدر الوحيد لتاريخ بنى إسرائيل وديانتهم . ومن النقد الذى وجه إلى نظرية فلهاوزن أيضا الاستغراق الشديد فى تحليل النص ومفرداته وتحديد علاقة الوحدات الأدبية الكبيرة والصغيرة ببعضها البعض ، والاهتمام بالنقد اللغوى ، وهى كلها مقدمات نقدية هامة من حيث إنها أثبتت إنسانية النص أو على الأقل اختلاط المادة الإنسانية بالمادة الإلهية فيها وعلى الرغم من هذه النتيجة الكبيرة ظل العهد القديم كتابا مغلقا صعب الفهم على المستوى الدينى والأدبى والتاريخى والاجتماعى والاقتصادى . ويؤخذ على نظرية فلهاوزن أيضا التركيز الشديد على المصدرين

الكهنوتى والتشوى وهما مصدران مهتمان بالجانب الخاص بالعبادة والخدمة الدينية والتشريعات وفيها إهمال لبعض الجوانب التاريخية والعقائد والجوانب الاجتماعية . وقد تم إهمال شرح لخصوص العهد القديم على المستويات المذكورة وعدم الاهتمام بتحليل الأحداث التاريخية وعدم التعرف على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى أدت إلى نشأة النصوص وتطورها فى شكل روايات شفوية قبل أن يتم تدوينها . ولم تهتم أيضا بتحليل ومعالجة الصور والأشكال الأدبية المختلفة الواردة فى العهد القديم مثل القصص والروايات والحكم والأمثال ، كما أنها لم تهتم بدراسة المضامين الدينية والفلسفية والأخلاقية فى العهد القديم .

٣ - التطور المنهجى فى العلوم الإنسانية والاجتماعية

شهد القرن العشرون تطور المناهج فى العلوم الإنسانية كما ازدهرت الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية ، وكذلك تطور علم الدين فى الغرب ونشأت مجموعة من العلوم الدينية ذات القيمة الكبيرة فى فهم مادة العهد القديم ومن أهمها : علم تاريخ الأديان ، علم الظاهرة الدينية ، علم مقارنة الأديان ، علم الاجتماع الدينى ، علم النفس الدينى ، علم الأنثروبولوجيا الدينية، وعلم جغرافية الأديان ، وكلها علوم حديثة استفادت من المنهج فى تخصصها وساعدت على تعميق المعرفة الدينية عند الإنسان والكشف عن طبيعة الخبرة الدينية ، وقد تم تطبيق مناهج هذه العلوم على بعض الشعوب البدائية . ثم انتقل تطبيق هذه المناهج إلى مجال العهد القديم مما أدى إلى الدخول فى مرحلة جديدة من النقد أدت إلى فهم أكثر عمقا لديانة بنى إسرائيل ولطبيعة الإسرائيليين القدامى وعلاقاتهم الدينية والفكرية بالشعوب المحيطة بهم .

٤ - أثر الدراسات النقدية الأدبية فى نقد العهد القديم

استفاد نقد العهد القديم من التقدم الذى شهدته الدراسات النقدية الأدبية وبخاصة فى مجال تطبيقها على النصوص الأدبية الكلاسيكية مثل النصوص اليونانية واللاتينية وتطبيقها على الأعمال الأدبية الكلاسيكية الأوربية . وتطور عدد من المدارس والاتجاهات النقدية مثل المدارس الواقعية والرومانسية والتعبيرية وغيرها . وانتهت هذه التطورات إلى نشأة عدة اتجاهات فى نقد العهد القديم منها بالإضافة إلى النقد المصدري والنصى التابعين لفلهاوزن تطور النقد الأدبى والتاريخى ونقد الصور الأدبية . وتطور الاتجاهات الأدبية والفنية والأنثروبولوجية . وتطور الاتجاه النقدي المقارن والاتجاه الفلسفى والنقد الأخلاقي.

ويقدم هذا الكتاب عرضاً موجزاً لتاريخ هذه العملية النقدية الطويلة العهد القديم فيبدأ بعملية تثبيت نص التوراة ، وهى فى حد ذاتها عملية نقدية قام بها عزرا الكاتب فى القرن الخامس قبل الميلاد . حيث تم تنوين التوراة من خلال عملية تحرير للروايات الشفوية وكتابتها بعد محاولات التوفيق بينها بسبب اختلافها الراجع إلى تعدد مصادرهما . ويشير الكتاب إلى النسخ التوراتية المختلفة وموقف الفرق اليهودية من العهد القديم وعملية البحث عن مؤلفى العهد القديم وتحديد الكتب المقروءة والمكتوب . وموقف علماء التلمود من العهد القديم وعملية البحث عن مؤلفى العهد القديم . والإشارة إلى تداخل الأقوال فى أسفار الأنبياء وإلى التناقضات داخل التوراة وإعطاء أمثلة على هذا التناقض . وأشار المؤلف إلى ازدهار النقد فى الأندلس بعد ظهور علوم اللغة والنحو بتأثير من علوم اللغة العربية . وتناول تطور التفاسير المسيحية للعهد القديم وبخاصة عند مارتن لوتر وتلاميذه . كما اهتم بتوضيح دور سبينوزا الفيلسوف اليهودى فى تطوير نقد العهد القديم وإثارة للعديد من المشاكل النقدية مثل مسألة

تأليف موسى عليه السلام للتوراة ، والنظر إلى أسفار الأنبياء على أنها أسفار تاريخية ومصدر تاريخي في المقام الأول ، ويدور عزرا في تأليف التوراة وأقدمية سفر التثنية وزمن تأليف الأسفار الخمسة وغير ذلك من المشاكل النقدية .

وتعرض المؤلف لنظرية المصادر في النقد الغربي للعهد القديم بداية من أستروك وتحديد المصدرين اليهودي والأكوهيضي وإضافات أيشهورن ، وملاحظات هيردر وتشعبات إلجن المصدرية وآراء جديس وفينز ودئ - فته ، وتحديد المصادر الأربعة عند عدد من نقاد العهد القديم (وهي اليهودي والأكوهيضي والكهنوتي والتثنوي) . وقد خصص لمدرسة يوليوس فلهاوزن فصلا كاملا موضحا آراء هذه المدرسة كمدرسة مطورة لعلم نقد العهد القديم . كما تعرض للآراء الحديثة بعد مدرسة فلهاوزن . واهتم بإعطاء ردود الفعل اليهودية تجاه النقد العلمي للعهد القديم وتطور نقد يهودي حديث بداية من نشأة مدرسة علم اليهودية ونقد العهد القديم في الأدبيات العبرية .

وعلى الرغم من قدرة المؤلف الجيدة على تغطية نقد العهد القديم بشكل موجز فقد أهمل النقد الإسلامي للتوراة وبقية أسفار العهد القديم إهمالا تاما على الرغم من أهمية هذا النقد الإسلامي في نشأة النقد اليهودي للعهد القديم في العصر الوسيط وبخاصة في الأندلس .

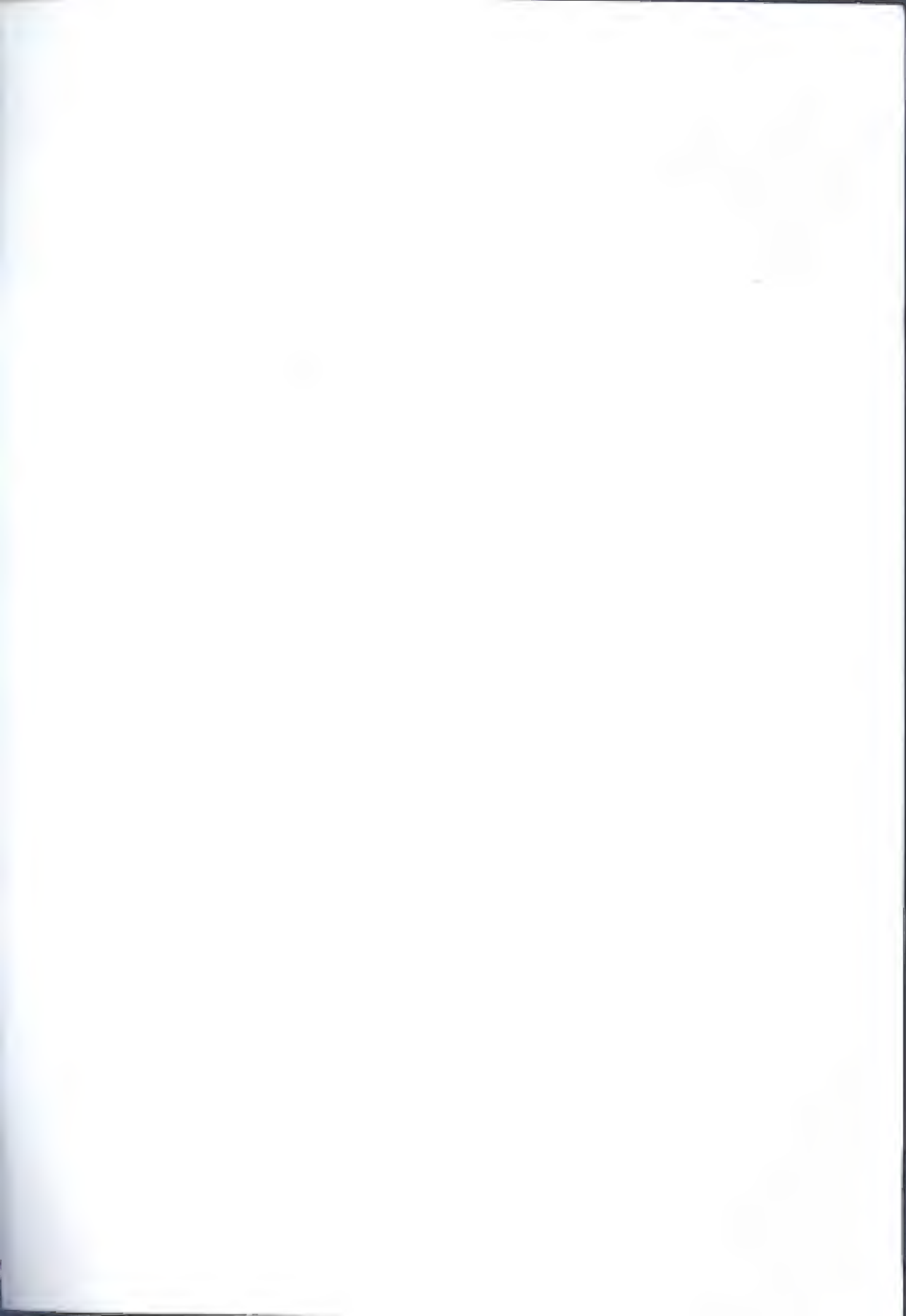
وقد قدم جهود العلماء اليهود في العصر الوسيط في نقد العهد القديم على أنها تطور يهودي داخلي . والحقيقة التاريخية تثبت أن نشأة النقد وتطوره في العصر الوسيط إنما حدث بتأثير إسلامي مباشر عن طريق القرآن الكريم وأرائه النقدية في التوراة اليهودية وتقديمه لنظريات التحريف والتبديل ، وتعدد المصادر ، ووسائل إحداث التغيير النصي في التوراة . وأيضا من خلال مصادر علم الكلام عند المسلمين ، ومصادر تاريخ الأديان وعلى رأسها ابن حزم الأندلسي ومحمد الشهرستاني أعظم

مؤلفي المسلمين في مجال الملل والنحل ، والأول (ابن حزم) يعتبر بحق مؤسس علم نقد العهد القديم . كما شملت أعمال السعودي والغزالي على آراء نقدية هامة تستحق الدراسة . وننبه هنا إلى أنه لا يمكن دراسة نقد العهد القديم بمعزل عن التراث النقدي الإسلامي .

وفي النهاية أتوجه بالشكر الجزيل إلى مترجم هذا الكتاب الدكتور أحمد محمود هويدي الأستاذ المساعد بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة على مجهوده الكبير الذي بذله في ترجمة الكتاب عن اللغة العبرية الحديثة وفي موضوع صعب هو نقد العهد القديم .

وسيسفيد من ترجمته هذه المتخصصون في عدد من المجالات من أهمها : تاريخ الديانة اليهودية ، وتاريخ العهد القديم ، والنقد الأدبي والتاريخي ، فإليه الشكر والتقدير .

محمد خليفة حسن



تصدير

تقدم علم نقد العهد القديم تقدما كبيرا في الغرب منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن ، وعلى الرغم من أن نقد العهد القديم علم إسلامي جذوره في القرآن الكريم ثم في كتب التفسير وكتب الملل والنحل ، لكننا لا نجد كتابا في اللغة العربية قد اهتم ببيان هذا العلم عند المسلمين أو المستشرقين . وذلك باستثناء بعض الإشارات التي وردت عن مصادر التوراة في ثلثيا الكتب التي تناولت الديانة اليهودية خاصة كتاب " الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه " للأستاذ الدكتور حسن ظاظا (يرحمه الله) ، وكتاب " اليهودية " للأستاذ الدكتور محمد بحر عبد المجيد . أما أول دراسة وأقية باللغة العربية عن نشأة نظرية المصادر وبيان الخصائص التاريخية والدينية لكل مصدر فهي الدراسة القيمة التي قدمها الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن في كتابه " علاقة الإسلام باليهودية ، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية " .

ولأن المكتبة العربية تنقل إلى كتاب يتناول تاريخ نقد العهد القديم رأينا من واجبنا ترجمة كتاب يتناول هذا الموضوع لكي يفيد الدارسين في مجال دراسات العهد القديم . ونقدم هنا الجزء الأول وهو يقدم رؤية تاريخية وصفية لتاريخ نقد العهد القديم منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث ، وسوف تتبع ذلك - إن شاء الله - بالجزء الثاني .

وأود هنا أن أشير إلى أن الهدف من ترجمة هذا الكتاب دعوة الباحثين إلى تنصيل نظريات نقد العهد القديم التي تطورت في الغرب في ضوء التراث الإسلامي ، حيث لا يمكن فصل نشأة نقد العهد القديم وتطوره عن نشأة وتطور الدراسات العربية الإسلامية وتطورها في الغرب

وما كان هذا الكتاب ليرى النور لولا التشجيع الدائم والمستمر من أستاذي العالم
الجليل الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن ، وقد أفدت كثيرا من ملاحظاته القيمة ،
التي أضفت على الترجمة وأسلوبها جمالا وزوعة يلحظها القارئ في كل صفحة من
صفحات الكتاب ، فأتوجه لسيادته بخالص الشكر والتقدير والعرفان ، وأشكر المجلس
الأعلى للثقافة لاهتمامه بنشر هذه الترجمة التي أرجو أن تحقق هدفها .

أحمد هويدي

مقدمة

اعتاد مؤلفو المداخل للعهد القديم أن يذكروا في مقدمة كتبهم - بإيجاز شديد وفي خطوط عامة جداً - تاريخ نقد العهد القديم - وباستثناء تلك الصفحات المعنودة والمقالات الموسوعية المنفصلة لم يكتب في أي لغة كتاب قائم بذاته عن تاريخ تطور هذا الفرع العلمي ومنهجه ، الذي تحمس له عباقرة الفكر منذ الأزل

وإذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بنقد العهد القديم عند أمم العالم ، فمن الأولى ذكر ما يتعلق بمحاولات نقد العهد القديم بين اليهود ، فعلماء الأمم ينظرون إلى الفكر العبري كله بمثابة إرث للماض ، ولم يذكروا في عروضهم الموجزة للباحثين أي باحث عبري . باستثناء بعض الأسماء من العصر الوسيط ممن كان لهم حظ الانتشار على يد باحث غير يهودي . واعتبر بحث العهد القديم علماً أجنبياً في نظر رؤساء المتحدثين في اللواتر اليهودية لفترة طويلة . وفي نفس الوقت لا يوجد مقال شامل باللغة العبرية عن تاريخ نقد العهد القديم عند اليهود . وفي نفس الوقت عرف الميراث الأدبي منذ عصر الجائونيم ، وتوصل بعض كبار المفسرين إلى القيم العلمية ، وأفاد العديد من الأثرين من الكنوز التي كشفت في العالم ، وفي الأدب الجديد يمكن كشف بعض المحاولات من جاذب الباحثين اليهود لوضع أساس يهودي لهذا العلم - وتجمعت ثروة كبيرة من الأبحاث والأفكار والآراء التي توحدت حول وجهة نظر معروفة ، وحول ابتكار محدد واخذ لنظرية محددة

من أجل تحقيق هدفنا وهو أن نقدم للقارئ العبري علوم العهد القديم بكل ثقافتها الأساسية ونوجه فكره تجاهها لا يمكننا أن نكتفي بهذه الدائرة الضيقة التي كونها آخرون لأنفسهم . فقبل أن نسير في طلب البحث العلمي في الخارج رأينا من الواجب علينا أن نقوض وسط الفكر العبري ، ونحاول أن نلفت نظر المهتم العبري بقسم بحثنا نحن الذي لم يتوقف منذ تكوينه وحتى الآن -

وفي هذا العرض - كما في الأجزاء التي ستظهر مستقبلاً - رأينا على قدر استطاعتنا ألا نسعى وراء كثرة التفاصيل سواء في القسم العبري أو في القسم العام ، ولا نسمح للقارئ أن يضل الطريق بين اضطراب النظريات والاتجاهات العديدة .

وقد كان أساس رغبتنا أن نبرز أساس العمل ، أى الطريق الأساسى الذى يرتقى من مرحلة إلى مرحلة ، ولم تكن أمامنا أهداف بيلوجرافية ، ولذلك لا يبحث المتصفح للكتاب عن هذه الزاوية . ولم يكن غرضنا سوى أن نقدم تطور نظرية النقد ، لذلك نشير إلى التفاصيل التى توضح طبقاً لوجية نظرنا حلقات التطور .

وكما قلنا ، فلم ندخل فى المناقشات آراء العلماء حول نظرياتهم أو آراء الذين دخلوا فى الصراعات دفاعاً عن مادة التوراة . ومن خلال حرب الآراء برزت النظرية العلية ونقحت وتطورت . وليس لنا هنا إلا أن نعبر عن هذا التطور فقط

وحتى الآن لم يكتب كتاب شامل عن الموضوع ، ولكنه بحث فى فصول متفرقة من قبل الكثيرين . واهتم بعضهم بالموضوع بشكل كاف . ومن القسم العام نذكر كتب المقدمات ل : هولتسينجر وكورنيل واشتوير تاجل واشتراك واستيفل صاحب كتاب «مصادر التوراة» والمقالات المفصلة لبينتش وجونكل فى المجموعة الموسوعية « الدين فى التاريخ والعصر الحاضر » . ومن القسم العبرى تشير بوجه خاص إلى : ل . تسونس و ل . ه . فايس والبروفيسير آ . أ . فتوفيسر و د . / ايزنشت و د . / ش . فوزنتكى والبروفيسور ش . شاختر والبروفيسير زئيف باخر وأفراهام أفشتاين والبروفيسير ملتر و د . / روزن و د . / جوتمان وغيرهم ، فكتبهم ومقالاتهم كانت لنا معينا .

وهذا الكتاب ثمار عمل مشترك سواء فى خطته أو فى تفاصيل أقسامه ، ويعتبر م . سولوفيتشيك مسئولاً عن مضمون الفصل الخامس ، والفصول من السابع حتى الحادى عشر . كما يعتبر ز . روفشوف مسئولاً عن الفصول من الأول وحتى الرابع ، والفصل السادس ، والفصلين الثانى عشر والثالث عشر . وقد قام روفشوف بتحرير كل فصول الكتاب .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الأول

تثبيت العهد القديم



١- التفسير في العهد القديم

مضى بدأت في إسرائيل مواجهة مشاكل النصوص الموجودة في الكتابات المقدسة ؟ ومتى بدأ البحث ... عن أسس ترتيبها وكشف المعانى غير المقبولة فيها ؟ بدأ ذلك في نفس الوقت الذى نزل فيه إلى العالم وحدد فيه مفهوم الكتاب المقدس .

إن تفسير هذا الأدب الذى تم جمعه واكتسب درجة من القداسة لم يكن ليتم إلا بعد دراسة متعمقة في كل أقسامه . وقد وجد الأنبياء المتأخرون أقوال الأنبياء السابقين مجموعة أمامهم فعكفوا على دراستها وتنقيحها من أجل نقدها أو للاعتماد عليها وتفسيرها .

وهناك إشارات نقدية أولية داخل مادة العهد القديم الموجودة حاليا . وأول هذه الإشارات في التوراة " ... مفتقد إثم الآباء في الأبناء وأبناء الأبناء في الجيل الثالث والجيل الرابع " (الخروج ٣٤ : ٧) ، ثم أعلن حزقيال : " مالكم أنتم تضرّبون هذا المثل على أرض إسرائيل ... وأنتم تقولون لماذا لا يصلح الابن من إثم الأب ... النفس التى تخطئ هى تموت . الابن لا يصلح من إثم الأب ... بر البار يكون عليه وشر الشرير عليه يكون " (حزقيال ١٨ : ٢ ، ١٩ : ٢٠) . وتنبأ النبي إرميا قائلا " إنى عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامى الصالح بركم إلى هذا الموضع (إرميا ٢٩ : ١٠) ، ثم أعلن دانيال سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكتمل المعصية وتنتمى الخطايا " (دانيال ٩ : ٢٤) .

وأدرك باحثو العهد القديم من التلموديين أثر هذا النقد ، وأشاروا إلى أنه : " يوجد أحيانا نصان متناقضان فيأتى النص الثالث ويحسم هذا التناقض بينهما " . وعلى ما يبدو لم تكن آراء الأنبياء متفقة فيما يتعلق بأساليب النقد وكيفية فهم التوراة المعترف بها عندهم . وإذا تنبهنا بإصغاء لأقوال النصوص وما يتسلل إلينا صدى انقسام قديم بين مؤلفي العهد القديم المتأخرين حول طرق فهم الكتابات المقدسة السابقة عليهم . فالتنبأ إرميا غضب غضبا شديدا على رجال التوراة في عصره ، وأعلن : كيف تقولون نحن حكماء وشرعية الرب معنا حقا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب " (إرميا ٨ : ٨) . وقد طلق دافيس قائلا : " لم نستطع حقا معرفة ما هو الكذب الذى قصده النبي إذ يتضح أن هؤلاء الكتبة كتبوا أقوالا متصلة بالتوراة ... وفسرت التوراة من طرفين متناقضين ، واختار كل واحد من الطرفين لنفسه طريقا في تفسير التوراة وفهمها " (كل جيل ومفسروه ١ ، فصل ٢) .

٢- تقسيم الأسفار وتثبيتها

بعد أن انتهى تأليف العهد القديم وحان وقت جمعه وتدوينه ، لم يستطع مثبتو العهد القديم إتمام عملهم حتى يضعوا أسس هذا البناء وأخضاعه لوجهة نظر روحية واحدة. ويتمثل هذا الإدراك الواضح والعصيق للذين ثبتوا العهد القديم في وحدة الألوهية السائدة في الأسفار الأربعة والعشرين . وعلى الرغم من ذلك فهم لم يهتموا بالتفاضل عن التناقضات المختلفة بين الأسفار ولم يتحولوا عن رأيهم ورأي الجمهور . ولذلك كان من الضروري القيام بعمل روحي كبير لتثبيت النصوص في موضعها . وإبراز وحدتها وشموليته إلى حد التعميم على الأنماط الخاصة لكل واحد منها .

وتمثل روايات التلمود عن "أرادوا الإخفاء ولم يخفوا" شاهدا على الصراعات التي واجهها مثبتو العهد القديم مع المادة المقدسة السابقة عليهم . فحسب رواية التلمود تعرضت أسفار حزقيال ونشيد الأناشيد والجامعة لخطر الإخفاء . وهما الأسفار الخفية ذاتها تمثل شواهد على حدوث ذلك . وكما ورد في (شبات ١٢) . "لا تنس الرجل الطيب حنانيا بن حزقيا بن جرون والذي لولاه لاختفى سفر حزقيال لأن أقواله تناقض أقوال التوراة ... فماذا عملوا ؟ لقد قدموا له ثلاث مائة جرة سمن وجلس في العلية وعظّمهم" . إن فضل حنانيا يبدو في الكشف عن آراء الفرق وعمل جامعي العهد القديم وسبل التغلب على التناقضات العديدة بين الأسفار وعن جمعهم لأدب كامل للأجيال المختلفة أنجزوه من خلاله سفر الأسفار .

٣- مقارنة النسخ

وبعد أن تم اختيار الأسفار الأربعة والعشرين من بين المؤلفات الأدبية التي كانت قبلهم وفي عصرهم أعلنوا قدسيتها وتم الاعتراف بها عند اليهود . وظل هناك عمل مهم وهو تحديد النص المضبوط في كل تفاصيله ، حيث وجدت في أماكن مختلفة نسخ متعددة من الأسفار لم تكن متطابقة في كل قواعدها ، كما لم يتفق الجميع على رأي واحد حول أفضل النسخ . وقد حفظ لنا الأدب التلمودي (انظر على سبيل المثال بابا مصيضا ٢٧ : ١ ، شبعوت ١٠ : ٢ ، ذباخيم ٤٨ : ٢ ، مناحوت ٤٣ : ٢ ، تمورا ١٨ : ٢ ، الأورشليمي زوطة ٨٨ ، ومواضع أخرى كثيرة) أثر هذه الاختلافات على القراءة الصحيحة للنص . وعلاوة على ذلك ، فقد حفظ لنا التلمود شواهد أكيدة عن الكيفية التي قارن بها الحكماء النسخ المختلفة التي وصلت إليهم ، وكيفية تحديد أقدمية النسخ

وأى النسخ أحق بالأقدمية. فالرئيسي شمعون بن لكيش يحدد فى بحث الكتبة (الفصل ٦) قائلا : ثلاثة أسفار وجدت فى عزرا : سفر المائى وسفر الطفل وسفر هى . ووجد مكتوبا فى السفر الأول 'حصن' وفى الثانى 'الإله القديم حصن' (التثنية ٢٧: ٢٣) فحفظ الثانى وألغى الأول . ووجد فى الأول نص 'وأرسل إلى أطفال بني إسرائيل' وفى الثانى نص 'وأرسل فتيان بني إسرائيل' (الخروج ٢٤ : ٥) فحفظ الثانى وألغى الأول ووجد فى الأول نص إحدى عشرة مرة ووجد فى الثانى نص 'إحدى عشرة مرة' فابقوا على الأول وألغوا الثانى

ومعنى هذا أنه كان هناك أسلوب محدد لقواعد نقد مادة العهد القديم . وطبقا لراى بعض الباحثين فقد كان أسلوب المقارنة يمثل عندهم خطأ قياسيا فى حسم بقية المواضع المشكوك فيها ، وعلى هذا الأساس قدموا النسخة المعترف بها الآن .

٤- المقروء والمكتوب . تعديلات الكتبة

بدأ عمل الماسورا اعتمادا على إقرار العهد القديم وثبتيته . وتمثل موضوعات بحث الماسورا فى : أعمال الكتبة الذين كلفوا بنسخ لفائف التوراة ، والذين حدث فى عصرهم وعلى أيديهم تغيير الخط العبرى المعروف باسم الخط الأصيل للنصوص إلى الخط الآشورى المربع ، الذى لا يزال مستخدما حتى الآن . ويضاف إلى ذلك عمل أصحاب العهد القديم الذين كانوا يقرأون التوراة على الجمهور فى المعابد ومعهم أيضا معلمو الأطفال . فلم يتوقف فى عصرهم تعديل النص وتطويره لتوضيح أقدم النسخ وأكثرها صوابا - طبقا لرأيهم - من بين النسخ السائدة عند الجمهور ، والتدقيق فى النص المعترف به . وهناك العديد من الشواهد الموثوق بها ، التى تظهر إلى أى مدى رأى الكتبة أن من واجبهم فحص النص المعترف به . ومن هذه الشواهد : التعديلات العديدة التى أدخلوها فى هامش الصفحة بمثابة 'المقروء وليس مكتوبا' و 'المكتوب وليس مقروءا' ، وكذلك إضافة كلمات (صموئيل الثانى ٨ : ٣ ، ١٦ : ٢٢ ، إرميا ٢١ : ٢٧ ، ٥٠ : ٢٩ ، روث ٣ : ٥ و ١٧) ، وأيضا حذف كلمات (الملوك الثانى ٥ : ١٨ ، إرميا ٢٨ : ١٦ ، ٥١ : ٣ ، حزقيال ٤٨ : ١٦ ، روث ٢ : ١٢) ، وهناك أيضا العديد من الحروف والكلمات التى وضعوا عليها نقاطا لتكون علامة على شكهم فيما إذا كانت القراءة المعترف بها صحيحة (التكوين ١٦ : ١٨ ، ٩ : ١٩ ، ٢٣ : ٢٣ ، ٤ : ٣٧ ، ١٢ : العدد ٢ : ٣٩ ، ٩ : ١٠ ، ٢١ : ٣٠ ، ٢٩ : ١٥ ، التثنية ٢٨ : ٢٩) . كل ذلك بالإضافة إلى تعديلاتهم الثمانية عشرة التى كانوا من خلالها يغيرون الكلمة غير الملائمة لوجهة نظرهم عن قيمة وأهمية السفر بكلمة أخرى أفضل فى رأيهم .

٥- الفرق والعهد القديم

عندما اختلفت الآراء في فلسطين ، وثارت نزاعات دينية بين الصدوقيين والفريسيين كانت التوراة قد تم تثبيتها وموجودة بالفعل ، ولم تستخدم اختلافات النسخ أساسا للخلاف ، غير أنهم انقسموا جدا حول أساليب فهم النصوص وطرق بحثها ، وإذا كان هناك ثمة أساس لوجهة النظر بأن سفر العهد الذي نشره البروفيسور شاختر في وثائق الجيزا القاهرية قديم ويعود أصله إلى زمن الهيكل فإنه جدير بالاهتمام أيضا ملاحظة أن كتابات الجيزا هذه لم تكن موجودة وكما يبدو ، فإنه يوجد تشويه كامل لتعديلات النص ، حيث يتضمن السفر في وسطه بعض المواضع من الكتابات المقدسة التي لا تتفق في نفس الوقت نص الماسورا المتوافر حاليا 'ما يعد دمشق - خيام دمشق' (عاموس ٥: ٢٧) ، 'عورة أخت أمك لا تكشف - لا تقترب من أخت أمك' (اللاويين ١٨: ١٢) 'إنذارا تنذر صاحبك - إنذارا تنذر صاحبك' (اللاويين ١٩: ١٧) وما يشبه ذلك

٦- أساليب التفسير

يعتبر الأدب التلمودي تفسيرا ضخما متنوعا لأسفار العهد القديم المقدسة التي عبر فيها يهوه عن إرادته التي أظهرها بواسطة عبده الأنبياء ، وأصبح من الضروري منذ ذلك الحين فصاعدا استخدام هذه الأسفار أساسا ومصدرا لكل نقاش الأمة المستقبلية ، وكل تعميد محكم قام بالتجديد فيما بعد ، فإنه كان يجدد على أساس هذه الكتب وما ورد فيها ، ويقدّر ما بدأ الأدب التلمودي يتسع ويتشعب ، تم الاهتمام بفحص أغوار العهد القديم والتعكس بكل ذرة أو إشارة فيه - وقد قيل عن نحويين بن هنيكه أنه يفسر التوراة كلها إجمالا وتفصيلا - وقيل عن ناحوم إيش جمزوا أنه كان يفسر التوراة بإسهاب واختصار ، وقد تعلم تلاميذهم منهم وأضافوا من عندهم ، فالربى عقيبا كان يفسر كل حرف ، ووضع الربى يشمعيل ثلاث عشرة قاعدة على أساسها تفسر التوراة ، وعنها تشعبت طرق البحث التلمودي ،

وقام الربى إلبعازار بن الربى يوسى الجليلي بجمع ما سبق وتوضيحه وشرحه وتوسيع جنوده ، ومن خلال الاثنين وثلاثين قاعدة التي على أساسها تفسر التوراة حدد منهجا مفصلا لطرق توضيح النصوص المقررة ، ويتعابيرات مختصرة حدد الأسس العامة لقوانين تفسير جديدة تؤكد على حدة في الذكاء والاستنباط ، وقوة التأليف ، وقد سادت قوانين تفسيره في كل النصوص التي ليس بها معنى مرتبط بالشريعة ، وذلك

على عكس معلميه السابقين له . فكانوا يقولون حتى عصر التلمود: "أى موضوع لا نجد فيه أقوال الربى اليعازار بن الربى يوسى الجليلى صم أذنك" ، ومن أسائيه ما يلى : ("تلاوة موجزة" ، "تعديل الكتبة" ، "المتقدم الذى هو متأخر فى الموضوع" ، "المتقدم الذى هو متأخر فى الأقسام") ، واستخدم علماء النحو فى الأندلس هذه الأساليب ، كما استخدمها أيضا الباحثون اليهود فى القرن التاسع عشر ، واعتبروها أساسا ثابتا وربطوا بها تجديداتهم النقدية .

٧ - التلمود والعهد القديم

لكن هذه المهمة التى حملها أصحاب التلمود الكتابات المقدسة هى التى حثتهم على صرف تفكيرهم عن التغييرات والاختلافات الموجودة داخل الكتابات المقدسة ، وكذلك الإشارة إلى زمن حدوثها ومؤلفيها . وركزوا انتباههم وانتباه الشعب على الروح الواحدة السائدة فى الأسفار وأقسامها وجعلها سفر الأسفار الواحد والمميز . وبشكل مقصود تخلى معظمهم عن المحافظة على الماسورا القديمة وإعلانها للأجيال مثل من كتب هذه القطعة ؟ ومن ألف هذا السفر ؟ ومتى وعلى يد من جمعت هذه الأقوال ؟ وما التغييرات التى طرأت عليها ؟ ، وفى رأيهم تهتم هذه التفاصيل بما يتعلق بالجواهر . وليس هذا فحسب ، بل إنهم لم يحاولوا تقليل الأساس الذى يؤسس عليه الهيكل التلمودى . ومن الأفضل التركيز على الجوهر : لأن روح إسرائيل قد تبلورت فى الكتابات المقدسة ، وكل ما أراد يهود أن يكشفه للبشر أظهره من خلال إسرائيل . وبناءً على ذلك فإن أى قانون أو رأى أو ما يتشعب عنها فإن مصدرها فى داخلها وهى مقدسة ، وواجبة علينا . وإذا حدث مصادفة أن قيلت هذه الأقوال فى فترة وتلك فى فترة أخرى ، أو قيلت هذه بواسطة راع وتلك بواسطة كاهن فإنها كلها أقوال الله وأبدية ، ونحن مكلفون بها وبكل ما يتفرع عنها .

وبناءً على ذلك فإن مؤلفى الأدب التلمودى رغم أن منابعهم متناصلة فى أسفار العهد القديم ، فإنهم لم يطوروا أى إحساس نقدي تجاهه ، ولم يقربوا العامة من منابع مؤلفهم ، وليس هذا فحسب ، بل إن الأخبار عن تاريخ الأدب المقرانى ونظام تثبيت العهد القديم ضئيلة جدا داخل الأدب التلمودى ، رغم أن مؤلفيه كانوا قريبين . إلى حد ما زمينيا وروحيا . من مجال العمل والعاملين فيه .



القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الثاني

النقد في التلمود



١- الماسورا وأحداث خاصة

لكل قاعدة استثناء . فالرأى المسلم به هو أن موسى ألف الأسفار الخمسة ، وأن داود كتب سفر المزامير كاملا ، وأن سليمان كتب نشيد الأناشيد والأمثال والجامعة ، وأن بنى إسرائيل تلقوا التوراة كلها فى الصحراء ، وما إلى ذلك . وعلى الرغم من أن هذا الرأى لم يرد فى التلمود بالنفصيل كقاعدة للبحث ، إلا أنه ساد وانتشر على كل الآراء والقواعد السائرة ، وأورثه الأدب التلمودى للأجيال التالية . وبالرغم من ذلك فقد حفظ الأدب التلمودى هذا الرأى ، ووجانبه - أيضا - ملاحظات وفرضيات وروايات وأحداث أخرى تعارض رأى الماسورا المسلم به من النقيض إلى النقيض . فالقضايا الأولية لبحث الكتابات المقدسة ، مثل : كيف تفسر التناقضات العديدة الموجودة بين الأسفار وفى داخلها ، ومن ألف كل سفر من الأسفار ؟ ومن ؟ وأين ؟ وما هى التعبيرات التى طرأت عليها حتى أخذت صورتها الحالية ، هذه القضايا كانت الماسورا التلمودية عادة ما تنغازى عنها بكياسة . ولكن اهتم بها العديد من باحثى الكتابات المقدسة من بين علماء التلمود : فهؤلاء كانوا يتعمقون فى البحث عن الرأى النهائى لكل فقرة ، فكانوا يجمعون ويبحثون ويتباحثون ، وفى بعض الأحيان كانوا يتوصلون إلى العديد من التناقضات التى لم تثر غضب باحثى العهد القديم فى كل العصور . وكشف هؤلاء المفسرون أنذاك عن ثغرات عديدة وظهرت بعد ذلك أساليب ومعطيات أخرى على يد باحثين آخرين ، ويمرر مئات السنين أضرىوا عن تصورات واقتراضات صارت فى عصرنا علما .

ولم يتوقف مكملى التلمود عن إقحام أقوالهم تلك داخل أدب التلمود . ورغم أن الأجيال التالية لم تقتف أثر هؤلاء الباحثين ولم يواصلوا عملهم النقدى ، فقد حفظوا أقوالهم وأضافوا عليها درجة القداسة .

وفى الواقع فإن هذه الأقوال الجريئة المتفرقة كما هى محفوظة فى الأدب التلمودى ، لم ترتق إلى درجة منهج ، ولم تُضم فى فكرة عامة واحدة . فالعديد من الإجابات التى فى الجمارا تفحص توضيح القضايا غير المتوقعة والمثيرة للجدل ، وذلك ليس لتحديد رأى فيها من أجل عصرها والأجيال التالية ، لكن من أجل الحفاظ على مكانة الماسورا وتصحيح البحث فيها وتقويم فحصها فى نظر المؤمنين بها . وكان التلاميذ يقولون عن ذلك وما يشبهه 'معلمى ، رفض ذلك ، ولنا ماذا نقول ؟' . ومع ذلك

فإن للأسئلة في حد ذاتها قيمة نقدية هامة . وهي تعثرت إما بسبب حيرة قلب السائلين من أصحاب التلمود وعمق منطقهم أو لأنها كانت مناسبة للحقيقة العلمية عند الأجيال المتأخرة .

٢- صدى الذكريات

لم يكن التأمل عميقا فحسب ، بل كان صدى الماسورا القديمة يتصاعد بسبب دهشة الكثير من المجادلين . فقد قصد مسند العهد القديم الذين نظموا العمل في الصورة التي عليها الآن الارتقاء بالعهد القديم إلى درجة القداسة المطلقة المتخيلة للزمن والعصور التاريخية . وذلك تشجيعا لإبطال مراجعة الأجيال التي كُتِبَ في عصرها أي سفر من الأسفار . وهذه المعالجة التقويمية التي عملت بعناء كبير وقدرة فائقة هي التي أعاققت عملية البحث للوصول إلى الصورة الأصلية لأسفار العهد القديم . وجعلت عملية فحص الكتابات المقدسة صعبة ومعقدة ، فقد طمست الماسورا الرسمية الماسورا القديمة .

وبناءً على هذا ، لم يكن سهلا بالنسبة للمهتمين بالعهد القديم في عصر التلمود - لولا أنهم وجدوا ضرورة من تلقاء أنفسهم للتنبيه إلى ذلك - التغلب على العقبات الأدبية التي قام بها مدونو العهد القديم إما عن طريق إغفالها أو إظهارها كاستلوب علمي قانوني . ويمكن أن نسمع هنا وهناك في الأقوال القليلة عند المتعمقين في البحث - وفي استفسارات المجادلين ، وشروح أصحاب الأجادا - صدى لصوت الماسورا القديمة التي حُفظت على ما يبدو في نواتج محددة ، وكانت لا تزال تذكر بالصورة القديمة لأسفار العهد القديم قبل أن تدخل في طور التثبيت .

٣- مؤلفو العهد القديم

وكما ذكرنا من قبل ، فإن التلمود بصورة عامة لا يفحص أسماء مؤلفي كل سفر من أسفار العهد القديم . غير أن بعض علماء التلمود حاولوا بقوة الكشف عن شخصية كل مؤلف من المؤلفين : فبحثوا ودرسوا هذا الموضوع بقدر ما استطاعوا . فعندما قرأوا في التوراة مثلا : "ومات هناك موسى عبد يهوه ؟" . جاء عن ذلك في (مناخوت ٣٠ : ١ ، بابا باترا ١٥ : ١) ربما كان موسى حيا وكتب : "ومات هناك موسى؟" أي إلى حد هنا كتب موسى فقط . ومن هنا وما بعد ذلك فمن كتابة يشوع بن

نون، أما في البرايتا القديمة التي ترتب الأسفار المقدسة وتحدد أسماء كتّابها ، فقد تكرر ما يلي : يشوع كتب سفره ^(٢٠١٤) ، (بابا باترا ٢٠١٤) ، ثم تستفسر الجمارا وأملى ومات يشوع بن نون عبد يهوه ^{٢٠} ، وتجيب داسقيا اليعازار ، وأملى ومات اليعازار بن هارون ^{٢٠} داسقيا فينحاس ^(١٠١٥) ، (بابا باترا ١٠١٥) ، وطبقا لأقوال نفس البرايتا فإن صموئيل كتب سفره ، وسفر القضاة وسفر روث ^{٢٠} ، وأملى ومات صموئيل ^{٢٠} داسقيا جاء الرائي وثاثان النبي ^(نفس المصدر) ، وورد في البرايتا عن موسى كتب موسى سفره وقصة بلعام وسفر أيوب ^{٢٠} ، وبما أنه فيما بعد اعتبرت قصة بلعام ليست ضمن تورا موسى ، فهم من ذلك أن كل أسفار التورا لا تنسب إلى موسى بل تنسب له فقط - أجزاء منها .

وعلاوة على ذلك ، فإنه في نفس الوقت ونفس البوايز التي قيل فيها هذا الكلام ، فقد كانت هناك فكرة واضحة ومسلم بها بشأن مضمون سفر موسى ، وهذا التصور لم يكن متسقا بصورة مطلقة مع فكرة "تورا موسى" المسلم بها في أقوال الماسورا . إن استبعاد قسم بلعام عن بقية أقسام التورا يظهر أسلوبا واختلافا بحث البرايتا . وكما يبدو ، فإن هذا الرأي قد استند على النص التالي في ذلك اليوم قُرئ في سفر موسى ... ووجد مكتوبا فيه أن ممونيا ومزايبا لا يدخل في جماعة الله ... لأنهم لم يلاقوا بني إسرائيل بالخيز والماء بل استأجروا عليهم لكي يلعنهم ، وحول إلها للجنة إلى بركة ^(نحميا ١٢: ١-٢) وبعد ذلك برهانا واضحا على أن قسم بلعام مكتوب في سفر موسى . وعلى عكس الماسورا التقليدية التي تنسب إلى سليمان كتابات أسفار الأمثال ونشيد الأناشيد والجامعة ، فإن البرايتا نفسها تؤخر زمن هذه الأسفار وتنسبها إلى حزقيال وجماعته . وبما أن سفر الملوك ينتهي بالمعاصرين لإرميا فإن البرايتا تنسبه إلى إرميا . وعلاوة على ذلك فإن البرايتا تنسب أسفار حزقيال ودانيال وأسفار الأنبياء الاثنا عشر ومجلة أستير لأعضاء المجمع اليهودي الأكبر ، والرأي الذي كان مسلما به كقانون من قبل باحثي العهد القديم يرى أن سفر أخبار الأيام يتضمنان في داخلهما وجهة نظر أبناء الهيكل الثاني ، وأنهما كتبوا بروح الكهانة التي كانت سائدة آنذاك ، وقد توصل دارسو البرايتا أيضا إلى هذا الرأي ونسبوا أخبار الأيام إلى عزرا ، وأشاروا : كتب عزرا سفره ، ونسب له سفر أخبار الأيام . وتظهر حقيقة أن السفرين التاريخيين - الملوك وأخبار الأيام - يبحثان موضوعا واضحا ، وأن الأول منسوب إلى إرميا النبي الثاني إلى عزرا الكاهن . تظهر هذه الحقيقة بوضوح إلى أي مدى تعمق دارسو البرايتا وغدلو في بحثهم ، وما هو الأفضل في رأيهم .

وهناك من الباحثين من لم يكف بأقوال البرايتا ، بل تعمق في البحث في مضمون كل سفر وحجم نتاج كل نبي داخل الأسفار نفسها ، ولم يخشوا إخراج نصوص من عند هذا النبي ونسبتها إلى نبي آخر . فعدلوا في البرايتا نفسها : إرميا كتب سفره ، وفي رايته المراثي (المقدمة ٢٤) تدهش القيد "إلى هنا كانت نبوة إرميا ؟ ربي يعقوب وربي آيا . وسجلت أقوال الربى إلبعازار وربي يوحنا ما يلي . قال الأول حتى "مبدد إسرائيل يجمعه " (إرميا ٣١ : ٩) ويعد ذلك قال بلغة الماضي لأن الرب فدى يعقوب ، وهو ما لا يمكن أن يكون قد قاله إرميا ، وقال الثاني حتى "ولا يوجد رجاء لأخرك بقول الرب . فيرجع الأبناء إلى تخمهم" (١٦ : ٢١) ويقال في (سفرى التثنية ١) كتب إرميا سفرين . الأول من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الخامس والأربعين ، والثاني من الإصحاح الخامس والأربعين حتى الإصحاح الحادي والخمسين ولم يكتب ما بعد ذلك .

ووجد الربى سيمون في سفر إشعيا عبارتين لم يصدرا على ما يبدو عن إشعيا ، ولذلك أصر على إلغائهما ونسبتهما إلى آخر " قال الربى سيمون : رأيي أنه لم يتنبأ بعبارتين ولم يأت بهما في السفر . وتم معالجتهما في إشعيا وهما : "وإن قافوا لكم اطلبوا إلى أصحاب التوايع والعري المشفقين والهماسين (إشعيا ١٩ : ٢٠) ، وأنظر رابا اللاويين (٦) . ومن خلال هذا القول المأثور للربى سيمون نهج بعض الباحثين ومنهم الربى نحمان كروكل (دليل حائرى العصر ، فصل ١١) . ويستنتج من ذلك أن باحثي العهد القديم التلموديين كشفوا عن رأيهم بأن كل مادة الإصحاحات الست والستين في سفر إشعيا ليست من أقوال إشعيا بن أموص . وربما توجد نواة لتكون بمثابة دعم لأقوال هؤلاء الباحثين ، وذلك في ترتيب أسفار الأنبياء الذي تبحثه البرايتا (بابا باثرا ١٤٠) حيث تحصى البرايتا إشعيا بعد حزقيال وذلك على عكس المألوف في الماسورا وعكس أقوال النص الأول لإشعيا . ويمكن أن نفهم أيضا من أقوال فصل مكوت (١٠ : ٢٤) "جاء داود لإقامة وصايا الرب وأصر على إحدى عشرة ... وجاء إشعيا وأصر على ستة لأن نص (إشعيا ٢٢) : السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة ... وجاء ميخا وأصر على ثلاثة ... وعاد إشعيا وأصر على اثنين هكذا قال يهوذا حفظوا الحق وأجروا العدل" (إشعيا ٥٦)

٤ - تداخل أقوال الأنبياء

غير أن هذه الأقوال التي قبلت بتفصيل كاف تُظهر إلى أي مدى اهتم علماء التلمود بتوضيح شخصية المؤلفين ، حتى وإن بدت أقوالهم مناقضة للرأي السائد في المدارس الدينية اليهودية ، فقالوا عن عوبيدا النبي أنه هو نفسه عوبيدا الذي خبأ مائة نبي في مغارة عند إيداء إيزابيل عبادة يهوه (سنهدين ٢٠٣٩) . وفي رأيهم أن يونا بن أمتى الذي تنبأ في نينوى هو يونا بن أمتى من جت حافر المذكور في سفر الملوك الثاني (١٤ : ٢٥) (بياموت ٩٨ : ٢) ، وأن زكريا بن برخيا النبي هو نفسه زكريا بن يفرخيا هو المعاصر لإشعيا والمذكور في سفره (إشعيا ٨ : ٢) (ماكوت ٢٤ : ٢) ، وبحثوا في سفر ناحوم ووجدوا أن العبارة الثانية من الإصحاح الأول لا تتناسب مع الفقرة الثالثة من نفس الإصحاح ، ولذلك أشاروا بأنه يوجد تداخل في الأقوال ، وأن من قال هذا لم يقل تلك (توسفتا زوطه ٩) .

واختلفت الآراء بشأن مؤلف سفر ملاخي فهناك من يقول إنه مردخاي ، وهناك من يقول إنه عزرا (عجيلا ١٠١٥) ، وقد أترك العديد من باحثي العهد القديم التلموديين وأعربوا أكثر من مرة أن سفر المزامير مركب من مزامير مختلفة تعود إلى فترات متعددة ، وأنه لا يمكن أن يكون داود قائلها ، ففي البراينا المذكورة (بابا باترا ١٤ : ٢) اختلفوا فقالوا : "كتب داود سفر المزامير بمساعدة عشرة شيوخ" ، وقالوا بعد ذلك في شكل أكثر دقة "قال سفر المزامير عشرة شيوخ" (رابا نشيد الأناشيد ٤) ، وعندما وصلوا لإعلان أسماء هؤلاء الرجال المتضمنة مزاميرهم في سفر المزامير بدأوا بأنهم وانتهوا بعزرا (المصدر السابق ، رابا الجامعة ٢٩ : ٧) ، ومعنى هذا أنه قد اشترك في تأليف المزامير عدة أجيال مختلفة ومتباعدة عن بعضها البعض ، أي من بداية أدب العهد القديم وحتى نهايته . ولم يكن لدى الباحثين أي صدى للماسورا أو وجهة نظر محددة بشأن إصحاحات محددة ، ولكن المشنا كانت تعرفها (بصاحيم ١١٧ : ٢) "أجاز ربى هليل ما قالوه ؟ فالربي اليعازار يقول قاله موسى ورده بنو إسرائيل وقت وقوفهم على البحر ... ويقول الربى يهوشع" : (هكذا يقرأ نصان كروكمل في دليل حاتري العصر ، فصل ١١) قاله بشوع ورده بنو إسرائيل عندما انتصر عليهم ملوك كنعان ... ويقول الربى اليعازار المودعي : قاله دبورا وبأراق وقت انتصار سيسرا عليهم ... ويقول الربى اليعازار بن عزريا : قاله عزرا وجماعته وقت انتصار سنحريب عليهما ... ويقول الربى عقيبا قاله الربى حننيا مشال وعزريا وقت انتصار نيوخدنصر عليهم ... ويقول الربى يوسى الجليلي : قاله مردخاي وأستير وقت انتصار هامان

عليهم ...، وعلى كل حال فإن داود لم يقله، وسُمع لكل باحث بفحص النصوص .
وعلى هذا الأساس يتم تحديد مؤلفي المزامير وعصورهم سواء تم التأليف قبل عصر
داود أو بعده .

٥ - مثبتو العهد القديم

اشتغل بعض علماء التلمود بقضية تدوين العهد القديم أو تثبيته، وتعمقوا في
هذه القضية وأعربوا عن آراء مدهشة في اكتشافها حتى الآن . وبالفعل فقد أشار
الربى تيمان كروكمل (دليل حائري العصر . في بداية الفصل ١١) إلى المقال المدهش
في عمقه والمتسامي في بساطته والمذكور (في سفرى فصل المكافاة) : "ما أجل
الحدث في حينه . قولا أصغر شافان في عصره . وعزرا في عصره . وربي عقيبا في
عصره لكائن التوراة قد نُسبت في إسرائيل . ويبدو كما لو أن هذه الأقوال قد قيلت
في عصرنا نحن . وذلك بعد أن حدد نقاد العهد القديم المحدثون نظرية القوانين
الثلاثة : الأول في عصر يوشيا (كاتبه شافان) . والثاني في عصر عزرا . والثالث في
نهاية القرن الأول . وعلى كل حال توجد في أقوال التلمود بعض الإشارات الذكية التي
تنسب تثبيت (تدوين) العهد القديم إلى عزرا ومعاصريه . ففي التلمود الأورشليمي
(مجيلا ٨١ : فصل ٥ فقرة ٩) يقال : "من الجدير أن التوراة كانت سوف تعطى إلى
عزرا لولا سبقه جيل موسى" . وفي فصل الآباء لربي ناثان (فصل ٣٤) عدل ويرد
"هكذا قال عزرا . إذا جاء إلى إيلياهو وقال لي لأجل من كتبت . أقول له سبقت
ووضعت عليها التشكيل" .

٦ - الأسلوب

لم يكن الحديث عن الأسلوب مجهولا لدى بعض مفسري العهد القديم
التلموديين ، بل اعتنوا - أيضا - بالصورة اللغوية للأسفار . فقد توصلوا إلى معرزة
القراءة الأدبية بين سفر التثنية وسفر يشوع . فنقرأ في التكوين رابا (١٤:٦) "ثم
صياغة سفر التثنية بأسلوب يشوع" . وهذه القرابة بين المفسرين تم الاعتراف بها
كثيرة في البحث العلمي . ورغم ذلك لم يكن رأيا قريدا . فنجد في نذاريم (٢:٢٢) أن
الربى أدى بر حينا يضم سفر يشوع لأسفار التوراة الخمسة (لولا أن أخطأ بنو
إسرائيل ما منحوا سوى أسفار التوراة الخمسة وسفر يشوع فقط) . وقالوا عن
عاموس : لماذا سُمي عاموس ؟ لأنه كان ثقيلًا في لغته (اللاويين رابا ٢:١٠) . وقالوا عن

تشيد الأناشيد أنه "الأزوع في الأناشيد والأكثر شهرة وتنميكا فيها" (تشيد الأناشيد رابا ١). ونبهوا إلى أهمية دراسية فاعلة في سفر علاخي . فقالوا "معاصرو ملاخي . إنه كان يتكلم وهم بجيدون " (مدراش تنحوما فصل المنح "نروعا") . وقالوا عن سفر يونا إنه سفر روائي ووضعه ليس بين أسفار الأنبياء . فقالوا "ياستثناء سفر يونا الذي هو سفر قائم بذاته" (مدراش رابا العدد ١٨). وبصورة عامة حددوا : "ازدهر أسلوب واحد لبعض الأنبياء" . ولكن لم يتنبأ نبيان بأسلوب واحد" (سنهدين ١:٨٩) .

وعلاوة على ذلك فقد كان منهم من أدرك بأنه دمجت في مادة التوراة بعض الأساطير والأناشيد القديمة جدا . والتي يسبق زمنها . زمن أي سفر من أسفار الكتابات المقدسة . وأنها كانت منتشرة بين بني إسرائيل قبل ذلك . ويسمع صدى هذا الرأي أو تلك الماسورا القديمة في جدل الأمورائيم الأوائل في (جيطين ٢٦٠) سواء منحت التوراة لفيفة لفيفة أو منحت كاملة . وترد في مدراش رابا (الخروج ٢٦:٥) الأسطورة التالية هكذا قال موسى أمام يهوه سبحانه وتعالى . تلقيت سفر التكوين وقرأت فيه ورأيت أعمال جيل الطوفان ... وأعمال جيل بليلة الألسن ... وسدوم " . ويقال في موضع آخر ويتفصيل أكثر يفهم من هذا أنه كان في أيديهم (إسرائيل في مصر) لفائف لفائف أعجبوا بها " (مدراش رابا الخروج ٢٢:٥) .

وخميا يتعلق بالأنشودة الشعبية القديمة " ارتحال التابوت " . أدركوا بالفعل أنها تأليف قائم بذاته وموضوعة في موضع غير مناسب . وقالوا عنها بالتفصيل . ليس هذا موقعها (شبات ٢١١٦) . ويقول الربى شمعون بن جمليل "مستقبلا يحذف هذا القسم من هنا ويوضع في موضعه " . وقيل بشكل أكثر دقة في يوما (١:٧) "يحذف كل هذا القسم : قيل باستثناء هذه العبارة " .

٧ - التناقضات داخل التوراة

وجد النقد العلمي تناقضا بين حدثي الخلق الأول والثاني المذكورين في سفر التكوين وتمت نسبتهما إلى مصدرين مختلفين . وبالفعل فقد شرح باحثو العهد القديم من التلموديين هذا الغموض . ففي حجيجا (١:١٢) انقسم سبط شعائ وسبط هليل . يقول سبط شعائ السماء خلقت أولا . لأنه ورد في سفر التكوين (١:١) "في البدء خلق الله السماوات والأرض" . وأما سبط هليل فيقول خلقت الأرض أولا حيث يرد النص "يوم عمل يهوه الإله الأرض والسماوات: (٤:٢) . ويستفسر المجادل في التلمود الفلسطيني في براخوت (١ : فصل ٥ فقرة ٢٥) عن "أكملت السماوات والأرض" .

وعن كيفية النص في التوراة : هذه موانيد السماوات والأرض ، و يطابق الربى يهوذا النص في التكوين (٢٧:١) "فخلق الله الإنسان والنس" (٢١:٥) "خلقهم ذكرا وأنثى" (كتوفوت ٨: ٢ ، عروفين ١٨: ١) ، وفي موضع آخر سألوا الربان جملليل ، يقول نص التكوين (٢٠: ١) "وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير ... لولا خلقوا من الأرض . ويقول نص آخر (التكوين ١٩: ٢) "وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طير السماء ، لولا خلقوا من الأرض" (حولين ٢: ٢) .

وعلاوة على ذلك أدركوا التكرار والتناقض السائد بين مصدر سفر التثنية ومصادر التوراة الأخرى ، فيرد في سفر التثنية (٨: ١٦) "سنة أيام تاكل فطيرا" : وأما في سفر الخروج (١٥: ٢٢) يرد "سبعة أيام تاكل فطيرا" ، فكيف يكون ذلك ؟ (سفرى فصل المقول ١٢) . ويوجد في سفر الخروج (٧: ٢٤) "مفتقد إثم الآباء في الأبناء" ، وفي سفر التثنية (١٦: ٢٤) يكون النص : "لا تموت الأبناء عن الآباء" . ألا يعنى ذلك تبادلا (براخوت ٢: ٧) . ويرد في سفر التثنية (٦: ١٠) ما يلي "وينو إسرائيل ارتحلوا من أبار بنى يعقان إلى موسى . هناك مات هارون ، فكيف مات هناك ؟ وقد مات في جبل هور حيث يرد في سفر العدد (٢٨: ٢٢) "قصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك التمود الأورشليمي يوما ١١ الفصل ٥ ، الفقرة ٣١) ، ويرد في سفر الخروج (٢٠: ١٩) النص التالي : "وهبط يهوه على جبل سيناء إلى قمة الجبل" ، أما في سفر التثنية (٢٦: ٤) يكون النص : "من السماء أسمعك صوته" (سفر اللاويين ١) .

وقد توصلت مدرسة فلهاورن إلى هذه الاختلافات الموجودة في قوانين التوراة المرتبطة بقواعد العبادة ، والتي على أساسها قسمت التوراة إلى مصادر مختلفة ، ولم تكن هذه التغييرات مجهولة عند بعض الأمورائيم ، بل أشاروا - أيضا - إلى عصور تدوينها : مرة ثانية ، يقول الربى بشمعييل ، قيلت عامة في سيناء ، وفصلت في خيمة الاجتماع : ويقول الربى عقيبا قيلت شاملة ومفصلة في سيناء ، ومرة ثانية في خيمة الاجتماع ، وللمرة الثالثة في صحراء مزاب (حجيجا ٢: ٦ ، ذياحيم ٢: ١٠) ، ويفسر الربى شلوميو يتسحاقى قائلا : "قيلت العديد من الأوامر غامضة في سيناء ... حيث لم تفصل هناك قواعد العبادة كلية باستثناء ما هو ضرورى : "مذبحا من تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك" (الخروج ٢٠: ٢١) ، وأما في سفر تورا الكهنة أى سفر اللاويين فقد عُسرت كل قواعد القربان ، ويشمل أوامر كثيرة (حجيجا ٢: ٦) . ثم يظهر ميخا يوسف برديتشفسكى الذى تعمق في نهاية حياته في بحث أصول نقد العهد القديم عند اليهود ، وأدرك أن ابن عزاي حدد في مقال له ، أن كل مصادر

التوراة لم تذكر اسم الرب بدرجة متشابهة . ومن خلال فحص ابن عزاي وجد أن كل القرايين المذكورة في التوراة لم تذكر الله أو إلهك ، ولا شداي ولا رب الجيوش بل تذكر اسم يهوه (سفرى العدد ، فصل ١٤٣ ، وأنظر أيضا متاحوت ١٠: ١٠) . ويضيف برديتشفسكى هذه الملاحظة لابن عزاي قائلا "في الأولى والأساسية في نقد العهد القديم" .

٨ - التناقضات بين أسفار الأنبياء الأوائل وأخبار الأيام

إن التناقضات العديدة التي بين سفرى أخبار الأيام وأسفار الأنبياء الأوائل لم تكن مجهولة في رؤية مفسرى العهد القديم التلموديين .

وهكذا ، يسأل المجادل في التسوفتا (زوطه ١٢) بهذا الأسلوب : يقال في سفر أخبار الأيام الثاني (١: ١٦) في السنة السادسة والثلاثين لملك أسا صعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا وبني الرامة ، فكيف يكون هذا القول هنا : أو لم يكن أسا قد دفن بعشا في السنة السادسة والعشرين ، حيث يرد في سفر الملوك الأول (٨: ١٦) "وفي السنة السادسة والعشرين لأسا ملك يهوذا ملك أيله بن بعشا على إسرائيل ؟" ثم يضيف متمسكاً : يقال في سفر الملوك الثاني (١٧: ٨) "كان ابن اثني وثلاثين (يهورام) سنة حين ملك ، وملك ثمانين سنة في أورشليم" ، ويرد في أخبار الأيام الثاني (٢: ٢٢) "كان أخزيا (ابنه) ابن اثني وأربعين سنة حين ملك ، وملك سنة واحدة في أورشليم" وهكذا ، فكيف يكون الابن أكبر من أبيه بسنتين (زوطه ١٢) ؟

وفي موضع آخر يرد النص "فاشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلاً من الفضة" سفر صموئيل الثاني (٢٤: ٢٤) . أما في أخبار الأيام الأول (٢٥: ٢١) يرد النص التالي "ودفع داود لأرنان عن المكان ذهباً وزنه ست مائة شاقلاً" (سفرى ٤٢) . ويقول النص في الملوك الأول (٦: ٥) "وكان لسليمان أربعون ألف منود خيل" . وأما في أخبار الأيام الثاني (٢٥: ٩) يرد النص "وكان لسليمان أربعة آلاف منود خيل" (سندريين ٢: ٣٩) وكثير مثل ذلك .

٩ - وثيقة تاريخية أم تأليف أدبي ؟

إن هذه التناقضات التي قدمها بعض باحثي العهد القديم التلموديين تؤدي إلى رأي عام هو : أنه بقيت داخل الكتابات المقدسة روايات يجب أن تعالج بحذر ، لأنها

على أساس المنطق الصحيح من المستحيل أن تكون صريحة في كل تفاصيلها ، ففي سفر التكوين (١٤: ٢١) "وأعطاهما لهاجر واضعا إياهما على كتفها والولد وصرفها" ، ابن سبع وعشرين سنة وقلت وضع على كتفها" (التكوين رابا ١٧: ٥٢) ، وفي موضع آخر "كم كان إبراهيم أكبر من سارة ؟ عشر سنين ، وكم كان أكبر من أبيها ؟ سنتين . نسي أن أنجبت سارة لهاران ، في الثامنة أنجبها" (سندرين ٢: ٤٩) ، أو وربط إسحاق - هل يمكن للإنسان أن يقيد ابن سبع وثلاثين سنة ؟ (التكوين رابا ١١: ٥٦) . أو "يستعبدون لهم . فيذلونهم أربع مائة سنة - وليس لدينا سوى اهبطوا" (تشيد الأناشيد رابا ١٩: ١٠٠) . ليس هذا فحسب بل إن بعضهم افترض أن النسخة الموجودة لدينا بها أخطاء كثيرة ، وسمحوا لأنفسهم عند الضرورة بتعديل النصوص فقال رئيس المشيئة لا تقرأوا "سطحوا" (العدد ١١: ٢٢) ولكن "ونبصوا" (يوما ٢: ٧٤) ، وقال ربي يهوشع بن قرحه لا تقرأ "مساطح" بل "تبسحة" (نفس المصدر) وسمحوا لأنفسهم في بعض الأحيان بإلقاء الشك حول القيمة التاريخية في أي سفر من أسفار العهد القديم أو أي رواية تاريخية فيها . ففي سفر حزقيال قصة عن إعادة إحياء العظام غريب في سندرين (٢: ٩٢) "الأموات التي أحيأها حزقيال كانت مثلا" ، وقالوا عن سفر أيوب "يتكرر ذلك من المعلم بحضور الرب شموئيل بر نعماني ، ويكرر ويقول إن أيوب لم يكن ولم يخلق بل إنه كان مثلا" . ويتضح الهدف أكثر في نهاية هذه المقالة بأنهم عرّفوا التمييز بين الوثيقة التاريخية والنتاج الأدبي داخل روايات العهد القديم . وعندما سئل شموئيل بر نعماني عن المعلم ، قال عليك أن تقرأ كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب أجابه: "فقط من الآن وللجاهل لا شيء لأن إذا شاة واحدة صغيرة ... ما هو إلا مثل بصورة عامة ؟ (بايا باترا ١: ١٥) .

وهناك من اعتبر نشيد الأناشيد عملا دنيويا ، ولذلك فهناك من قرر أن نشيد الأناشيد لا ينحس الأبدى (مجلة ١: ٦) ، وفيما يتعلق بمجلة أستير هناك من لا حظ أن مضمون هذه المجلة ليس مقدسا في أصله ، وعن ذلك "قال الرب يهوذا قال شموئيل أن أستير لا تنحس الأبدى" (المصدر نفسه) ، وكما يبدو كان الرأي السائد أن مضمون هذه المجلة لم يكن مقدسا في الأصل . ولكن بعد أن بحث العديد من التناخيم (اليعازار والربي عقيبا والربي منير والربي يوسي بن نور مسكيت وشموئيل) ثم بحثوا وكرروا البحث في كل ما يبرهن على أنها قبلت بروح القداسة . ولكن وجد عن يدافع عن رأيه بأنها وثيقة تاريخية تحكي عن حدث مشهور بين الأمم (فقال الرب شموئيل بر يهوذا

أرسلت أستير للحكماء : ضعوا حدا للأجيال . فأرسلوا لها ، حقد كبير بيننا وبين الأمم : فأرسلت لهم : منذ زمن كتبت أنا أخبار الأيام للوك مدائ وفارس : (مجله ٦ : ١) ، ولم يرفض أحد غيري إلقاء الشك على الأساس التاريخي لهذه المجلة ، وقيل عنها : إنها منحت لموسى في سيناء (التلمود الأورشليمي مجله ١ فصل ٥ ، فقرة ٣١).

وعلاوة على ذلك فقد رفضوا أيضا القيمة التاريخية لمجلة روث وفسروها بأسلوب حرفي (إيمالك - الذي قال يأتي إلى الملكوت - نعمي - التي كانت أصعاليها جميلة ورقيقة ، مطون - الذين مرضوا من العالم - كليون - الذي أفنى من العالم - عرفه - التي وجهت العنق بروث التي رأت في الأحداث سخريتها - بابا باترا ٩١ : ٢ ، روث ربا ٥)

١ - التفسير الرمزي

وقد حددوا قواعد عامة للتخلص من أي ارتباك للتناقض بين العديد من روايات العهد القديم وتعبيراتها وبين الفهم الصحيح أو الملاحظات التاريخية ، ومن هذه القواعد :

- أن أحداث التوراة لم تعط مرتبة (مداش المزامير ٣)
- أنه لا يوجد هناك متقدم ومتأخر في التوراة ، وأن التوراة تحدثت بلغة البشر (نياحيم ١٠٨ : ٢ ، نيدا ٢ : ٤٢ ، براخوت ٢ : ٢١ ، بابا مصيضا ٢١٩٤ ، سنهدرين ٦٤ : ٢ ، جيطين ٢ : ٤٦ ، وما يشبه ذلك كثير)
- وذهب آخرون أبعد من ذلك ، وقالوا : تحدثت التوراة بلغة المستقبل (حولين ٢ : ٩٠) ، ولم يتورع الربى يوسى من تقرير "منه الأزل لم يهبط الوحي الإلهي إلى أسفل ولم يصعد موسى وإياهو إلى السماء ، لأن السماء سماء يهوه ، والأرض منحت للبشر" (سوكه ١ : ٥).

وقد تعمق هؤلاء الباحثون وساء وجنوا أو لم يجنوا في شكهم التبريرات التي قالها أصحاب الجمارا ، فما هي الآراء التي افترضوها لرايهم ؟ وإذا ضمت هذه الآراء في أسلوب متحد في فهم العهد القديم ، فما طبيعة هذا الأسلوب ؟ . أو ربما لم يكن هناك أسلوب ، أو لم تتل الإجابات رضاهم ؟ . ولا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات على أساس المادة التي بقيت في داخل أدب التلمود . غير أن دحض الآراء

واستباطها كان من أجل التأكيد الفعلي على أن كل الأفكار المُسلم بها في أقوال الماسورا لم تجد اطمئنانا في عصر التلمود، وأن العديد من مفسري التوراة التلموديين أصحاب منطق سليم وإحساس نقدي صحيح . وقد أدركوا وجود ثغرات عديدة داخل العهد القديم الموجود عندنا . وقد توصلوا إلى هذه الثغرات . لكنهم كانوا يعملون على إخفائها ، وإيجاد مبرر لذلك .

١١- تدهور النقد

غير أنه قد هدأت الأنفاس بعد تدوين التلمود ؛ فتوقفت الأسئلة والأفكار حول نظرية النقد في فلسطين . وتأسست سلطة الماسورا التي سادت في أدب التلمود وألقي حجاب على الأقوال المتناثرة فيه . وقد زاد انتقال المركز التلمودي من فلسطين إلى بابل من قداسة الكتابات المقدسة التي هي ثمار نتاج بني إسرائيل في فلسطين ، كما هي معطاة وموجودة ، وهدأت الرغبة في النقد . وظل النقد ضعيفا لمصور طويلة في أدب اليهود .

أما في أدب المدرش الذي استمر وتشعب آنذاك إلى جوانب عدة ، فقد وجدت الشكوك والأفكار حصنا لها ، وبحثوا لها عن مغزى في تفسيرات الأجداد . وقد كشف أسلوب التفسير الرمزي لأقوال النصوص عن أفكار ورموز غامضة ، ولكن ليس بالنسبة للأعمال التاريخية الحقيقية . وانتقل هذا الأسلوب المجازي من فلسطين إلى الإسكندرية في مصر ، ومنها توغل ودخل في الأدب العبري وامتد في كل أدب المدرشيم . ومن المحتمل أن هذا الأسلوب المجازي هو الذي ترك رأى بعض الشاككين في ذلك العصر . غير أنه لم يتم الوصول إلى بناء علمي . وفي ثلثيا هذه الصورة المبهمة التي صبغت أدب العهد القديم ، فإنه لا يزال يوجد هنا وهناك صدى للشكوك وتذبذب آراء المفسرين .

وبما أن الصلة بين النصوص والواقع قد قطعت . ولم تصبح سوى أمثلة ورموز لأحداث عظيمة لا تمت للقانون بصلة ، فقد زالت منها الصعوبات وثبتت كل التناقضات . وحقت حدة البحث النقدي ، والشوق إلى معرفة أسلوب العهد القديم في حياة الشعب التي فقدت في عصر العهد القديم .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الثالث

المحافظون والمعارضون



١- ناشرو التلمود

استمرت عملية التطور التدريجي للاعتراف بالتلمود ونشروحه وانتشاره بين شتات السبي مئات السنين ، فقد انهمك فيه رؤساء التوراة الموجودون في بابل بكل قوتهم وسلطتهم ، وأصبح تفسير التلمود ونشره المهمة الرئيسية لزعماء المدارس الدينية اليهودية في بابل . وقد اضطر مؤسسو الأدب التلمودي مرة أخرى - بهدف تدعيم عملهم - إلى التفاوض عن الصور المركبة للعهد القديم ، وقفل ذلك أيضا مروجو التلمود وناشروه ، فقد التزموا بآلا يثيروا كلفة أى سؤال أو بحث عن بناء العهد القديم الذي يمثل أساس عمل التلمود ، حتى أنهم قبلوا أقوال الماسورا السائدة كما هي ويلبون أى شك .

ولم يكن هذا عملا سهلا . وقبل أى شئ ، كانت المطالبة بحفظ المظهر الخارجى للتوراة وموضوع نصوصها . وعلى أساس من الأسفار الأربعة والعشرين سفرا تم إعداد أدب شامل ومتنوع ، وثقافة دينية مرتبطة في حد ذاتها بمعجزة وأمانة نساح مختلفين منتشرين في كل جهات السبي . فإذا كان سفر الأسفار الذى هو أساس هذا البناء الضخم ذى القيمة الكبيرة . لا يزال يتطور ويتشعب ويتشعب ، ألم يكن من الأجدر أن يكون هو نفسه ثابتا ووثيقا سليمة في كل حروفها وعلامات تجويدها . ولذلك فقد أصبح إرث الفترة الجديدة هو هذا العمل من التعديل وتثبيت الأساس ، وقد كان عملا عظيما متشعبا ووافر النتائج .

وكان وضع التشكيل بداية عمل أبناء هذا العصر . ولأجل هذا الهدف اضطروا إلى مراجعة نسخة النصوص تحت مجهر النقد والمقارنة ، بهدف تنقيتها وتثبيتها على أساسها الصحيح . ويعد وضع التشكيل هو الحدث الأكثر أهمية في تاريخ نص العهد القديم ، وذلك بعد حدث انتقال الكتابة من الخط الأصيل إلى الخط الآشورى .

٢- واضعو التشكيل

بدأ العمل في وضع التشكيل في النصف الثانى من القرن الثامن واستمر لمدة مائتى عام . وينسب وضع الأساس لهذا العمل الكبير لكل من فينحاس رئيس المدرسة الدينية اليهودية آنذاك ، وأشير الشيخ في طبرية . وقد استغرق هذا العمل أجيالا من الباحثين والنساح الذين منحوه جل اهتمامهم ، ونشأت حركات اختلفت في نظامها . ففي بابل كان النظام الشرقى . وفي فلسطين كان النظام الغربى . وقد تم هذا العمل

على أساس الماسورا الياقية في كلام التلاميذ والقارئ والموروثة من جيل إلى جيل ، وساعد كثيرا في وضع التشكيل مقارنة المخطوطات المختلفة والنسخ التي وصلت إليهم، ولكن اضطروا أحيانا إلى الترجيح بناءً على راحة رأيهم وعمق تصورهم .

وقد رأوا في أكثر من ألف وثلاث مائة عبارة من عبارات العهد القديم ضرورة تغيير النص المسلم به ، ووضعها إما في المكتوب وغير المقروء أو في المقروء وغير المكتوب . ووجدوا في اثنتين وعشرين عبارة أشياء محذوفة لم يستطيعوا إكمالها فأشاروا إليها بـ "يسق" في منتصف الفقرة . وإذا أمعنا النظر في قائمة التغييرات الموجودة بين نص الماسورا وبين نسخة النصوص كما هي محفوظة في الأدب التلمودي والترجميم ، نجد أن عدد هذه التغييرات يزيد عن الآلاف . وحدثت هذه التغييرات في إبدال الحروف والنبر والأسماء ، بل وإبدال عبارات كاملة تغير قصد النصوص، وهكذا يمكن إدراك كم كان كبيرا العمل الذي أدخل في هذا البناء الشامل ، وما هو صدق الملاحظات النقدية للعديد منها .

وتبلور هذا العمل فقط في نهاية القرن العاشر ليأخذ شكل نتائج محددة في بابل وفلسطين . وقد بدء تثبيت الماسورا في عصر ربي موسى بن نفتالي في بابل ، وفي عصر ربي إهرون من سبط أشير في طبرية ، والذي كان حاملا لقناع الماسورا في فلسطين . وبالفعل فقد وضع هذا التشكيل الأساس الثابت لبحث اللغة العبرية ، وخاصة علم العهد القديم في العصر الوسيط داخل فلسطين وخارج حدودها .

٣- تغييرات نسخ العهد القديم داخل التلمود

غير أنه إذا كان بجمع البيض تصبح الخراشيب ، فإن التلمود على العكس من ذلك فقد جمع شتات اليهود تحت لوائه . فالماسورا التي حفظت في اتجاهات متنوعة في الحياة قد رفضت الخضوع لسلطان النتائج الجديدة التي تصدرت في المدارس الدينية اليهودية الرسمية وجمعت في أقوال التلمود . ولذلك فقد حدثت هنا وهناك تناقضات، ومبر عنها في أشكال جماعات منظمة لم توافق على قبول سلطة التلمود ومروجيه ، وتشجع الزعماء المتحدثون منهم في إثبات أن قواعد التلمود لا تناسب بدرجة ملائمة أقوال التوراة . وأن تفسيرات النصوص المقروءة المسلم بها تنشد الحقيقة، وتلك المباحثات التي ثارت بسبب التلمود تسببت بصورة غير مباشرة في تطور بحث العهد القديم. فبحث هؤلاء باسم العهد القديم للبرهنة على قداسة التلمود،

وباسم العهد القديم ظهر أيضا المعارضون لهذا الرأي، وساعد في توسيع هذه الحيرة الدينية الشاملة التي سادت الشرق انتصار أنصار دين محمد ﷺ بالإضافة إلى التشعبات الدينية والاجتماعية داخل الجماعة اليهودية المشتتة ، ولذلك بحث العديد من الضالين روحيا عن علاج لهم في سفر الأسفار

٤- انتشار التلمود

وكما حدث للتلمود الذي لم تخضع له كل طوائف اليهود دفعة واحدة ، كذلك حدث للماسورا التي هي نتاج أصحاب التشكيل : غترايد في المجالين المتمردون والمعارضون . وفقدت كلية الغالبية العظمى من هذا الأدب ، وحافظت الأجيال التالية فقط على الأقوال التي تم الاعتراف بها وتقديسها ، أما أقوال المخالفين ، فمن يجمعها ومن يحفظها ؟

ورغم كل هذا فقد تسرب إلينا صدى لبعض هذه الأقوال ، وذلك إما عن طريق الذين عارضوهم أو عن طريق أولئك الذين حاربوهم في كتاباتهم ، وعلى هذا الأساس حافظوا عليها حتى لا يفقد ذكرها للأبد . غير أن هذه الآثار المتفرقة التي أُنقذت بمعجزة داخل أنب غريب كانت كافية أيضا لتؤكد إلى أي مدى تزايد العديد من أبناء هذا الجيل الذين انهمكوا في دراسة أقوال العهد القديم ، وإلى أي مدى كان عمق النقد آنذاك .

٥- القراؤون

وبقوة سلطان عنان بن داود - المعروف بصفتة زعيما للقرائين - نجح آنذاك في تجميع العديد من بقايا الفرق الدينية الموجودة في فلسطين في ذلك العصر سوريا ، وحشد حوله كل أولئك الذين التمسوا بحث العهد القديم على أساس "التقاليد الموروثة" (أي تراث الآباء والأجداد) ، المتوافر عندهم . ولم يرغبوا أن يعملوا تحت سلطان التلمود . ولذلك حذر عنان تلاميذه وألزمهم أن يفحصوا التفسير ببساطة . ويكل تأكيد فإن تراث الآباء - أي الماسورا التي كانت سائدة عند جماعات مختلفة في فلسطين - لا تناسب الحقيقة التاريخية أكثر من أساليب البحث التي كانت سائدة عند حكماء التلمود فيكفي أن طرق البحث التي أظهرها عنان قد أفادت في تطور بحث العهد القديم .

غير أن الحرب التي اندلعت بين القرائين والربانيين والتي استمرت سنوات عديدة قد تسببت - كما ذكرنا آنفاً - في إثارة روح النقد . ونخرج كتاب العهد القديم عن حيز الحكماء والمتعلمين ، ووضع في مركز الجدل العام . ويعنى ذلك أنه بمرور الزمن لم يعد ممكناً ألا تظهر مرة ثانية التناقضات العديدة من وراء قناع التفسيرات والتعليقات التي أراد علماء التوراة تثبيتها مئات السنين . وعرقلت هذه التناقضات وغيرها الحائقين من باحثي العهد القديم من حكماء التلمود ، غير أنها خرجت مرة ثانية من مخابنها وتمت المطالبة بتعديلها .

٦- مشوى هعخبى

في النصف الثاني من القرن التاسع وجد مشوى هعخبى ، مؤسس طائفة دينية فريدة في فلسطين ، شغرات في ماسورا أبناء طبرية ، فبرز لحاربة الرأي المألوف بشأن المقروء ، والمكتوب ، وليس هذا فحسب بل سمح لنفسه بالتعديل في نص العهد القديم ، وتعير كلمة بأخرى ، وإضافة عبارات طبقاً لرأيه . وبقيت بأعجوبة بعض من آرائه المثيرة للاهتمام ، ففي سفر التكوين (٨:١) "وَكَمْ قَابِلِينَ هَابِيلُ أَخَاهُ وَحَدَّثَ أَنْ كَانَ فِي الْحَقْلِ" . وقد أدرك القدماء بالفعل فقدان الربط بين قسمي هذا النص ، كما توسع أصحاب الأجادا في تفسير ذلك . ويقترح مشوى هعخبى بدلاً من التفسيرات المتباعدة تعديل النص ليصبح : "وَقَالَ قَابِلِينَ لِهَابِيلَ قَمْ تَخْرُجْ لِلْحَقْلِ وَحَدَّثَ أَنْ كَانَ فِي الْحَقْلِ" . لأنه كان وثاقاً أن هذا النص كان مكتوباً هكذا في التوراة فيما مضى . وفي الواقع ، يقال بوضوح في نسخة التوراة المحفوظة عند السامريين "نذهب إلى الحقْل" وهذا هو نفس الحكم في الترجمة السبعينية والترجمة السريانية للتوراة والترجمة الأثيوبية والفولجاتا (الترجمة اللاتينية للعهد القديم) . وفي نهاية قائمة أبناء يعقوب الذين هبطوا مصر ، يرد في سفر التكوين (١٥:٤٦) "جَمِيعَ نَفُوسِ بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ ثَلَاثَ وَثَلَاثُونَ" ويعدل مشوى "اثنان وثلثون" حيث نجد ارتفاع عدد الرجال المعدودين في القائمة . وفي الخروج (٢٥:١٦) يقال : "وَأَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ... حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ كَنْعَانَ" ، ويقترح مشوى بدلاً من ذلك أن يقرأ : "وَيَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَنْ ... وَكَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَاسُورَا جَاءَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَتَضَمَّنُ الرَّأْيَ بِأَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ كَتَبَتْ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى" .

تلك التعديلات وما شابهها قليل مما وصل إلينا وهي تشهد بأنه ، كان لمشوى وتلاميذه أسلوب في فهم تاريخ العهد القديم يختلف عن الأسلوب المألوف . لكننا نسمع

رأيه هنا ، وهو أن النسخة المعترف بها ليست بالغة حد الكمال كما ينبغي أن تكون ، ومن المحتمل أن بعض النصوص قد شوهت أو بترت بمرور الزمن . لذلك فإن الحاجة للتعديل حقيقة لا مفر منها .

ولم يكن ذلك مقصوراً فقط على مشوي. فقد اتبع هذا الأسلوب معاصره موسى الزعفراني المعروف بالاسم العربي ابن عمران التفليسي أو موسى بن عمران الفارسي، الذي أسس طائفة دينية جديدة. وتابعهم يهوذا الفارسي وابن روطه. وقد ذكر أبراهام بن عزرا في تفسيره بعضاً من تفسيراتهما المعارضة للماسورا (الخروج ١٢: ٢، ٢١: ٢٠، ٢٥: ٢١، ٢٨: ٢٢، اللاويين ٩: ٦٥، العدد ٢٩: ٢ رسالة السبب ١)، ولا شك أن عديدهم تزايد آنذاك، غير أن أسماءهم وتعبيراتهم لم تصل إلينا.

٧- حيوي البلخي

ويعتبر حيوى البلخى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى واحدا من أكثرهم أهمية، وعرفناه من خلال أقوال الذين عارضوه وقاموا بالإجابة على انشغالاته وبخاصة أقوال الربى سعديا جاثون.

وطبقاً لأقوال الربى سمعياً جازون المحفوظة فى أقوال الربى يهوذا بن برزبلى
 لسيفر الخلق فإن حبوى البلخى ألف كتاباً قائماً بذاته يشمل "ماتتى ادعاء" ضد
 الكتابات المقدسة . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ، غير أن بعض ادعاءاته ميعثرة فى أدب
 ذلك الجيل وقام بجمعها مع بعضها البعض س. فوزننسكى، وبعد ذلك ي. بافيسون .
 ومع ذلك لم يكن حبوى البلخى باحثاً للمقرا طبقاً لمفهوما . فالعديد من آرائه التى
 وصلت إلينا تتصل أكثر بقضايا دينية ووجود الألوهة . ومع ذلك فإن موضوع أبحاثه
 فى المقرا تشجع على أسلوب البحث الحر فى الانحراف عن أقوال الماسورا ، والتحرر
 من الآراء المسلم بها

٨- سفر الأنبياء

ومن خلال آرائه القليلة التي وصلت إلينا تسرب الشك بأنه في فترة متأخرة كان هناك من أدخلوا داخل التوراة أقوالاً مختلفة غريبة عن روح التوراة فزيفوها . وبلا شك فمن الواضح أنه لا يقول مثل هذا وبعض الشكوك التي أمامنا مصاغة فقط بمثابة

أسئلة قحسب ، وقد توصل إلى بعضها باحثو العهد القديم من حكماء التلمود ، ومنها على سبيل المثال تساؤل حيوي بشأن ميلاد حيرام : ففي سفر الملوك الأول (١٤:٧) يرد النص : "هو ابن امرأة أرملة من سبط نفتالي" ، أما في أخبار الأيام الثاني (١٣:٢) يشير النص أن حيرام كان "ابن امرأة من بنات دان" ، وتفسر الجصارا (عروفين ٢:١٥) هذا الغموض بتخصين أن أبي حيرام كان من سبط نفتالي وأمه من بنات دان . ولا نعرف ما هي النتائج المترتبة من تساؤل حيوي عن هذا التناقض.

وعلى ما يبدو فإن حيوي سعى لتقريب المعجزات إلى العقل وشرحها بأسلوب علمي . وعلى هذا يقتبس ابن عزرا أقوال حيوي المرتبطة بشأن انشقاق البحر الأحمر (خروج ١٧:١٤) وهي : "أن موسى عرف زمن انحسار المياه بهبوطها وزمن تزايد المياه في ارتفاعها واستمرارها . وقام بالعبور بالشعب أثناء انحصار المياه طبقا لنظريته ، وأما فرعون فلم يكن عارفا بأسلوب المياه على طبيعتها" ، ويوضح ابن عزرا في موضع آخر رأى حيوي فيما يتعلق بهبوط المن (خروج ١٢:١٦) فيقول ، إن المن "هو المعروف بالاسم الفارسي تونجفين" ، وفي اللغة العربية "من" واللغة الأجنبية "منا" وطريقة هبوطه حتى اليوم في الصحراء . كما يوضح حيوي أيضا عبارة : "جلك وجهه صار يلمع" (الخروج ٢٤: ٢٩) قائلا : "سبب أنه لم يأكل خبزا صار وجهه يبسا مثل الجلد" (تفسير ابن عزرا ، نفس المصدر) .

٩- دفاع الربى سعديا جاؤون

لا تظهر آراء مشوى هعبري القليلة التي بقيت أهمية نقدية ، بل تظهر قيمته النقدية من خلال آراء الذين خالفوه . ومن المؤكد أن تأثيره كان كبيرا في عصره ، لأن الرب سعديا جاؤون رأى أن من واجبه نشر كتاب خاص بالعبرية ضد شكوك حيوي ، وعلماء القرائين ، وكتب أيضا - ضد ابن عمران التفليسى ، وأسهب الربى سعديا جاؤون في كتابه "الأمانات والاعتقادات" الحديث في المقالة الثالثة فيما يتعلق بـ "الأثنتا عشرة مسألة المحيرة لقلوب البشر والتي تفسد عقيدتهم" في الكتابات المقدسة .

ولم يبتدع الربى سعديا المسائل من عنده بل استمدتها من داخل الحياة ، ومن بينها قضايا تناقضات بارزة بين الروايات الموجودة في سفرى الملوك ، وتلك الموازية لها في سفرى أخبار الأيام (ففي الملوك الثاني ٢٦:٨ نجد أن أحرزياهو بن يورام ملك وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، أما في أخبار الأيام الثاني ٢٢:٢٢ وهو ابن اثنتين

وأربعين سنة) . وكذلك التناقض بين روايات سفرى أخبار الأيام وروايات سفرى صموئيل (ففى سفر صموئيل الثانى ٩: ٢٤ يرد النص "فكان إسرائيل ثمان مائة ألف ذى بأس مستلئ سيف" ورجال يهوذا خمس مائة ألف رجل" ، وأما فى أخبار الأيام الأول ٥: ٢٦ فإن النص يكون على النحو التالي "فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل مستلئ السيف ، ويهوذا أربع مائة وسبعين ألف رجل مستلئ السيف" وما يشبه ذلك) .

وعلى ما يبدو فقد أثمرت تلك الثورة النقدية آنذاك عن حركة كبيرة أسست أدبا كاملا تسرب من أسوار المدارس ، وهافو الربى أبراهام بن دافيد يذكر حيوى بقوله: "الذى ابتدع تورا من عنده" ، يؤكد أن معلمى الأطفال كانوا يعلمونها فى الكتب والألواح إلى أن جاء الربى سمعيا وحضها" وأكد س. فوزنسكى أنه لم يقف على رأى تعلم الأطفال من كتاب الشكوك الذى ثار ضده الربى سمعيا جازون . ليس هذا فحسب ، بل إن حيوى قد ألف كتبا وألواحا أخرى خصصت لمعلمى الأطفال وفيها أفتى أن يدرس العهد القديم بناء على منهجه .

وبما أن كتب حيوى كانت تدرس فى المدارس واستمرت ست مائة سنة بعد موته وخارج موطنه فقد كان تأثيره كبيرا على سجرى النقد الذى غمر آنذاك معسكر فلسطين .

والواقع ، لم يتوقف تتبع تأثير نقاد ذلك العصر طويلا ، حيث قام بعدهم تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وواصلوا بقوة الرؤى التى استنبطها معلمهم فى مجالى البحث والنقد .

وقبل بضع سنوات وجد البروفيسور شاختر فى وثائق الجنيزا القاهرية اثنتى عشرة صفحة كتبت فى فلسطين فى القرن الحادى عشر طبقا لرأى فوزنسكى . وداخل هذه القطعة المكتوبة شعر بلغة عبرية سليمة ، لم يقدم المؤلف ليعلن آراءه الخاصة فحسب ، بل ليصدر باسم جماعة كاهنة قوله : "سخطا سخطت لتقدیس طائفتى" . وثار يتهم بسخرية حادة ومزيرة كل حكماء العصر ويأخذى العهد القديم فى عصره لتقبيدهم أنفسهم فى دائرة بحث النبر ووضع الماسورا ، وإحصاء الحروف وتحديد الاختصارات ، وطبقا لتخمين د. كاهانا فإن اسم المؤلف اليعازار بن عزريا واسم زعيم جماعته - بن بروكه - التى ادعى باسمها . وثار بسخرية حادة ضد زعماء المدارس الدينية اليهودية ورؤساء السهدرين وتلاميذهم الذين اعتقدوا أن "العهد

القديم إرث لهم ، وهم حراس التلمود والمشنا . أما باحثو التوراة القليلون الذين اكتفوا بقواعد النبر ، والجدل حول التشكيل ، فالتقوا حول علامات التجويد ، مرتبتها وطولها ، كما شغفوا بالنبر وأسهبوا في الشعر ، وخارت قوتهم مثل الأصم ، وأطالوا حركاتها .

فيتوجه لكل هذه الأقوال قائلا : "نعرف العهد القديم بكل صورته ، ولا يهمل أمر من البداية حتى النهاية ، ونادى أهل توجد إجابة" ثم يفصل تساؤلاته وشكوكه الواحدة تلو الأخرى بداية من أول أقسام سفر التكوين ، ولا تتصل كل الأسئلة بموضوعنا . فالعديد منها يبحث سر الخلق وإرادة يهوه سبحانه وتعالى ، وحساب السنين ، والتأكيد على الوصايا ، غير أن العديد منها أسئلة متعثرة تؤكد صدق السائل في كتابه لأنه يقول قرأت العهد القديم من بدايته حتى نهايته ... حتى نهايته شفويا مرات أجريت فصي ليسرع عن الصمت .

ولم يتم التعرف فقط على صحيح العهد القديم ، بل أيضا إدراك التناقضات والمواضع الصعبة التي تتطلب مزيدا من التوضيح ، كما تم التعرف أيضا على أقوال الباحثين السابقين له ، فنجد أيضا في استفساراته اقتباسات من أقوال حكماء التلمود في هذه القضية ، وكذلك عبارات من تساؤلات حيوى ، ولم يكن عبثا أن يسعى المستفسر أن يكون علم العهد القديم لتفسير العهد القديم . وأدرك أن سفرى أخبار الأيام تكرر للأحداث المعروفة بالفعل في بقية أسفار العهد القديم ، لذلك يتعجب ويستفسر : "عملية إحصاء مزبوجة للمسيبيين وبناء الهيكل ، وصلاة كاتب الأمثال ، ومحاربي داود ، وإحصاء إسرائيل ، وموت شاول ، كل ذلك مزبوج ، فماذا نتعلم ونستفيد منها ؟ . وليس هذا فحسب ، بل أيضا موت يوشع وضمونيل ، وقدم سنخريب ودمار الهيكل ، "والعديد من الأحداث التي ليست مقدسة ، فلماذا حدث الازدواج والتكرار في العهد القديم ؟ .

ولم يكشف فقط التكرار في سفرى أخبار الأيام ، بل اكتشف أيضا روايات مفصلة عن الأحداث المعروفة لنا من الأسفار التاريخية الأخرى ، فيتابع ويحصي التناقضات المتكررة المرتبطة بسنوات ملك أسا (الملوك الأول ١٦: ١٨ = أخبار الأيام الثاني ١: ١٦) وكذلك المتعلقة بعمر حزيا بن يوزام (الملوك الثاني ٨: ٢٦ = أخبار الأيام الثاني ٢٢: ٢٠) ، وأخبار أيام ملكة يهوياكين (الملوك الثاني ٢٤: ٨ = أخبار الأيام الثاني ٢٦: ٩) ، ولم يكن الخطأ في حساب السنين بين سفرى الملوك وسفرى أخبار الأيام ،

بل كان أيضا في نصين في رواية واحدة . ففي سفر الملوك الثاني (١٥ : ٢٠) يقول النص "وبلك هوشع بن أيلة مكانه في السنة العاشرة ليوثام بن عزيا " . ثم يعود في نهاية الفقرات الثلاث الأخيرة فيقول إن يوثام بن عزيا ملك ست عشرة سنة فقط (٢٢:١٥) . كما أن يربعام بن يوش صعد للملك "في السنة الخامسة عشرة لملك أمصيا ، وفي السنة السابعة والعشرين ليربعام ملك عزيا بن أمصيا وفي السنة الثالثة والعشرين ليوش بن أجزيا وبعد ذلك ملك ابنه وهو في السابعة والثلاثين " .

وتوصل أيضا إلى وجود تناقض واضح بين بعض العبارات في نفس السفر " لم يرد في العهد القديم إشارة بأن أبشالوم كان له أبناء ، أي لم يكن له ابن ، لكن أقام نصبا لتذكيره ، فكيف يكون ذلك ، وقد ولد له ثلاثة أبناء ، وبنت اسمها تامار (صموئيل الثاني ١٨: ١٨ ، ٢٧: ١٤) . وفي موضع آخر "يبني الأسلوب مباشرة حيث قال النبي لداود في الحوار: اذهب اصنع ليهوه بيتا ، وبعد ذلك ثمد يهوه ، وأنت - أي داود - لا تبني لي بيتا بل ابنك هو الذي يبني لي بيتا (صموئيل الثاني ٧: ٣ ، ٧: ٥) .

وعلاوة على ذلك اكتشف العديد من الأخطاء في التاريخ والتكرار والتناقض في أسفار التوراة كما في الرواية الخاصة بالطوفان وفي قصة الجواسيس وغيرهما . وورد في سفر التكوين عن يهوذا أنه وقت بيع يوسف قد هبط آنذاك عند رجل عدلاني واتخذ له زوجة ، وولد له عير ، وبعد ذلك ولد أونان ، واتخذ عير تامار زوجة له ، ثم مات عير ثم مات أونان وتزلمت زوجته "ومرت السنون" واتصاع يهوذا لتامار فتزوجها وولدت له فارص ، وولد فارص حصرون وحامول ، وحدث كل هذا في غضون "اثنتين وعشرين سنة" منذ بيع يوسف وحتى هبوط يعقوب وبنيه مصر (التكوين ٢٨ ، والتكوين ٤٦ : ١٢) .

كما تسرد التوراة تسع مرات عن الشعوب التي يطردها يهوه من أمام إسرائيل في أرض كنعان "وفي ذلك اليوم (عهد الأشلاء) أقسم أن يعطيه عشرة أمم إرثا ، كيف ذلك ؟ ، وفي خمسة مواضع قال ست أمم ، وفي موضع قال خمس أمم ، وفي موضع آخر ثلاث ، وأضاف موسى سبع أمم (التكوين ١٥ : ١٨ ، ١٧ : ٣ ، العدد ١٣ : ١٩ ، الخروج ٢٣ : ٢٨ ، التثنية ٧ : ٢) . ولم تكن أقوال الروايات هي التي تدحض بعضها البعض فقط ، بل أيضا نصوص الأحكام والقانون "فعندما ذكر النبي كل الأعياد لم يحذر بنو إسرائيل من اللين في تلك الأقوال - ولم يذكر يوم هتاف البوق ويوم الغفران (التثنية ١٦) كما لم ترد أحكام نظام القرابين في سفر التثنية .

ونبه إلى أن كل القوانين المذكورة في التوراة لم تكن معروفة في عصر القضاة والملوك . لذلك يتعجب "عظيم أمره في توراته بالكلمة . لا تأكلوا غريسة وجيفة . وكيف أمر الغريان بالشحمة غذاء يوميا لحملها ؟" . وعلاوة على كل هذا توصل إلى أن العديد من الفقرات والتعبيرات الموجودة في التوراة التي تمثل السفر النهائي للأجيال ، متأخرة وبعيدة عن طبائع الحياة المألوفة في عصر العهد القديم . ونظم المجتمع المألوفة آنذاك " :فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبجومر ولك شعير " (هوشع ٣ : ٢) فما مقدار لك ؟ وما الخاصية بين الفضة والجומר ؟ يتضح بجلاء في قول اصطلاحى " . وحقا " فإن اليد قصيرة وعاجزة عن التصريح بحكمة العهد القديم المدهشة "

وكما يبدو لم يكتف هؤلاء المستفسرون بطرح الأسئلة فحسب ، بل تشجعوا إلى حد ما حتى يتمكنوا من فهم سبب "الفجوات" التي وجدوها في العهد القديم وعلاجها . ولولا ذلك ما لقيت أقوالهم غضبا في معسكر فلسطين ، وما ثار عليهم زعماء الماسورا بغضب شديد . وتكشف الصفحات الاثنتا عشرة التي وجدها البروفيسور شاختر عن كتاب للحرب القوية التي حاربها ضدهم "الجاؤون" "ومدرسته" ، والواقع برزت لتكون بمثابة هدم الهيكل . وتشمل هذه الصفحات بكل تأكيد أسئلة فقط . غير أن هذه الصفحات تمثل قطعة واحدة أى مقدمة الكتاب ، وربما جاء بعدها فصول أخرى توضح اتجاه ومنهج السائل أكثر "في علم العهد القديم" . ويحكي السائل في نهاية هذه القطعة المتوافرة لدينا ما يتعلق بالكتب الثلاثة التي ألفها وهى "فى إسرائيل علنا وليس سرا" وفيها اهتم "بشروح العهد القديم وأسلوبها" . أى شروح الأسئلة ، فالأسئلة لم تأت للإخفاء فقط بل للفهم أيضا .

١٠ - تدهور النقد فى بابل وارتقاؤه فى الأندلس

ومع ذلك لم يستحق هذا الاتجاه النقدى لكى يكون فرعا يبرز فى تسلسله الطبيعى . فالعصر كان عصر فوضى فى الآراء الدينية . حيث ظهرت فرق عديدة ومختلفة فى معسكرى الريانيين والقرائين فى فلسطين وكان الصراع محتدا بينهما ، وكذلك بين الأحزاب الدينية فى كل منهما . وأصبح من المتوقع حدوث فوضى دينية ووقوع خطر على أسس العقيدة المألوفة . ولذلك رأى حراس الماسورا فى ذلك الجيل أن من واجبهم التغلب على الخطر وتهذبة الأنفس الثائرة فى الوقت المناسب .

وأدى ذلك إلى ظهور أدب المناظرة وتطوره . ودافعت الماسورا عن وجودها بكل قوة . وقام الربى سمعديا جازون (الذي ألف كتابا ضد القرائين) بمناظرة صيوى البلخى دفاعا عن قداسة التوراة المكتوبة والتوراة الشفوية وكما لهما . كما ناضل أصحاب الماسورا اليهود المجددين والمحافظين سويا . وكان هذا الأسلوب فى المناظرة أحد عوامل ظهور النقد والذي كان من الممكن أن يختفى لولا ظهور علماء مخلصين للنقد وظهر مجالات جديدة للتأليف بالعبرية ساعدت على تطور النقد وعدم اختفائه فى خضم الأدب التفسيري الذى سيطر على التأليف بالعبرية لفترة طويلة من الزمن . ومن هذه العوامل ظهور علم النحو الذى نشأ وازدهر فى جنوب أوروبا . ومنها أيضا تطور العقلانية الأوربية متأثرة بالعقلانية العربية خلال العصر الذهبى لليهود فى العصر الوسيط .



القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الرابع

علم النحو والبحث الديني



أولاً : ازدهار النقد في الأندلس

١- اللغويون والعهد القديم

ارتبط علم النحو منذ نشأته وحتى الآن بنقد العهد القديم . وأفاد كل منهما من الآخر . وكان الجوهر الأساسي للغة العبرية مظهراً من مظاهر نقد العهد القديم . وقد استمد النحاة الأوائل كل أسرار اللغة من الكتابات المقدسة . وحذبوا على أساسها أساليبهم عن تطور اللغة وقوانينها . وبما أن قوانين اللغة قد انتضحت وحدثت . فقد أصبحت أساساً ثابتاً لفهم النصوص المقدسة وبحث مقاصدها . وواصل اللغويون والنحاة بعزيمة ونشاط ما بدأه أصحاب الماسورا . وطوروا في نقد العهد القديم طرقاً لم يحققها الأوائل

واستخدم البحث الديني . أيضاً . باعثاً هاهنا لتعميق دراسة الكتابات المقدسة . إن تعاليم إله إسرائيل متضمنة في أسفار العهد القديم ومنها يستمد البحث وعليها يكون التأسيس . فمع اتساع الأفق وزيادة الإيمان بالمذهب العقلي تشعب نقد العهد القديم . وابتعد عن المجالات الضيقة المرتبطة بنقد الحروف والكلمات التي حددها علماء الماسورا وعلماء النحو . واتجه بخطى واسعة لمعرفة التطور التاريخي للعهد القديم . ورسم للنقد العبري الطريق المؤدي إلى بداية البحث الحديث .

٢- يهوذا بن قوريش

يعد الطبيب يهوذا بن قوريش (الذي عاش في طليطلة في شمال أفريقيا في بداية القرن العاشر) الباحث الأول في علم النحو واحداً من مفسري العهد القديم الذين اهتموا بمعرفة ترجمات العهد القديم ومقارنتها بالأصل . وقد كان أول من سلك أسلوب المقارنة في بحث لغة العهد القديم وشرح الكلمات العبرية معتمداً على نظائرها العربية والآرامية والبربرية . ولم يصل إلينا تفسيره لسفري أخبار الأيام . وقد عرفنا من خلال مفسر آخر مجهول الاسم ملاحظاته العميقة التي أثبتت التناقضات الموجودة في أسماء الشخصيات المذكورة في سفري أخبار الأيام بون اللجوء إلى تفسيرات بعيدة . وقد اضطر إلى البحث لها عن تفسيرات تاريخية لم تأت أحياناً مطابقة لتفسيرات أصحاب الماسورا .

وكان يشبهه إلى حد كبير النحوي الإيطالي شيتي دونولو في تفسيره للنصوص وإزالة غموضها . ووضح ذلك في تفسيره لقصة الخلق ضمن تفسيره لسفر التكوين . ويمثل هذا البدايات الأولى للفترة الجديدة في تاريخ النحو .

٣- مناحم بن سروق وتلاميذه

وفي منتصف القرن العاشر نهض لعلم اللغة العبرية مخلصون جدد في الأندلس فتقدم علم اللغة العبرية بواسطة مناحم بن سروق ودوناش بن ليراط إلى مرتبة العلم ، ورغم اختلاف آرائهما واختلافهما فقد كانت الكتابات المقدسة أساس أبحاثهما . واعتمد مناحم على أسفار العهد القديم "لصقل اللغة اليهودية في أساسها وجذورها " (افتتاحية كتاب المذكرة) وكرس كل وقته للعهد القديم ، فشرح كل جذر من جذور لغته ؛ ولأنه كان حريصاً على عدم الخروج على قواعد اللغة فقد ظل عاجزاً عن دراسة تفاسير الأجداد . ولكنه تمكن من التمييز بين التفسير السائد لمعاصريه والمعنى البسيط للعهد القديم

أما دوناش بن ليراط فقد تعصب تعصباً شديداً لكل حرف وكل نقطة ، وفي إجاباته على سعديا جازون (ص ٢) أشار غاضباً : "حاشا لله أن نفسر أمراً تفسيراً يؤدي إلى حذف نقطة واحدة " ومع ذلك فقد كان مضطراً أكثر من مرة لتعديل تشكيل الماسورا ، وتغيير أقوال الماسورا .

ومهد تلاميذ مناحم بن سروق - وبخاصة الربى يتسحاق غفطيه ، والربى يهودا حيوج - بأبحاثهم في علم اللغة سبلاً جديدة في فهم العهد القديم ، كما أن يونا بن جناح تلميذ مناحم بن سروق ورائد باحثي اللغة العبرية في العصر الوسيط قد أقام لنفسه اسماً أبدياً في تاريخ التفاسير بكشفه طرقاً جديدة في نقد العهد القديم ، وإذا كان النحاة الذين سبقوه تعلموا العهد القديم من أجل معرفة قوانين اللغة ؛ فإن الربى يونا بن جناح قد تعمق في تفسير قوانين اللغة من أجل إظهار المقاصد النهائية للعهد القديم . وإذا كان السابقون قد بحثوا في الكلمات والجذور فقط ، فإن الربى يونا قد أسس علم الأسلوب وقوانين النثر . الأمر الذي ساعد على فهم العديد من فقرات التوراة وتبيان التناقضات المختلفة فيها .

د الربى يونا بن جناح

ويعد كتاب "النقد" الذي ألفه الربى يونا بالعربية ، والمتضمن كتابيه : "التراكيب" و "الأصول" من أهم الكتب التي كتبت عن العهد القديم في ذلك العصر . وقد جمع الربى يونا بين شمولية اللغة وعلامات بناء التراكيب في اللغة العبرية ما يلي : "الإيجاز" ، "والناقص" ، "وتسمية الأشياء بنقيضها" و "الإبدال" ، وما يقال

عن الكلمة وحاجة غيرها لها . وقد اهتم بتوضيح مضمونها بجلاء ، وحدود كل منها ، وأسس رأيه في خضم الرؤى المستمدة من الكتابات المقدسة . وهكذا أوجد لنفسه فرصا شاملة لاستخدام قوانينه لتفسير مذهب ، واستنتاج نتائج هامة في نقد نص العهد القديم .

وقد كان للأساليب التي طورها الربى إليعازار بار ربي يوسى الجليلي أهمية كبيرة ، وبخاصة الأسلوب المعروف باسم "اقرأ مختصر" والذي أصبح عنده أساسا قويا لمنهج كامل في النقد . ففي شرح قوانين الحذف (أو كما سماها في ترجمته العبرية إخفاء الأمر) يشير إلى أنه في أسلوب لغة العهد القديم لم يتم فقط حذف حروف أو كلمات ، بل حذفت تعبيرات كاملة ، ووجب المفسر إتقانها بناءً على أسلوب فهم العهد القديم . ثم أحصى في قائمة طويلة تلك الاختصارات وتعديلها (إخفاء الأمر "و" مدلوله ") . وهكذا فإنه في سفر اللاويين (٢٠:٢٠) يفسر الفقرة "أعطى من زرعك للملك "بدلا من "أعطى من زرعك لمولك " ، وذلك على أساس ما ورد في (٢١:١٨) فيقول النص . "ولا تعط من زرعك للإجازة لمولك " وما إلى ذلك ، وبناءً على ذلك فإنه يرى أن النص قد تغير تغيرا ملحوسا . وعلى سبيل المثال يفسر سفر الخروج (٢٢:٥) "أكل الذي في الحقل "بدلا من "إذا خرجت نار وأصابت شوكا فاحترقت أكداش أو زرع أو حقل " . وفي صموئيل الثاني (٨:١٨) يفسر "وزاد شجر الوعر "أو "حية الوعر "بدلا من "وزاد الذين أكلهم الوعر من الشعب " .

وعلاوة على ذلك فإنه اعتبر الكلمة "شلمان" في هوشع (١٤:١٠) بمثابة اختصار للاسم "شلمنصر" ، وكذلك الكلمة "المحاصرون" في إرميا (١٦:٤) اختصارا للاسم "نيوخد نصر" ، كما شرح إبدال الحروف داخل كلمات فريدة مثل "في نصف "بدلا من "في نحو نصف" (صموئيل الأول ١٤:١٤) ، "من أين ؟ "بدلا من "ما أي هذا ؟" (صموئيل الثاني ٢٠:١٥) ، و "ما عدا "بدلا من "عدا من " (التكوين ٢٦:٤٦) . والعبد (٢٣:٢٨) : الموازي الملوك الأول ٥ : ٣ ، وما إلى ذلك . ويشير على هذا النمط للعديد من التغيرات في ترتيب الكلمات داخل الجملة مثل "من أجل ما صنع "بدلا من "لأجل هذا صنع " (الخروج ١٣:٨) ، و "توق الجبال تقف المياه "بدلا من "توق المياه تقف الجبال" (المزامير ٦٠:٤) ، و "إذا ضربته البرص قد برئت منه الأبرص "بدلا من "الأبرص قد برئت من البرص" (اللاويين ٢٠:١٤ وما إلى ذلك) .

ومع ذلك فإن ملاحظات الربى يونا بن جناح النقدية واسعة وخاصة فيما يتعلق بالألفاظ التي لا يفسر معناها تفسيراً حرفياً ، أو حسب رأى الربى يونا "يتحدثون كلاماً ويقصدون غيره".

ومن خلال الأربعة عشرة قاعدة التي وضعها ، والتي يمكن على أساسها إيجاد المعنى الحقيقي للفظ المكتوب ، ظهر له حوالى مائتى تعديل داخل نص العهد القديم منها مثلاً ، تعديل " :أخذت خبزى ونبيذى "إلى "أخذ خبزى ومائى ؟" (صموئيل الأول ١١:٢٥) ، وتعديل "وكانت يد يهوه عليكم وعلى ملككم" ، إلى "عليكم كما على أبنائكم" (صموئيل الأول ١٥:١٢) ، وتعديل "وصمحت كعبد يهوه" (إشعيا ١٩:٤٢) إلى "وأعسى كعبد يهوه . وكذلك تعديل "واسم أخته معكة" إلى "واسم امرأته معكة" أخبار الأيام الأول (١٥:٧) (أنظر نفس المصدر ١٦:١٥).

كما أن الأعداد مثل :اثان وثلاثة (التكوين ١٨:٢٦ ، الملوك الثانى ٩: ٢٢ ، إشعيا ٦:١٧) ، والعدد سبعة (التكوين ٢٤:٤ ، اللاويين ١٨:٢٦ ، الجامعة ٢:١١) ، والعدد عشرة (صموئيل الأول ٨:١ ، أيوب ٣:١٩) ، العدد مائة (الجامعة ٣:٦) ، والعدد ألف ألف (صموئيل الثانى ٣:١٨ ، المزامير ١١:٨٤ ، ٧:٩١) لم يفسرها بمثابة أعداد محددة ، بل فسرهما بمثابة أعداد عامة .

كما قام بتعديل العديد من الأسماء والأعداد التي تبدلت بأخرى : فبدلاً من : "الثالث" فى (القضاة ١٥:١٤) قال "السابع" ، وبدلاً من "هارون" قال "يعقوب" فى إرميا (٢٦:٣٣) وبدلاً من "مرف" قال "ميكال" فى صموئيل الثانى (٨:٢١) ، وبدلاً من "سليمان" قال "إبشالوم" فى الملوك الأول (٢٨:٢) ، وبدلاً من "وعند خروجهم من الدار الداخلية" قال "من عند خروجهم للدار الخارجية" فى حزقيال (١٩:٤٤) .

وعلاوة على ذلك كشف عن حروف وكلمات كثيرة نسخت من مكانها الصحيح وتحركت إلى نصوص أخرى ، وكذلك أنصاف أسطر لم توجد فى مكانها الصحيح (مثل السطر فى صموئيل الأول ١:٤ الذى انتقل إلى صموئيل الأول ٢٠:٣) ، وما يشبه ذلك ، فقد أحصى العديد من الكلمات التي تبدلت بأخرى مشابهة لها فى الصوت .

وهكذا وصل ربى يونا بن جناح على أساس بحث الأسلوب العبرى وفهم قوانين تركيب الجملة إلى بحث متقدم فى نقد نص العهد القديم ، كما وصل العديد من العلماء المتأخرين إلى مثل هذا البحث على أساس من تلك القوانين ذاتها أو غيرها والاختلاف

الأساسي بينهم هو أن المتأخرين يتحدثون بشأن النص القديم الذي حُرّف بمرور الزمن من قبل الكتبة والنساخ العديدين ، أما هو فيرى أن ذلك نتاج تعديلات في صورة الأسلوب العبري في العصر القديم ، لكن من الخطأ الاعتقاد بأن ربي يونا استمر في تعديلاته مقيدا بوجهة النظر الفيلولوجية فقط ، فالعديد من هذه التعديلات المحصاة - وبخاصة الأخيرة - لا يمكن إيجاد سبب آخر لها غير أخطاء النساخ .

ثانياً : المفسرون في فرنسا

وقد كان تأثير أولئك النحاة على معاصريهم والأجيال المتأخرة تأثيرا كبيرا ، حيث أثرت روحهم على كبار المفسرين الذين نشأوا في فلسطين . أما المفسرون الذين كانوا في فرنسا فقد نكثوا كثيرا بعلماء النحو ولم يثقلوا أنفسهم بعبء البحث وعلم الباطن (السود) مثل زملائهم في الأندلس ، بل كان جل اهتمامهم داخل الكتابات المقدسة فقط ، واستمعوا من داخلها شكوكهم وطرق تبديدها . والحقيقة أن اللغة العربية لم تكن منتشرة بينهم ، لذلك كان أمامهم مؤلفات النحاة الأوائل بصورة أساسية مثل دوناش بن ليراط ومناحم بن سروق وتلاميذهم الذين كتبوا باللغة العبرية .

١- شلومو يتسحاقي

وقد كانت نتائج استنباط هؤلاء وطرقهم واضحة لهم ، وكان الرببي شلومو يتسحاقي المفسر الأكثر إيمانا بمذهب القايالا من بين كل مفسري العهد القديم اليهودي . وكان شلومو من أعظم مفسري فرنسا وخطيب دائرة أصحاب الماسورا ، وقد أكثر من استخدام قوانين النحو ، واجتهد للوقوف على قصد النصوص بمعناها المباشر و " تثبيبت النصوص على طابعها ونظامها " (الخروج ١٣:٢٣) ، ولم يفضل " التفاسير الحرفية المتجددة " على أساس أقوال الأجادا الراسخة لكنه استخدمها واقتبسها (المراثي ١:١ ، المقدمة لتشييد الأناشيد ، الخروج ٩:٦ ، الجامعة ١٢:٤) .

وقد سعى بلا شك في تقاسيره إلى دعم جوهر آراء الماسورا المسلم بها ، ولم يكن هناك ما يمنعه من الإشارة إلى أن العهد القديم لم يكتب إلا " من أجل أن يتأمل المستمع " ما ورد مثلاً في الخروج (١٨:١٩) وكان جبل سيناء كله يذخ من أجل أن الرب نزل عليه بالتار . وصعد بخاته كدخان الأتون وأرتجف كل الجبل جدا . "

كما تنبه أيضا إلى عملية ربط الأحداث وتوصل إلى حقيقة اختلاف المؤلفين وترتيب النصوص . فهو يرى أن بداية سفر يشوع "وكان بعد موت موسى" متصل بالتوراة التي تنتهى بموت موسى أى أن سفر يشوع متصل بالتوراة "أو "وكان رجل من جبل أفرام " . وعلى الرغم من أن هذين القسمين كتباً فى نهاية سفر سبخا والسارية فى جبعة ، إلا أن ذلك كان فى بداية سفر القضاة (١٠:١٧) . وعندما وصل إلى عبارة "واستراحت الأرض " (القضاة ٢١:٥) يحذر منها "ليس هذا من أقوال دبوراً بل من أقوال كاتب السفر " . ولا يوجد "سابق ومتأخر فى التوراة " والكل عظيم بالنسبة له " .

٢- ربي يوسف قرا

وقد تفوق على الربى شلومو يتسحاقى فى هذا البحث معاصره الشاب ربي يوسف قرا . والذي أعلن أن طرق التفسير التي كانت مألوفة فى فلسطين منذ عصر الأجداد التلمودية كأسلوب عام فى فهم العهد القديم ليست سوى تصنيف وتجميع للتفسير . وأن الجوهر يكمن فى التفسير الحرفى المنطقى للنصوص [البشاط] . وعندما وصل إلى فقرة "لأن النبى اليوم كان يدعى سابقا الراى" (صفونيل الأول ٩) فإنه لم يشك مطلقاً فى استنتاج الحكم التالى "أن هذا السفر لم يكتب فى عصر صفونيل " ولم يتجاهل كلية أنه بهذا يناقض أقوال أصحاب الماسورا ، بل يصنف التفسير قائلاً : "قال علماؤنا طيب الله ثراهم أن صفونيل كتب سفره المضى للأرض لكن يجعل من الظلمة نوراً ومن الفساد إصلاحاً " .

وحاول فى تفسيره تحديد قوانين معروفة تبدو عامة فى التفاسير ومؤسسة كلها على قواعد التفسير الحرفى المنطقى للنصوص (البشاط) وفهم اللغة ، كما كشف أحيانا عن السمة الأدبية التي لم تكن متوافرة مطلقاً عند مفسرى العصر . كما استنتج الجنس الشعرى من داخل النصوص ، وأخصى منها أنشودة الخلاص وأنشودة موسى ، وقصيدة البئر وأنشودة داود وما إلى ذلك (القضاة ٥) . وأما ربي شلومو بن مثير - حفيد الربى شلومو يتسحاقى - الذى اعتبر "رئيس المدققين" فإن أقواله لم تحظ شهرة . كما أن أخاه ربي شموئيل بن مثير كان من المعجبين بالتفسير الحرفى (البشاط) ودافع عنه بقوة . وتشجع أكثر من مرة لتوضيح بساطة العهد القديم فى مقابل أقوال الماسورا وتفسير شيخه . وكان رابينو تام الحفيد الثالث للربى شلومو يتسحاقى الأكثر اعتدالا والأكثر تلمودية من بين مفسرى ذلك العصر ، ولم يكن بعيداً

عن الملاحظات النقدية ، وتبدو آثار تفسيراته مبعثرة في مجموعات التوسفتا . وقد أشار إلى أن الإصحاح (٢٠) من سفر الأمثال سفر قائم بذاته واسم مؤلفه " علوقا " . كما أظهر في مفكرته الإشارة إلى قواعد في النحو ليحسم الخلاف بين دوناش ومناحم .

٣- ربي يوسف بخور شور

ومن المفسرين الكبار في فرنسا نجد ربي يوسف بخور شور آخر تلاميذ ربي شلومو يتسحاقى ، والذي تميز بتعبئه الشديد للتفسير الحرفى (البشامط) و " تغلغل بروح فهمه في أعماق النصوص ورأى فيها تناقضات تنبه إليها نقاد العهد القديم الأكثر حداثة " . وأدرك أن قضية " السلوى " الموجودة في قسم " وأصعدتك " هي نفسها السلوى في سفر الخروج (١٦) ، " غير أن الذى تحدث على سبيل المثال بالמן تحدث عن السلوى " . وهكذا يقول في تفسيره للعدد (٨: ٢٠) " خذ العصا " أنه يعنى العمل لتقييده بالرسالة الذى أمر به موسى أن يضرب الحصن . وأدرك أن الاسم " بنو سبع " (التكوين ٢٦: ٢٢) أعطى لهذه المدينة مرتين في التوراة ، مرة في عصر إبراهيم ومرة في عصر إسحاق ، كما أن الروايات تداخلت في رواية بيع يوسف ، مرة ابتاعه الإسماعيليون ومرة النديانيون .

وحاول أيضا إنهاء محاولاته في بحث النصوص بصورة عامة ، وأشار أثناء ذلك إلى قاعدة وجود نصوص الحروف فيها تكون معكوسة (الخروج ٢٨: ٤) كما أشار إلى وجود قراءات مختصرة (التكوين ١: ٤٨) وقراءات محرفة (العدد ١٤: ٢٨ ، التثنية ٢٥: ٦) وما شابه ذلك

ثالثا : النحاة والمفسرون

١- العقلانية الفلسفية والعهد القديم

لم يؤثر علم النحو في الأندلس على مفسرى فرنسا فحسب بل أثر أيضا في علماء الأندلس نفسها . وإذا كان مفسرو فرنسا قد عاشوا عائلة على أعمال الجيل الأول من باحثى اللغة ؛ فقد بزغ في الأندلس نجم الربى يهودا حيوج والربى يونا بن جناح والربى موشيه بن غقطيله والربى يهودا بن بلعام ، وبسبب هؤلاء رجح أيضا الاستنباط

فى ذلك العصر، حتى أن موسى بن سيمون عرفهم بمثابة "حكماء المفسرين" وأسس أقواله على نتائج أبحاثهم .

وإذا كان علم النحو فى تطوره قد بعث الروح فى بحث الكتابات المقدسة وحقق نتائج واضحة فى بحث كل نص من النصوص ، وكل نص قائم بذاته ، فإن تطور الاستنباط العقلى أدى إلى بحث قضايا أكثر تجريدا ، وتجرات موضوعاته لاختراق أسلوب دراسة النصوص . وتسبب تطور النحو فى تطور نقد العهد القديم ، وأدى البحث الأدبى إلى بدايات النقد التاريخى . وبلا شك فقد كانت فرص البحث الفلسفى قليلة من بدايتها ؛ فقد برز البحث الدينى من البداية فى مجال دراسة العهد القديم فى فروع متصلة ، حتى إن الربى سعديا جازون الذى مهد الطريق للفلسفة عبر عن رأيه فى كتابه "الأمانيات والاعتقادات" بقوله "إننا نحن الموحدين نؤمن بالأبعاد الثلاثة التالية العلم وهو (معرفة الظاهر ، وعلم العقل وعلم الضرورة) ونضم إليها بعدا رابعا ... فيكون لنا مصدرا مهما وهو الهاجادا الثابتة "

٢- ربى سعديا جازون

تعتبر الماسورا فى رأى سعديا جازون مصدرا للمعرفة ، بل يجعلها فى مرتبة واحدة مع العقل وأقوال النص المقدس . ويفهم من ذلك ، أنه طبقا لوجهة النظر تلك لا يمكن للإدراك العقلى أن يناقض الهاجادا الماسوريتية الثابتة والراسخة ، وهكذا يقرر مصير النقد بشكل رجعي . وبالتأكيد فإن هذا لا يعنى أن كل الأقوال المكلفة عند الشعب - دون أن يخرج منها العام - حقيقية وصحيحة كلية . وأنه لا توجد سلطة لعقلنا لمعارضتها . بل على العكس من ذلك ، فإن الربى سعديا جازون فى كتابه ضد القرائين ومذهب عفان بشأن "الرجعية الموروثة" قد ثار على هذا الرأى ، ولذلك فإنه يتحدث عن الهاجادا الثابتة لدرجة أن بعضا من عقلانيته وجدت دعما وأساسا فى أقوال الماسورا المعروفة ، مثل الاعتراف ببعض التناقضات الأخرى فى أقوال الماسورا .

ووجد نقد العهد القديم فى هذا القسم عند الربى سعديا جازون مكانا متميزا ، فرغم ثقته التامة - على سبيل المثال - فى الروايات الخاصة بالمعجزات ، ورؤيته لها بأنها برهان قاطع للألوهية التى تظهر وسط أحداث التاريخ اليهودى ، وأنها دليل واضح على صدق روايات العهد القديم فقد سمح لنفسه - عندما تدعو الضرورة - بتقريب المعجزات للعقل ، فيفسرها مخالفا الماسورا . ويدلل على ذلك فى تفسيره لسفر التكوين بشأن

الحية التي تكلمت مع حواء.. بأن الحية لم تتكلم بل الملك تكلم بدلاً منها (التكوين ١: ٢).
ويفسر أتان بلعام ، بأن الأتان لم يتحدث بل الملك (العدد ٢٢: ٢٨)

وقرنته أبحاثه في علم اللغة العبرية كثيراً إلى جوهر أقوال العهد القديم ، وترجمته العربية متحصرة وبعيدة عن المداش وأقوال الأجادا . وكان الربى سعديا وثقا أن كل كتابات العهد القديم مكتوبة من قبل الوحي . واستخدم هذه العقيدة أساساً لأسلوبه الفلسفي . ورغم ذلك فقد حدد قواعد تسمح بشروح أقوال النص على غير صورتها ، ولم يرفض الموافقة أحياناً على وجود كلمات ناقصة في النصوص التي أمامنا ، وأنها تحتاج إلى تعديلات . كما أن التشكيل أحياناً لم يكن كما ينبغي ومن الضروري تعديله . ويحتج ابن عزرا في تفسيره لعبارة "لمعون كنعان" (التكوين ٢٥: ٩) ويأتى بقول الربى سعديا "تنقص كلمة أبى . ويجب أن تكون أبى كنعان" . وفي عبارة "وأما ياسمى يهوه فلم أعرف عندهم" (الخروج ٢٦) يأتى ابن عزرا ويقول "قال الربى سعديا جاؤون تنقص في النهاية كلمة وحده . كما لو قال وأما ياسمى يهوه وحده فلم أعرف عندهم"

ويؤكد الربى شلومو فرحان اعتماداً على الربى سعديا أنه بدلاً من "عرقبا ثور" (التكوين ٦: ٤٩) ينسخ "سور" . يعنى سور شكيم وترجم الربى سعديا جاؤون (التكوين ٤١: ٢٠-٤١) - والرقيمات اللحم "أى نعومة اللحم . ومن إجابات دوناش بن لبراط على الربى سعديا جاؤون فإننا نعلم أن سعديا قد عدل في تشكيل أيوب (٢٨ : ١٨) . والتكوين (٤٩ : ١٠) وغير ذلك . وأسلوب الربى سعديا جاؤون بشأن تثبيت العهد القديم يعد ذا أهمية كبيرة تتخطى حدود البرايئا المعروفة في (بابا باترا ٢) وتقارب مع رؤية النقاد المحدثين . وفي تفسيره لسفر الخلق يقول "استمر بعض العهد القديم لسنوات عديدة معلناً ومُسلماً به وغير مكتوب (يعنى أن جزءاً من أسفار العهد القديم كان لسنوات عديدة معلناً ومُسلماً به شفويّاً وليس كتابياً) ، مثل نشيد الأناشيد الذي استنسخه رجال حزقيا . إلى أن حان الوقت الذي جمعه فيه العلماء واهتموا به ونمقوه وحذروه ووضعوا له الأسس .

٢- معارضة التشبيه للألوهية

غير أن أنطاط الوصف التي صور بها اليهودي القديم المعاصر للمقرا الإله

ونشاطاته تمثل الصعوبة الأساسية التي صادفت الباحثين في العهد القديم وأجبرتهم على القيام بعملهم ضد الماسورا التقليدية وأن يسلكوا طرقاً جديدة ، منها طرق النقد الحر ، فهم الذين نشروا النظرية التجريدية للألوهية بمثابة فكرة روحانية الذات الذي ليس له جوهر وليس له شبه جوهر ، وارتعدوا عند قراءتهم في أسفار التوراة - الأساس المؤسس لكل الذين اليهودي - للروايات والتعبيرات التي نصف الإله وصفاته بصورة تجسدية مطلقة - وبسبب المعادة لتلك الصورة التجسدية [الأنثروبومورفية] نهض البحث الديني عند اليهود طوال ذلك العصر ، واستخدم هذا الصراع في إثارة النقد مراراً لتدمير النقد ، والمقال المذكور عن نقاد العهد القديم في عصر التلمود "تحدثت التوراة كلغة البشر" ، عاد للحياة ، وقدم ليصبح حجر الأساس لكل التفسيرات الفلسفية وعلاوة على ذلك تشجع الربى سعديا جازون لتقريب روايات المعجزات إلى العقل ، وعند تصادمه مع الصورة التجسدية [الأنثروبومورفية] المألوفة في التوراة ، فقد أحصى عشرة أوصاف في التوراة على أساس مقارنتها بمواضع أخرى في العهد القديم واضطر ليفسرها ليس كما هي مكتوبة (التثنية ١١: ٢٢ : العدد ١١: ١٨ : الخروج ١٧: ١١ : المزامير الجامعة ٨٩: ٥ : العدد ٦: ٢٥ : الخروج ٩: ٣ : التكوين ٨: ١١ : إرميا ٢٦: ٢٩ : المزامير ٩٩: ٥ : إشعيا ٥٩: ١٧) .

٤- سليمان بن جبيرول

وقد سار على منهج معارضة التشبيه كل باحث العصر الوسيط في صراعهم مع الأوصاف والروايات المعارضة لفهمهم الفلسفي . وفي الواقع أن معظمهم لم يضع تفسيراً للمقرا غير أنهم أقحموا في كتبهم العديد من التفسيرات المستحقة للانتباه والمعبرة عن وجهة النظر التي تصوروها ، كما أن العديد منهم كتب تفسير ولم تصل إلينا . ويستحق أبراهام بن عزرا الثناء لأنه أقحم في تفسيره مراراً وتكراراً آراء المفسرين الآخرين ، سواء من كان يوافقهم ، أو من كان يعارضهم ، وعلى هذا الأساس فقد حافظ عليها حتى لا تختفى . فابن عزرا يأتي في تفسيره الأول لسفر التكوين (الذي لم يكتمل) بالتفسير الرمزي للربى سليمان بن جبيرول لجنة عدن ، حيث يعكس ابن عزرا كيف أدخل هذا الباحث الرائي معاني تجريدية لأقوال النص المقدس ، ليكشف عنها الغشاء السري "الذي يسمو عن أسلوب الطبيعة" ، ويجد دعماً لرأيه داخل الكتابات المقدسة ، فيقول : "إنجنة عدن هاهي العلوية والنهر بمثابة "الألفاظ" . والأربعة رؤوس هي "الجنور" ، أما آدم وحواء والحية فهم صفات للنفس ، فآدم "الحكمة

التي دعت الأسماء ، و حواء إشارة للروح الحية ، والحية الاشتياق إلى ... الذي هو قسم الساحر المتكهن " و أقمصصة جلد مفسر أنه هو المادة ، وطرده من جنة عدن لأن هذا كل إنسان " .

ويذكر الربى أبراهام بن عزرا ما يتعلق بحلم يعقوب قائلاً : "والربى سليمان السفارادى قال : وإن السلم إشارة للروح العليا ، وملانكة الرب - أفكار الحكمة " وعلى كل حال أدرك أنذاك الضرورة الملحة لإقحام أغراض جديدة فى بعض روايات العهد القديم والتي لا تنسب إليها مثل الحقائق التاريخية ، وفى نفس التفسير الأول لسفر التكوين يأتى الربى أبراهام بن عزرا بقول الربى سليمان بن جبيرول بشأن الحية ، الذى يقول : "إذا كانت الحية تتحدث ، لماذا لا تتحدث الآن ؟ " و "اعلموا أنه لا يوجد ذكر فى النصوص أن تأملت كلامها " ، ولذلك فإنه يخرج القصة عن معناها البسيط ، وبلا شك فإن نقد العهد القديم لم يروج شيئاً من هذا ، وبدلاً من تفاسير الأجداد حلت تفاسير البحث . و لا تعكس كل روايات العهد القديم حقائق تاريخية حقيقية ، فهناك من يرى أن العديد منها مؤلفات أدبية فقط - رفض نفس النموذج الذى يقول إنه يطابق (بايا بانرا ١٤ ٢) وسفر أيوب على سبيل المثال منح بخصوص الشاة - وقد ازدهر وتأسس هذا الاتجاه من قبل أولئك الباحثين والمفسرين .

٥- بحايا بن فاقوده ، وموسى بن عزرا

يحذر ربيزو بحايا بن فاقوده صاحب كتاب "هداية القلوب " ، قائلاً : "يسعى العاقل واسع الصدر إلى تبسيط الكلمات ومدلولاتها ، ويرفعه بفكره من رتبة إلى رتبة حتى يصل إلى حقيقة الموضوع ، ثم يواصل "والمجرد " و "المرتبة " لكل التعبيرات والروايات المتصلة بالظهور الإلهى فيبعضها عن التفسير المادى . كما يخصص الربى موسى بن عزرا فى كتابه "تقسيم العطور " الذى وصل إلينا منه أجزاء - فصلاً خاصاً لـ : إبعاد الماديات عن الخالق " . ويشير فيه قائلاً : "والعاقل يجرى المفاهيم من غطائها المستعار المبتذل ويصبغها بغطاء عذب إلى أن يصل بها إلى المفهوم المنشود كما ينبغي أن تدركه قدرة الإنسان " .

٦- الربى أبراهام بن حيا

وأوضح أيضاً الربى أبراهام ابن داود فى كتابه "العقيدة المتسامية " أن

الصفات قيلت لأجل العامة فقط ، ولأجل الأمانة فإنهم مفتقرون للتكبير والتجريد تماماً . وكل من يتعمق في بحثه يحذر كثيراً من تجريد التصوص المقدسة ، والربى إبراهيم بن حيا - المحتمل أن يكون من برسلونه - يربط في مقدمة كتابه "منطق النفس" ، بين رواية الخلق في العهد القديم وبين علم نظرية الكون في عصره . ويقدر خربة "بمثابة عنصر (قديم الصورة) و"مياه" ب"مثابة جصع للكلمة بمعنى "ماء" (مثل حملان من حمل أفواه من قم) ، يعني أنها صور ، وهما يحذر لا يمكن أن يفهم منه ماء حقيقى ، لأنه ليس من الضروري أن نعلو به عن الفهم ، طالما أننا نجد أسلوباً مباشراً في التفسير من النص الذى يسير على طريق الحكمة والعلم ولا يخرج عن أسلوب اللغة . وهما يضم قانونين جديدين ، وهما : أسلوب العلم ونمط اللغة . ومنذ ذلك العصر وعلى أساسهما ازدهر بحث العهد القديم بين اليهود ، والربى موسى بن ميمون أعظم ياحثى عصره رفعهما إلى مرتبة أسلوب محدد .

٧- موسى بن ميمون

لم يترك لنا الربى موسى بن ميمون سقراً قائماً بذاته عن العهد القديم ، ووصلت إلينا تقاسير بعض أسفار التوراة بواسطة ابنه الربى إبراهيم بن موسى بن ميمون ، ولا تشمل فيما بينها أسلوب ريب . كما أن كتابه الأساسى "دلالة الحائرين" ليس سوى تفسير لأقوال النصوص المقدسة المناسبة "لأسلوب العلم" ، كما أنه أيضاً ليس سوى توضيح للتوراة والتنبؤ . غير أن هذا العلم لم يكن هو العلم التاريخى ونظرية تطور النفس . وفى عصر موسى بن ميمون وفى رأيه لم يكن العلم سوى علم الطبيعيات والميتافيزيقا لأرسطو وعلم الكونيات [الكوزمولوجيا] السائد فى عصره . وإليها توجه موسى بن ميمون للتوفيق بينها وبين النصوص . وفى سبيل ذلك وضع تحت مجهر النقد نظرية الخلق فى العهد القديم ، وصفات الألوهية ، وأقوال الملائكة ، وقضية ظهور الإله للشعب ومختاربه ، ورؤى الأنبياء وروايات المعجزات ، وخصص لكل ذلك أفضل فصول "دلالة الحائرين" . وقد أحس إحساساً ذاتياً بأنه غير مرتبط كلية بالحروف المدونة . وسعى لكى يلائم أسلوبه مع النصوص : فنسج شبكة كاملة "لغموض التوراة" وأسرار النص المقدس ، واستخدم فى سبيل ذلك كل معارفه الذاتية وحده ذكاء الجائزونية . وتفوق بذلك على كل الباحثين الذين سبقوه ، فلم يترك نصاً مقدساً واحداً يناقش الأمور المتصورة دون أن يمررها فى بوتقة تأويله . ولم تفحص هذه الأمور كلية قيد التجسيد والفهم العام . غير أن هذا يتصل بتلك الفصول التى بدت له تخفى

حقيقتها العلمية. وطالما أنه يحافظ على ذلك ، فقد عاد مرة ثانية وقياً لدائرة أصحاب الماسسورا ، ونظر إلى كل أقوال التوراة على أنها معطاة ، وبذلك خضع لقداسة الماسسورا .

وعلاوة على ذلك فإن جوهر بحثه أضاف له قوة ، فقد كان نقد التوراة بمثابة نتاج أدبي للتواريخ الواردة فيها ، وبقي ذلك بين اليهود لعدة أجيال ، غير أن عمل هذا "النسر" بسط جناحيه على بحث المقرء ، ولم يمر بدون انطباع إيجابي على النقد في هذا المضمار ، وقد استخدم موسى بن ميمون بقوة واسعة طرق بحث علماء اللغة ونتائجهم ، ورفعهم لمرتبة "الأذكيا" من بين المفسرين ، ومن بين روايات المعجزات العديدة في العهد القديم استنتج حقائق تاريخية ووجد لها مكانها الصحيح في الحياة النفسية للراني ، ونصادف في العديد من تفاسيره المحاولات الأولى لاستخدام علوم الحفريات بهدف توضيح العهد القديم بصورة نظرية.

رابعاً : الباحثون والمفسرون

١ - النقد التاريخي

والى جانب الربى موسى بن ميمون وفي عصره ظهر البحث العقلاني ، وازدهر في مجال نقد العهد القديم ، كما ازدهر النقد التاريخي ، وبهذا دفع إلى استنباط أسلوب جديد عظيم النتائج. فمرة أخرى تأمل يهوذا بن قوريش عبارات أخبار الأيام الأول (٢: ٢٠ - ٢٤) المتضمنة أسماء الأفراد الذين عاشوا بعد عصر عزرا مؤلف السفر ، وقرر أن هذه العبارات أُلحقت داخل السفر في نهاية عصر الهيكل الثاني ، وذلك على أساس المعلومات التي وجدت آنذاك في أسفار أعمال الملوك.

٢ - موسى بن غقطيله

أما الربى موسى الكاهن ابن غقطيله - الذي أسس تفسيره باللغة العربية على أساس قواعد بحث اللغة لابن جناح والربى يهوذا حيوج - ففي مقدمته للبحث بشأن الكتابات المقدسة كان الباحث الأول المهتم بشأن من ألف هذا السفر أو أي إصحاح آخر ؟ ومتى ؟ وأين ؟. ويشمل تفسير الربى أبراهام بن عزرا في ثناياه اقتباسات عديدة من التفسيرات التاريخية للربى موسى بن غقطيله ، ويقترح ربى موسى

ابن غقطيله اعتماداً على الإصحاح الثالث من سفر يوشل ما يلي "ربما كان هذا النبي في عصر القضاة". وهاهو يوضح من العبارة (١١) في الإصحاح (٤) من سفر يونا: "أن النبي يتحدث عن الهيكل الثاني والحاكم كان زروبايل". ويتلى إبراهيم بن عزرا برأين فيما يتعلق بالعبارة (١٧) من سفر عويديا، الأول رأى الربى يشوعا الذي ينسبه إلى زمن الهيكل الثاني، والرأى الثاني رأى الربى موسى بن غقطيله الذي يرجعه إلى عصر حزقيا، وليس كالرأى السائد بأن عويديا كان يعيش في عصر إلياهو. وبذل ابن غقطيله جهداً في تحديد زمن تأليف كل إصحاح من إصحاحات سفر المزامير، ويشجع بصورة عامة ليقرر في تفسيره بشأن المزمور (٤٢)، (الإمام المغنين قصيدة لهنى قورج) "أنه ألف في بابل"، كما يقرر ذلك أيضاً بشأن المزمور (٤٧)، وأدرك ابن غقطيله من خلال الإصحاحات الموجودة في سفر إشعيا من الإصحاح (٤٠) وما بعده أنها تعكس لنا فترة تاريخية مختلفة ومناخرة كلية عن الإصحاحات السابقة لها (تفسير الربى إبراهيم بن عزرا لإشعيا الإصحاح ٤٠) ونسبها ابن غقطيله إلى عصر الهيكل الثاني.

٢- الربى يشوعا

ولم يكتف الربى يشوعا - الذي اختلف مرارا مع الربى موسى الكاهن - بتوضيح زمن تأليف أقسام النبوءات، بل أدخل إلى دائرة بحثه ما يتعلق بالتوراة، واعترف الربى يشوعا بأن موسى هو الذي كتب التوراة، وليس فقط أنه كتب ما حدث في عصره بل أيضاً الأحداث السابقة عليه. وعلاوة على ذلك، فإن الإصحاحات التي تليها ما يرتبط بالعصور السابقة لموسى فإن موسى لم يؤلفها من وجهة نظر تلك العصور، بل من وجهة نظره. وليس لدينا تفسير الربى يشوعا، كما أن معارفنا عنه قليلة، وما لدينا عنه تفسير واحد اقتبسه الربى إبراهيم بن عزرا، وجعلنا نقف على رأيه السابق - فيقال في الخروج (٣٠٦) وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنى الإله القادر... وأما باسمى يهود فلم أعرف عندهم"، فيفسر وفقاً لـ: "لقد وجدنا نصاً في قصة إبراهيم - أنا يهود الذى أخرجك من أور الكلدانيين، وفي قصة يعقوب "أنا يهود إله أبيك إبراهيم"، وقال الربى يشوعا: لأن إبراهيم ويعقوب لم يعرفا هذا الاسم، فقط موسى كتب كذلك". هذا يعنى عندما وصل موسى ليكتب ما يتعلق بإبراهيم وما يتعلق ويعقوب لم يعلن الحدث بلسانهم، بل بلسانه هو، ويكنى الرب بنفس اللقب الذي عرفت به الأكوهية عنده، وطالما افترض الاحتمال، بأن موسى عدل بأسلوبه

ولغته هذه الإصحاحات أو اللقائف التي وصلت إلينا ، فمرة ثانية سنحت الفرصة للاعتقاد أنه حدث مثل هذا وتم التعديل بعد ذلك للإصحاحات التي كتبها ، وتوصل لهذا الرأي النحوي والباحث يتسحاقى (الربى يتسحاق بن يشيش من طليطلة) صاحب كتاب "الإضافات" فى علم النحو وكتاب "يتسحاقى" فى تفسير العهد القديم .

٤- الربى يتسحاق بن يشيش

وعندما وصل الناقد الربى يتسحاق بن يشيش إلى فقرة "وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما ملك لبني إسرائيل" (التكوين ٣٦: ٣١) ، لم يبحث لبثت النص قسراً ، لكنه لم يمتنع عن الإشارة (مثل رأى الباحثين المتأخرين) إلى أن هذه الأقوال كتبت بعد أن ملك ملوك لبني إسرائيل . وعلاوة على ذلك ، فقد سعى الربى يتسحاق بن يشيش لأن يحدد بالضبط متى كتبت ؟ ووجد على أساس فحص الاسماء المذكورة فى هذا القسم أنهم جميعاً حكموا فى عصر يهوذاشافاط . ويقول أبراهام بن عزرا فى تفسيره "وقال يتسحاقى فى كتابه إن هذا القسم كتب فى عصر يهوذاشافاط وفسر الأجيال طبقاً لإرادته ، ألم يدع اسمه يتسحاق كل من يسمع يضحك له ، لأنه قال إن هدد (المذكور فى هذا الإصحاح عبارة ٢٥) هو هدد الأدومى (الملوك الأول ١٤: ١١) ، وقال إن "مهيطبئيل" (المذكور فى نفس الإصحاح عبارة ٣٩) هى أخت تحفناس (الملوك الأول ١٩: ١١) . وهكذا يدخل الربى يتسحاق (الذى توجد الآثار النقدية لتفسيراته الأخرى المذكورة عند الربى أبراهام بن عزرا (انظر هوشع ١: ١٠ : دانيال ١٠١ : أيوب ٤٢: ١٦)) داخل البحث العبرى للعهد القديم الرأى . أن سفر التوراة يشمل فى ثناياه إضافات متأخرة كتبت بعد موت موسى بزمان كبير .

٥- أبراهام بن عزرا

غير أن قصة بحث العهد القديم عند اليهود فى العصر الوسيط تمتلأت فى العمل التفسيرى لأبراهام بن عزرا

وقد استخدم الربى أبراهام بن عزرا بصفته واحداً عن أفضل النحاة فى ذلك العصر - وبصفته أيضاً الباحث البارغ فى لغة العهد القديم - نتائج علم اللغة فى تلك الفترة فى تفاسيره ، وبصفته خبيراً بالمذهب العقلى ، وقيلوسفا لا يعرفه الخوف نشرط فى أعماقه كل نتائج البحث الدينى السابقة عليه والسائدة فى عصره - وعلاوة على

ذلك، فقد كان حراً من كل قيود الماسورا الفلسفية المحددة، ولم يكن في حاجة مثل معظم أقرانه لأن يجد في أقوال النصوص دعماً ومساعدة لأي منهج أياً كان. وكان الربى أبراهام بن عزرا حراً كلية عن أى رأى سابق، وكان مجهزاً بوسائل بحث العصر، وممهداً في عصره لاتجاهات جديدة، ولأنه مقتبس بأرع فقد جمع في كتبه كل ما يتطلب الحفظ : ووجد أحياناً رأياً مخالفاً له في البداية بسبب "تشدده"، لكنه في النهاية لم يكن هناك مانع من قبوله والإضافة عليه.

وعلى سبيل المثال فقد تجاهل مرة وباستهزاء "شديد الرأى المتشدد للربى يتسحاق" والذي يتعارض تعارضاً مطلقاً مع الماسورا . وأضاف بعد ذلك بغضب قائلاً : "إن كتابه يستحق الحرق". ومع ذلك فربما كان هو أول من سلم بهذا الرأى في بقية تفاسيره. وإن لم يرض الربى أبراهام بن عزرا بفضل أقوال الربى "يتسحاق الغامضة"، وفسر العبارة "وهؤلاء هم الملوك... قبلما ملك ملك لبني إسرائيل" (التكوين ٣٦ : ٣١) بأن "ملك" هذا نعتى موسى. وقد كشف بنفسه في مواضع أخرى عديدة رأيه - رغم أنه غامض ورمزى - بأنه تداخلت أيد في التوراة ، وأحصى عدداً محدداً من الإضافات المتأخرة ، التي لا يمكن أن تكون قد كتبت في عصر موسى وفي تفسيره لفقرة "والكتعاني انذاك في الأرض" (التكوين ١٢ : ٦) تجراً ابن عزرا ليؤكد الغرابة في هذه الإضافة للراوى بقوله : "من المحتمل أن أرض كتعان هنا اكتسبت هذا المعنى عن طريق شخص آخر"، غير أن هذا التوضيح لا يرضيه ، فيضيف : "وإن لم يكن كذلك، فإن له سرا ، والذي يعرف". رغم أنه أراد أن تحرز آراؤه العديدة وتفسيره الدقيقة والثرية شهرة علانية بين المتعلمين فلم يتجرأ الربى أبراهام بن عزرا أن ينشر علانية رأيه بوجود أجزاء متأخرة في ثنايا التوراة ، حتى لا يتعرض هو وآراؤه للهلاك.

وكما يبدو فقد قرر التخلي عن ذلك لأجل أبحاثه الأخرى التي اعتبرها أكثر أهمية وأكثر ضرورة . غير أنه لم يستطع أن يصمت صمتاً مطلقاً على مثل هذه الحيرة، واكتفى بتلك الرموز ، لأنه كان واثقاً أن المفكر يفهم تلك الإشارات الرمزية ويصل إلى الحقيقة. ولم تكن هذه هي الإضافة المتأخرة الوحيدة التي وجدها الربى أبراهام بن عزرا في ثنايا التوراة. وأعلن في سفر التثنية الإصحاح (٣) بشأن عوج ملك باشان أن "بقي من بقية الرافائيلين"، ويوضح الكاتب روايته بشأن عوج "هو ذا سريره سرير من حديد ، أليس هو في ربة بنى عمون . طوله تسع أترع... (١١:٣) ،

فيدعي ابن عزرا أن الكاتب كما لو كان يتحدث عن شخص قد عاش قبل عدة سنوات ، ولكي يؤكد روايته اعتمد على بقايا قديمة لتلك الأزمنة البعيدة التي حفظت حتى عصر الكاتب . ويعد ثلاث فقرات يواصل الكاتب قائلا " يا نير بن منسى أخذ كل كورة أرجوب ... ودعاها على اسمه باشان حووث يانير إلى هذا اليوم " (١٤:٣) . فيفهم من ذلك أيضا أن الكاتب نفسه مصدر ، ويسرد أحداث زمن بعيد ، بعد الزمن الذي حدث فيه نفس الحدث ، يعني بعد زمن طويل من موت موسى . ومرة ثانية وجد النص "وكتب موسى هذه التوراة وأعطاهم للكهنة" (التثنية ٣١:٩) . وفي نهاية سفر التثنية يتكرر قسم كامل لاثنتي عشرة فقرة تسرد بالتفصيل كيف صعد موسى إلى جبل نبو ومات هناك ودفن في جيا ونديه من إسرائيل ، وغير ذلك حتى نهاية السفر . هذه العبارات لا يمكن بأي حال أن يكون موسى قد كتبها ، وعلاوة على ذلك يقال في التثنية (١١:١) إن "في عبر الأردن" تحدث موسى بأقواله ، وهو ما يؤكد أن الكاتب قد عبر فعلاً الأردن وأقام في عبر الأردن من هناك ، وبناءً على ذلك اعتبر صحراء مؤاب هي "عبر الأردن" وهو ما لم يقعله موسى ، لأنه لم ينجح في الصعود إلى فلسطين ، ولذلك فلا يمكن أن تكون قد أطلقت في عصره "عبر الأردن" على صحراء مؤاب ، وكذلك فيما يتعلق بجبل الموريا فيكون النص في سفر التكوين (١٤:٢٢) حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى " ، ويمكن أن يكون "ويقال" فقط آنذاك ، عندما أنشأ فعلاً بيت الرب في موضعه في جبل الموريا . فكل هذه النصوص ألزمت الربى أبراهام بن عزرا الاعتراف بفضل صدق الربى يتسحاق بن يشيع في جوهر الأمر ، وأنه بالفعل أقحمت بعد موت موسى بفترة طويلة إضافات متأخرة داخل أقوال التوراة . غير أنه كما قيل من قبل لم يرغب ولم يستطع الربى أبراهام بن عزرا أن يعلن ذلك بوضوح .

ولم يكتب عن هذه النصوص المحصاة هنا في تفسيره للتوراة في مواضعها أي شيء ، غير أنه لم يسمح لنفسه أن يمر عليها بصمت تام ، وإن لم يجد ضرورة لنشر مثل تلك الآراء بين عامة القراء ، فقصده من ذلك أن يقف مفكرو الشعب على هذه الإضافات ، ولذلك جمعها كلها سوياً ويقول في تفسيره للتثنية (١١:١) "في عبر الأردن" وإذا فهمت سر الأثنى عشر . أيضاً وكتب موسى ، والكتعاني آنذاك في الأرض في جبل يهوه يرى ، وأيضاً "وهاهو سريره سرير حبيب " ، سوف تعرف الحقيقة ، فقد اختار لنفسه لغة تعليمية ، وصيغ أراءه النقدية بصيغة الرموز والألغاز .

ومع أن هذه النصوص تشهد بذاتها على زمنها المتأخر ، فقد كان واضحاً رغم كل ذلك للرّبي أبراهام بن عزرا أن موسى ألف جواهر التوراة ، كما أنه ألف الإصحاحات التي تبحث العصور السابقة له ، وكما يبدو فقد ألفها على أساس لفائف قديمة غير أنه أضاف عليها خصوصاً من عنده ليزيد توضيحه لمادة الرواية . ويكشف الرّبي أبراهام بن عزرا عن رأيه هذا في تفاسيره المختلفة ، ففي سفر التكوين (٢٠-٢٢) " لأنه قد استعطف وجهه بالهدية السائرة أمامه " يشرح الرّبي أبراهام بن عزرا قائلاً : " إن يعقوب قال في نفسه تلك أقوال موسى " ، أريد أن أقول ، كاتب الرواية - موسى - يوضح لسامعيه لماذا أرسل يعقوب على قائمة الهدية لأخيه عيسو ، بسبب أنه قال في نفسه استعطف وجهه .. الخ

وفي موضع آخر يقول النص : واضطجع في هذا الموضع - وأقوال موسى كشف سرمدية (في هذا الموضع) والتاكيد على هذا الموضع المعروف حالياً " (التكوين ١١: ٢٨) ، ويفسر في موضع آخر " في هذا اليوم يهوه إليك يأمرك أن تفعل الأحكام وتحفظها وتعملها " (التثنية ١٦: ٢٦) ، في هذا اليوم - تلك أقوال موسى ، وتحفظها - في قلبك ، وتعملها - في الأرض " ، وعلاوة على ذلك ، فإنه يعرف ما هو السفر الكامل الذي صدر عن موسى ، ففي الخروج (٤: ٢٤) وجد النص : وكتب موسى " فيوضح : بعد أن سرد لهم أقوال الرب كتب الوصايا والأحكام ، وهذا هو سفر العهد " ، وأيضاً فإن زمن تأليف السفر كان معروفاً له . واعتمدت معرفته على ما ورد في التثنية (١٣) ، ففي السنة الأربعين في الشهر الحادي عشر في الأول من الشهر كلم موسى " ، وغير ذلك .

وعلى ذلك فإنه عندما وجد في سفر الخروج (١٤: ١٧) بشأن حرب العماليق النص : " كتب هذا في الكتاب تذكراً " ، فإنه يوضح : " قيل هذا القسم في السنة أربعين ، واستشهد بأنه قيل في السفر المعروف ، وهو سفر التوراة " . غير أنه أدرك أن هذا التوضيح غير مقبول ، لأن حرب العماليق كانت قريبة في وقتها من زمن الخروج من مصر . ويعبر هنا عن شرح آخر يظهر لنا فيه ذكاه الحاد والمدهش : " أو كان لهم كتاب آخر وعرف باسم سفر حروب يهوه وليس عندنا ؟ وذلك كما لا يوجد عندنا سفر المستقيم ، ومدراس غدا ، وأخبار الأيام للوك إسرائيل ، وأسفار سليمان " . وهكذا لم يمتنع الرّبي أبراهام بن عزرا أحياناً ، عندما لم يجد خطراً بشأن أسس الماسورا ، أن يعلن بوضوح ويدون ترده الأراء النقدية التي لم تكن مرغوبة بلا شك لدى العديد من

معاصريه ، حتى إن الربى موسى بن مناحم الذى جاء بعده اشتكى من ذلك ، وقال :
"قال الربى أبراهام بن عزرا إنه سفر معروف وهو سفر حروب الرب . وليس فى أقواله
تلك أى حجة " .

واستمر الربى أبراهام بن عزرا فى أبحاثه هذه فيما يتعلق بقضية مؤلفي بقية
الأسفار المقدسة . وإن لم يعلن ذلك بالتفصيل ، فإنه كان يوافق رأى الربى موشيه
الكاهن بخصوص إشعيا الثاني ، فى الإصحاح (٢٧) أظهر رأيه بوجود اثنين اسمهما
إشعيا . واعتمد فى تفسيره الفقرة الأولى من سفر إشعيا على عبارة "التي رأها على
يهودا وأورشليم " . وبنه على ذلك بأن إشعيا بن أموص قال معظم نبوءاته على مدن
يهودا التي استولى عليها ملك آشور وعلى أورشليم التي أتلفت من سلطانه " . وهكذا
فإن نصف السفر عن سبى يهودا ، لأنه لم يذكر بقية الأسباط " .

ووجد الربى أبراهام بن عزرا مجالاً مترامياً الأطراف لاتجاهه النقدي فى مجال
نقد النص . ولكونه واحداً من أفضل النحاة فى العصر الوسيط فى تصويره أن معرفة
اللغة العبرية ونحوها هما حجر الأساس لعلم العهد القديم . لذلك أكثر فى تفسيره من
البحث الفيلولوجي الضروري الذي ألقى الضوء على التفسير العبرية . وفى مقدمة
تفسيره الصغير فى حجمه العظيم فى قيمته . يلقى الضوء على أساليب التفسير
الأربعة للعهد القديم منذ عصر التلمود وحتى عصره . وهذه الأساليب هى : أسلوب
جاوونى بابل . وأسلوب القرأتين . والأسلوب الرمزي لأصحاب الرمز (المجازيين)
التصارى . وأسلوب الدراش لأصحاب الأجادا العبريين . ويعد وصفه لهذه المناهج
الأربعة السابقة عليه ينتقل إلى منهجه ويوضح . والأسلوب الخامس المؤسس عليه
تفسيرى فى أساسى . . . فبحث جيداً قواعد كل كلمة فى كل موضوع . ويعد ذلك
أوضحها حينما أتوصل إلى ... ولا أشير إلى نير أصحاب الماسورا لماذا هذه تامة وتلك
ناقصة ؟ .. لأن كل شبراتهم كمنهج الدراش ... ومترجم التوراة للأرامية ترجم لنا
الحقيقة ، وشرح لنا كل ما غمض ... " . وفى تفسيره "عزوا عزوا شعبي"
(إشعيا ١٠:٤) يظهر رأيه قائلاً : "إن هذه الفقرة متعلقة بالإصحاح (٢٩) بصورة
متكلفة " . لأنه ذكر سابقاً ، أو كل خرائن الملك وسبى أبناؤه أيضاً إلى بابل ، لذلك
تكون هذه المواساة بعد ذلك الحدث " . وهو يختلف عن الربى موسى الكاهن الذى يرى
فى إصحاحات التعزية "من منتصف السفر " أقوالاً رمزية عن الهيكل الثاني . ويقول
"وطبقاً لرأىي فالكل عن سبينا" (يعنى سبى بابل) . ثم يقول بالتفصيل "إن نصوص

الأحداث تذكر قورش "، ويضيف "واعلم أن ناسخى الوصايا طيب ثراهم قالوا : إن سفرى صموئيل كتبهما صموئيل ، وهى حقيقة حتى "ومات صموئيل" (صموئيل الأول ٢:١) ، ويعنى ذلك أنه أقصمت أنذاك أحداث ليست من عمل المؤلف ، ويصدق نفس الشيء على سفر إشعيا ، ويعد أن حاول الاستناد إلى دليل من سفرى أخبار الأيام ، يقرر كعادته "وإن لم يكن ، فيفهم العاقل".

وفى مقدمته للإصحاحات الشعرية الخاصة بـ "عبد يهوه" فإنه يشك فى مادتها ، ويبدل قصارى جهده فى تفسيرها ، ويناقش آراء الربى سعديا جاؤون لتفسير إرميا ويناسب أقوال السابقين المتأخرين (١٧) : "وإذا تتبع الأثر وراء المدراشيم فى المواضيع عرفنا أنه عرف الأسس أكثر من ذلك". وبلا شك فإن ابن عزرا نفسه "لم يقتف أثر المدراشيم" كلية ، غير أنه برجاجة فكره وعمق منطقته يتوغل إلى داخل المعنى البسيط للكلمة التى تقرأ ، مسلحاً بكل وسائل البحث التى كانت فى عصره - وعرف أنه ليس هناك "متقدم ومتأخر فى التوراة" (تفسيره للتثنية ١٥:٢١) ومواضع أخرى عديدة) ، وبما هو يكثر من تنظيم نصوص متباعدة سوياً فيؤخر المتقدم ويقدم المتأخر ، ويقرر : الفقرة الفلانية ترتبط مع الفقرة الفلانية ، ولو كانت أقسام كاملة تفصل بينهما (التثنية ٦:٣، ١٦:٢ وغيره).

ومن يقرأ تفاسيره بإمعان يجد فيها إجابات عديدة تقصد الإجابة عن الأسئلة التى أثارها نقاد العهد القديم فى عصر التلمود ، أو التى كانت سائدة فى عصر الجدال الدينى ، وعصر القرائن فى بابل ، أو بين مؤثر النقاد فى الأندلس قبل عصره ، واجتهده إلى حد بعيد ، واستطاع إزالة صعوباتها دون أن يذكر أسلتهم مطلقاً ، ويحتمل جداً أن تلك الحرب التى خاضها ابن عزرا مع النقاد فى كل العصور ، وسعى إلى تقنين العديد من "ادعاءاتهم" هى التى دعمت موقفه حتى لا يشعر معاصروه بالنقد الحر الموجود فى أقواله ، ولذلك استحق تفسيره الكبير حجماً - وأكثر من ذلك فى قيمته - القبول بوجه كبير عند جمهور المتعلمين ، واعتبر واحداً من المفسرين الماسوريين الرئيسيين ، وذلك سوياً إلى جانب الربى شموئيل وإسرائيل والربى موسى بن نحمان. وتسببت هذه الشهرة المتزايدة لابن عزرا فى خسارة معروفة فقد تنازل موارد عن اعترافاته الموجودة فى آرائه النقدية ، وذلك بأن تفاضى عن فقرات "محيرة" للغاية ، وشن حرباً على شخصيات قريبة له فى الهدف ، وأعصى فى الصلاة (وشاح الصلاة : الطاليس) عن الأسرار والرموز لكل رأى متشدد كشفه. غير أن هذه الشهرة

التي استحقها كتابه أدت إلى كسب متزايد في تاريخ تطور نقد العهد القديم، والرأي بأن التوراة تشمل في شأياها إضافات متأخرة مختلفة، برز لأول مرة على يد الربى يتسحاق بن يشيش، لكنه اختفى من عند العامة. لكن عاد ابن عزرا وقاله وأدخله داخل تاريخ العلم، ووجد ياروخ سبيتورا ألباز الربى أبراهام بن عزرا وفسرها واستمر فيها أبعد من ذلك، وعن طريق سبيتورا قبلت عند باحثي العالم كقانون ثابت.

ولم يحتل نقد الربى أبراهام بن عزرا مكانة هامة خارجياً فحسب، أي تجاه تطور العالم الأوروبي، بل كان له أيضاً قيمة كبيرة داخلها إلى حد بعيد. وبلا شك وجد حوله تلاميذ "مفكرون" تعلموا منه، وفهموا إشارات الرمية، وتنوروا لإدراك وجود النص في التوراة بمعناه البسيط، وإن كانت أقوال هؤلاء التلاميذ قد فقدت، فإن ذلك يعود إلى أنه لم يوجد من يحل محل ابن عزرا مرة ثانية ليضعها ويضعها في تفسير له ليحفظها إلى الأبد، ولذلك اختفت أقوالهم. كما كانت ستفقد بلا شك أقوال الربى يشوعا والربى يتسحاق بن يشيش، لولا أن جاء ابن عزرا وأنقذها. غير أنه أدرك أن المخاض قد تهيأ واتجاه جديد وقوى بدأ داخل التفاسير العبرية التي تنابعت آنذاك وتزايدت وانتشرت في كل البلدان التي كان اليهود يعيشون فيها، في إفريقيا وبابل والأندلس وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، وتصفنت في داخلها كل طاقات نتاج الأمة. وبكل تأكيد استمر زيادة سلطان الأجداد وأسلوب المدراس وضم إليها آنذاك أيضاً "القبالا" "وعلم الغيبيات" [السود]، وظهر العديد من المفسرين في أعقاب "الزهار" وفسروا بأساليب التفسير التقليدية الأربعة - البشاط (التفسير الحرفي) - والرمز (التفسير المجازي أو الرمزي) - والدراش (التفسير الوعظي) والسود (التفسير الصوفي) - غير أنه يكفي الإشارة إلى ذكر أسماء بسيط قمحي وسبط تنحوم والربى تنحوم الأورشليمي، وربي اليعازار إشكنازي، اليعازاري، والربى شموئيل بن نسيم والربى ليفي ابن أبراهام والربى إسحاق البلج والربى شم طوف بن بلقبرا والربى يشعيا مطرانى الصغير والربى زرحيا بن شالنتيل وعمونيل الرومي والربى يهودا مسير-ليون. وذلك لفهم ومعرفة إلى أي حد تزايد البحث العقلي من جانب، والاتجاه النقدي من جانب آخر، وتأثيرهما على التفاسير العبرية وطبعها بطابعهما.

٦- ربي ليفي بن جرشم

ونحصى من حشد النقاد المتأخرين : ربي ليفي بن جرشم ودون يتسحاق إبرنثيل ، وبهما ينتهى تأليف التفاسير فى الأندلس . فربي ليفي بن جرشم يعد واحداً من أعظم المفسرين الفلاسفة . وقد اقتفى أثر الربى موسى بن ميمون فى تفاسيره ، وبذل جهداً فى إيجاد سادة بحثية مجردة لأسفار العهد القديم علاوة على تفسيرها بالمعنى البسيط (فأورشليم "التي فى تشيد الأناشيد هى "الإنسان" ، "وبنات أورشليم "هن صفات النفس، و"سليمان" هو العقل الكامل والمسيطر على الكل ، وما يشابه ذلك) .

وعلاوة على ذلك بحث عن إيجاد دعم فى التوراة ليقية آرائه العلمية بوسائل مختلفة ، غير أن قيمته التاريخية فى تطور نقد العهد القديم ، ظهرت فى أسلوب معالجته لروايات المعجزات فى العهد القديم . وقد كان واضحاً للربى ليفي بن جرشم أن قوانين الحديد سائدة فى الطبيعة ، وهى قوانين لا يمكن تغييرها ، غير أنه توجد ظواهر عديدة لتلك القوانين ، والتي تبدو أمامنا بسبب ضلالة فكرنا وقصر عمرنا ، كما لو كانت منبثقة من المجموع . على الرغم من حقيقة أنها محددة وخاضعة أيضاً لوسائل الطبيعة ، ولأجلها شُربن بقية الظواهر الموجودة - فبدلاً من أن يقترب للمعجزة ، يعالجها من وجهة نظره هذه ، ويوضح معالجته بقوانين الطبيعة وقد أثر نقد المعجزات وفقاً لأساليب البحث الفلسفى فى عصره تأثيراً كبيراً على الباحثين التوراتيين ، والفلاسفة الذين جاؤا بعده ، ومنه استفاد عليه اعتمد ياروخ سبينوزا فى دراسته "المعجزات" فى كتابه "رسالة فى اللاهوت والسياسة" .

٧- دون إسحاق أبرنثيل

وأما دون إسحاق فكان متأثراً بالفلسفة التجريدية البعيدة عن الواقع والحياة وهى الفلسفة المدرسية ، فقد تنبه فعلاً بخطئ سقوط اليهود فى الأندلس ، وتشرب فى داخله كل اتجاهات التفاسير السابقة عليه ، وإن لم يستوعبها كلها بنفس الدرجة . غير أن قيمته الفريدة كانت فى موضوع رؤيته التاريخية والاجتماعية . وقد ساعده عمله الشعبى والرسمى فى كشف طبقات المجتمع وأساليب الدولة كما هى معكوسة داخل أقوال العهد القديم ، وسعى فى تفاسيره العديدة لوصف أساليب القيادة السياسية فى عصرى القضاة والملوك ، وذلك بملاحظة الآثار القديمة فى العهد القديم ، وشرح

المقياس والوزن والمسكوكات ، حتى الملابس التي كانت متبعة في عصر العهد القديم ، وبذلك تجاوز عن تفسير كل فقرة ، ووضع الأساس للوصف التاريخي لحياة المجتمع العبري في عصر العهد القديم على أساس شواهد الكتابات المقدسة ، واستند الباحثون الذين جاؤا بعده كثيراً من أقواله وواصلوا أبحاثه.

خامساً : البحث العبري والبحث النصراني

١- إيلياهو لويتا

مع تدهور وضع اليهود في الأندلس تدهورت أيضاً مكانة البحث النقدي عند اليهود ، وانتشر مفكرو الجيل في كل اتجاه ، والفحص الذهبي في تاريخ الابتكار العبري ابتعد عن البحث الحر وسُلم للعلم الغيبي وعلم القابالا الذي ظهر آنذاك ليسيطر على العقول ، واضطر سفر الأسفار أن يخلى تدريجياً مكانته الرئيسية للكتب الأخرى ، سواء علانية أو سراً . ومرة ثانية - وكما حدث في عصر التدهور في الشرق - فقد كان المجال الوحيد الذي تأسس عليه علم العهد القديم مجال بحث النص وتحديد الماسورا وما كان يفعله آنذاك ابن أشير لبحث العهد القديم أصبح يفعله الآن إيلياهو بن أشير لويتا . فكان أول من اتجه لإلقاء الضوء على تاريخ تكوين ماسورا العهد القديم ورسم لها خطأ نقدياً ، وعلاوة على مؤلفاته العديدة والرئيسية التي كتبها في علم اللغة العبرية ("كتاب المختار" كتاب التركيب) ، "عودتي" ، "عترجم" ، "أسماء الأشياء" "حسن القيم" وغيرها ، كتب أيضاً "ماسورا الماسورا" ، وهو كناقد ذكي ولغوي خبير اتجه ليوضح كل "المقروء" و"المكتوب" ، "الكامل" و"الناقص" ، وكان أول من نسب لعلماء التشكيل وضع الحروف اللينة في التوراة وبذلك فتح مجالاً جديداً في نقد النص ويمتجهد مميز حدد بنفسه أفكاره عن تثبيت العهد القديم . فكان أول من أضر على متابعة تثبيت العهد القديم ورأى في ذلك عملاً عظيماً لجماعة كاملة ، وأدرك فيها إشارات لتأثير عصر الهيكل الثاني . وقرر في مقدمته لـ : "ماسورا الماسورا" (١٥٢٨) قاعدة : أن عزرا ورجال الكنيسة الكبرى جمعوا سوياً الأسفار الأربعة وعشرين المتفرقة الموجودة لدينا وقسموها لثلاث مجموعات مميزة ، وقاموا بترتيب أسفار الأنبياء والكتابات . وعمل سوياً مع عطه الأساس هذا ، على نشر معرفة اللغة العبرية من منبعها ، وعمل كذلك على نشر نتائج البحث العبري الخارجية ، وترجمت العديد من كتبه وانتشرت ، كما أخذ برأيه بشأن تثبيت العهد القديم "بوخستورف" وسادت في دوائر

معروفة عند الباحثين النصارى واستمرت مئات السنين . ومع ذلك فقد كان فريداً في عصره داخل الجماعة اليهودية .

٢- انتشار القابالا

وقد استولى أدب القابالا وعلم الغيب على زمام السيطرة على روح التفكير لدى اليهود . وأهملاً أيضاً دراسة مصادر النصوص ، غير أنه تم البحث في الأسرار الكامنة وراء النصوص . ويحدث كذلك الواقع الفعلي لحياة بنى إسرائيل في عصر العهد القديم ، وأما تطور النصوص داخل العهد القديم نفسه ، فقد نسبت كلية من قلب أصحاب الحكمة الخفية ، ليس هذا فحسب بل حقيقة نسبة أسفار الزهر إلى عصر التناخ . انتقلت بمعرفتهم إلى الباحثين وأجبروهم على التمسك "بالتكرار من أجل التكرار" . ومع ظهور الطباعة كان الزهر من أوائل الكتب التي تم نشرها .

٣- عزريا بن هاأدوميم

ومع أن الربى عزريا بن هاأدوميم - ذلك الناقد الحر المميز في عصره - قد نال جزاءه من رباني ذلك الجيل بسبب آرائه النقدية ، فقد نقد الياهو أويشا وأسلوبه في وضع التشكيل ، وكان رأيه بوضوح أن التشكيل كان قائماً قبل تأليف المشنا طالما أنها ذكرت في "تجيلات" الربى شمعون بن يوحاي وطائفته . وقد وجد أيضاً أنذاك من لم يمتنع عن رؤية التناقضات داخل الكتابات المقدسة ، ولكنهم وجئوا في هياكل القابالا راحة لأنفسهم المحيرة . والمثال على ذلك "كتاب المقرر" للربى منشى بن يسروئيل الذي أحصى أربع مائة وسبعين تناقضاً في الكتابات المقدسة ، وعلى الرغم من ذلك لم يؤد كشف هذه التناقضات به إلى الاقتراب من البحث العلمي .

٤- الربى منشى بن إسرائيل

مهتد السبيل للربى منشى بن إسرائيل الترجيح بين النصوص المقدسة على أساس أسلوب القابالا وعلم الغيب ، وتشهد الصعوبات الدائمة في أدب المفسرين أحياناً ، بأن كبار الأتقياء لم يستطيعوا إدراك أن الغموض والتناقض ازداد في الكتابات المقدسة زيادة متعددة وأصلية . غير أن الماسورا الدينية وهياكل التفسير التي شيدت وازدهرت على أسس الأجادة وقفت حصناً منيعاً أمام تلك "النفوس الغاضبة" التي لم تأت بكل قوتها إلا لإثراء تلك الهياكل وزيادة تطويرها وإظهار حدودها .

وينفس القدر الذي اختفى فيه وتدهور بحث العهد القديم عند اليهود، بدأ استخدام نقد العهد القديم يزدهر خارج حدود بني إسرائيل، واخضع إرثهم وانتقل إلى مجالات العلم الأوروبي. حتى أنه عندما يأتي بعد ذلك جاكوبين مبتكر من بني إسرائيل ويمس في نهاية بحث سفر الأسفار ويكشف آفاقاً جديدة في النقد، فإن أقواله كانت تكتب باللاتينية وموجهة إلى الخارج.

وقبل أن تنتقل إلى نظرية سبينوزا وبحث العهد القديم في أوروبا في عصر مذهب الإنسانية، وعصر تدهور فكرة الإنسانية داخل الحدود اليهودية نعرف بشكل موجز وضع البحث داخل نواثر الكنيسة النصرانية.



القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الخامس

التفاسير النصرانية



١ - بداية التفاسير داخل الكنيسة

أ- آباء الكنيسة

إذا كانت الأوضاع العامة لا تزال غير ملائمة لباحث النقد اليهودي ، فقد كانت صعبة وسيئة داخل دوائر الكنيسة النصرانية . فالماسورا التي قدست بواسطة الكنيسة قيدت الفكر ولم تسمح بالنقد والبحث الحر . وباستثناء هذه المشكلة التي كانت سمة مشتركة لوجهة نظر سائدة سواء عند اليهود أو النصارى ، فإن الباحثين النصارى كانوا لا يزالون بعيدين عن اللغة العبرية ، وأسفار العهد القديم في مصدرها كانت بالنسبة للعديد منهم بمثابة السفر المبهم . وكان غرض النصارى الأوائل إيجاد دعم لعقيدتهم داخل أسفار العهد القديم ، لذلك اضطروا إلى التمسك بطرق الرمز والمجاز . وعلى ذلك التحرفسروا النصوص داخل العهد الجديد (انظر على سبيل المثال متى ٢٢: ٤٤ في تفسيره للمزامير ١٠٩: ١) ، واستمر آباء الكنيسة في متابعة هذا الأسلوب الذي رسمه يديدا الإسكندري وتلاميذه . كما كان يفسر بولس الرسول النصوص المقدسة بأسلوب الدراش والرمز .

ب- الوعظ النصراني

وشجب الغنوصيون والنسطوريون أسلوب الوعظ [الدراش] المسلم به لدى الكنيسة ، ولم يفعلوا ذلك من خلال وجهة نظر نقدية ، بل لأسباب دينية وأخلاقية فحسب . وعرفنا من أقوال أورجين تجاه الفيلسوف الوثني تسلازوس ، أن تسلازوس وجد تناقضات عديدة في سفر التكوين ، واعتقد أنه من المتعذر أن يكون السفر كله قد كتبه مؤلف واحد . ولم يكن كتاب أورجين معتمداً كلية على المصدر العبري للعهد القديم بل على الترجمة اليونانية . وبصورة عامة لم تكن هناك جدوى لإظهار المواضع الغامضة في العهد القديم ، لكن بدت قوة أورجين بتقديره لمواضع الكنيسة وكشفه أسراراً ورموزاً أخلاقية في قصص التوراة ، فأصبح كتابه واضحاً وريئاً لدى الكنيسة ، وبخاصة الكنيسة الشرقية ، لذات السنين . وأضاف أورجين بعمله هذا إبعاد النصوص المقدسة عن جذورها الواقعية وأما الوعظ في إنطاكية فقد قاموا أحياناً بتفسير العهد القديم طبقاً لمعناه البسيط ، وكان أوجوستينوس يقول : إنه مع المضمون الخفي الذي يوجد في كل نص من النصوص فإن "العهد القديم لا يخرج عن معناه البسيط" ، وأعظم من هذا كان عمل هيرونيμος مترجم التوراة إلى اللاتينية (الفولجاتا) لتعلمه العبرية عند معلمين يهود . فقد كان الأخير من بين وعاظ الكنيسة ويعرف العبرية واستخدم أقوال التوراة

من مصدرها ، وكل من جاء بعده من الوعاظ النصراني طوال العصر الوسيط تعلموا التوراة على أساس ترجمته ، وكتبوا أبحاثهم وتفسيراتهم ليس على نص التوراة الأصلي بل على نص الفولجاتا ، ونسبت اللغة اليونانية داخل البوادر الكنسية وسيطروا بدون المسورا .

وقرر "فينسنتيوس" أن أي بحث في العهد القديم لا يلائم في كل تفاصيله رأي الكنيسة يعتبر في حكم الهرطقة ، ولذلك فإن البحث التأملی للكتابات المقدسة لم يخط خطوة واحدة للأمام في بوادر الكنيسة طوال ألف سنة وما يزيد ؛ ولم يتحسن بحث العهد القديم حسب منهج أصحاب الفلسفة المدرسية ، كما لم يتسبب عصر الصوفية في تطوره . واستخدم العهد القديم في رأي هؤلاء فقط كشعاعة ليعلقوا عليها أفكارهم وشروحيهم التي ليس لها أي علاقة أو صلة بمضمون العهد القديم . وبدأ نيقوليوس ، الذي عاش في بداية القرن الرابع عشر ، مرة أخرى يبحث وراء بساطة العهد القديم ، وسلك طرقاً جديدة في علم المواعظ النصرانية ، وأحدثت كتيبه ثورة في حينها ، وأثرت كثيراً ليس فقط على معاصريها ، بل أيضاً على الأجيال المتأخرة ، بما في ذلك لوتر . وقد تعلم نيقوليوس العبرية عند أحد ربابي فرنسا ، واستخدم في مؤلفه الكبير تقاسير مفسري العهد القديم اليهود الذين كانوا في فرنسا وإسبانيا ، وبخاصة تفسير الرببي شلومو يتسحاقى الذي تأثر به بدرجة كبيرة جداً ، ونسخ العديد من أقواله داخل كتابه

وفي هذه العصور زال الحاجز الذي فصل بين بحث العهد القديم عند اليهود والشعوب الأخرى . وبالفعل رأينا الرببي أبراهام بن عزرا يكتب في مقدمة تفسيره ما يرتبط بطرق التفسير المسلم بها في العالم النصراني ، وتوسع الرببي دافيد قعحى في تفسيره في النقاش مع مفسري الكنيسة . وينفس الدرجة التي اقتررب بها المفكرون اليهود في إسبانيا من ثقافة معاصريهم ، تزايد تأثيرهم على العالم الخارجى بطرق التفسير الحرفي (الدراش) المعترف بها عندهم ، وكذلك تقبلوا التأثير منهم ، فيفسر الرببي يهوذا مسير - ليوان سفر الأمثال بنفس الأساليب التي سلكها في عصره التفسير البلاغى . واقتبس دون يتسحاق أبرنتيل في تفسيره مرات عديدة أقوال آباء الكنيسة وبذل جهداً لاستنباطها ومناقشتها مناقشة تأملية .

٢ - الإنسانية والعهد القديم ، اليهود بمثابة وسطاء

وحدث تقارب بين البحث العبرى والبحث النصراني نتيجة سبيين رئيسيين ، فقد

سقطت في نهاية القرن الخامس عشر كنيسة اليهود في إسبانيا مركز الفكر العبري آنذاك ، وتشتت المفكرون اليهود في الخارج ، وبدأ الاتجاه الإنساني يعطى شأره ، كما كان انتشار معرفة اللغات القديمة مثلاً لبحث العهد القديم . كما أفادت معرفة اللغة اليونانية في تطور بحث العهد الجديد ، وظهرت آثارها أيضاً في مجال بحث العهد القديم ، وفي عصر ريخلين تزايد بحث أسفار العهد القديم بين النواثر النصرانية ، وكان من بينهم من أراد الوقوف على جوهر الأقوال في مصدرها ، فاضطر إلى اللجوء إلى الباحثين العبريين ، وكان دون يستحاق إبرنليل نفسه الذي يقتبس في كتبه من أقوال هيرونيموس وأوجوستينوس ، وما هي أقواله تأتي بعد ذلك على يد بوخستروف وكرفسوف وآخرين من علماء أمم العالم ، وبين البحث العبري والبحث النصراني ظهرت شخصيات بارزة لوقوفها وتوسطها بين عالمي الفكر اليهودي والنصراني ، من تلك الشخصيات شخصية إلباهو لويتا ، الذي أسس بحث العهد القديم ونقد الماسورا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نشر معرفة اللغة العبرية خارج دائرة اليهود وبواسطة عمله التعليمي هذا أسس جيلاً من علماء أمم العالم الذين صاروا خبراء باللغة العبرية ، ومن بين تلاميذه الذين تعلموا التوراة على يديه بعض الباحثين النصراني المشهورين مثل سفسطين مينوبسترو باول بجيوس وغيرهما ، وعلاوة على ذلك كان هناك بعض اليهود الذين علموا اللغة العبرية وأساليب بحث العهد القديم للباحثين النصراني ، ومن بينهم (يعقوب يحنيل لونتس ، وألبر عويديا سقرنوا معلما ريخلين ، منتيا الأسباني ، معلم فليكان ، وآخرون)

٣- عصر الإصلاح

أ- لوثر وتلاميذه

دفعت حركة الإصلاح بحث العهد القديم دفعة جديدة ، فمؤسسها وتلاميذه وضعوا بحث العهد القديم مرة ثانية في مركز فكرهم ، وعادوا مرة ثانية ليستمعوا الغذاء الروحي لحياة العقيدة من هذا المصدر القديم . وقد نشرت ترجمة لوثر الجديدة والمناقشات العديدة التي حدثت في أعقابها أقوال العهد القديم بين جمهور عريض ، كما أثارت مرة ثانية حثين مفكري العصر إلى سفر الأسفار . غير أن البحث العلمي والابتكار النقدي كان لم يخط بعد خطوة إلى الأمام ، فالأساليب الدينية الجديدة التي بنيت على أساس النصوص الدينية ، والاختلافات الدينية التي حدثت في العالم أبعدت

العهد القديم كشرعية عن مجال الفكر التأسلي، وبدلاً من علم العهد القديم حل لاهوت العهد القديم، وتعد الحركة التي قامت حول المجادلات والمباحثات هامة جداً بالنسبة لموضوعنا في مجال البحث الخارجي للعهد القديم، أي بحث النص.

وأظهر لوثر وزقنجلي وكالفن رأيهم بأن تشكيل الكتابات المقدسة من عمل أبراهام بن عزرا ونيقوليوس مليرا وإلياهو لوينا، ولذلك سيطرت الحيرة حول الحقائق المقررة، ومن ناحية ثانية خرج غلقبوس أحد عظماء المفسرين الإصلاحيين وأكد أن هذا التشكيل قديم وسليم، غير أن هذا الخلاف الذي استمر عشرات السنين لم يأت بشمار مفيدة للبحث العلمي، لكونه خلافاً دينياً وعقائدياً، فالكنيسة الكاثوليكية شنت حرباً ضد نصي الماسورا، ورغبت في وضع حد لأقوال الإصلاحيين القائمة على النصوص، وقد قصد يوهان مورين إلى الكشف عن أن النص العبري للتوراة ملئ بالأخطاء ومشوه، وبناءً على ذلك فالقولجات أيضاً غير موثوق فيها لاعتمادها على النص العبري، ويفوقها نص التوراة السامرية والترجمة السبعينية التي يمكن استخدام أقوالهما؛ وظهر مناقضاً له جرهره، فقرر أن النص العبري قديم وبتيق وليس به خطأ مقصود، ولم يكتف بوضتورف بذلك بل أصدر قانوناً معارضاً لأقوال لوثر وتلاميذه الأوائل أنفسهم، وهو الثقة بقديم النسخة العبرية للتوراة، بما في ذلك التشكيل والاختصارات، وأنها واحدة من أسس الدين الجديد.

ويقهم من ذلك أنه كان من المستحيل في ظل هذه الأوضاع أن يتقدم بحث العهد القديم في إطار الكنيسة اللوثرية، واستمر هذا الطلب مرفوضاً استجابة للمفسرين الكاثوليك.

ب - النقاش حول تشكيل أندرياس مزيوس وزملائه

بدأ المثقفون اليسوعيون في كشف الطابع المتعذر للعهد القديم وأعربوا عن الرأي أنه داخل العهد القديم أقحمت بعض الإضافات المتأخرة ووجدوا دعماً لهم في أقوال أندرياس مزيوس (دتي - نس) أحد المثقفين الهولنديين الذي تمكن من تحديد الزمن الذي رتبت فيه التوراة، وللإجابة عن سؤاله توجه إلى المصادر التي حفظت في الأدب العبري القريبة إلى تلك الفترة، وبدأ أبحاثه بالبراييتا المعروفة في (بابا باترا ١٤:٢) بشأن ترتيب الكتابات المقدسة وزمن تأليفها، ونفس هذه البراييتا ساهمت في بحث العديد من الباحثين في العصر الوسيط من اليهود أو عن الأمم، ويقال فيها - من بين ما قيل - "كتب عزرا سفره"، ونسب أخبار الأيام له "ويفسر أبرينيل أن عزرا لم يخرج من تلقاء نفسه لينسب أخبار الأيام لنفسه بل كانت أمامه قوائم عديدة كتبت

بواسطة الكتبة أبناء ذلك العصر، في غضون العصور السابقة له ومن بين هؤلاء الكتبة القدماء أنبياء المملكة وحكامها ووزرائها . وهذا التفسير الذي يبدو بمثابة شهادة كان قريباً من تفسير صاحب البرايا في تخمين زمن إقرار العهد القديم، وقد افترض مزيوس رأيه عن تاريخ بناء أسفار التوراة الخمسة فكما أن عزرا كتب الأسفار التاريخية الموجودة في العهد القديم على أساس قوائم قديمة، كذلك كتب موسى أسفار التوراة على أساس لفائف قديمة كانت منتشرة بين الشعب وأعلنت من جيل إلى جيل.

ج - سيكستوس مسينا

وجد زملاء مزيوس هذا الرأي صواباً ، وانطلقوا بقوته لتفسير التوراة . وكان تأثيره في حياته كبيراً على الباحث سفسطوس مسينا الذي كان يهودياً إيطالياً ثم تنصر ، وأصبح يومينيكي . أدت به يهوديته إلى معرفة عميقة بعلم اللغة العبرية ، فألف مقدمة هامة ومفصلة للقولجاتا.

غير أنه حان الوقت لأن يخرج علم العهد القديم من هذه الدائرة - لإعادة بنائه من جديد - ويعد باروخ سبينوزا رائد المنهج الاستنباطي ، والذي بدد بشجاعته العلاقة الغيوم، ومهد طرقاً جديدة لعلم العهد القديم وبلا شك فإن طرق بحثه وخصائصها النقدية ليست كلها جديدة كلية، بل إن معظمها مستمد من أرشيف الباحثين السابقين له، غير أن النتائج التي استنتجها في عصره قوضت أي قلعة تفسيرية، وبقوتها ووضوحها أجازت البحث والتأمل وكانت النتائج متسقة مع الحقائق العلمية للعصر .

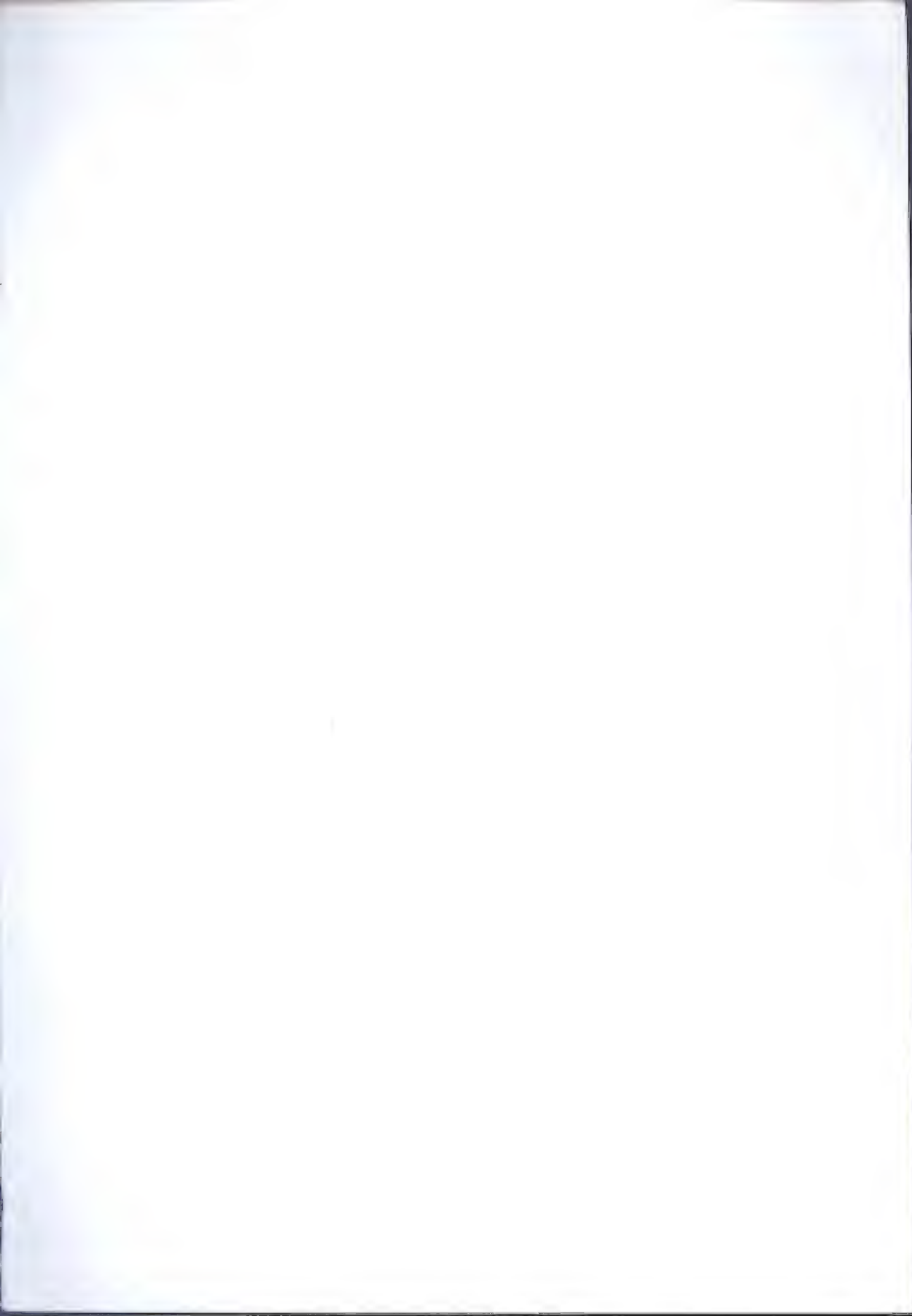


القسم الأول

نقد الموروث

الفصل السادس

باروخ سبينوزا وآراؤه في العهد القديم



١ - رأى أصحاب الماسورا حول مؤلفي العهد القديم

يقول سبينوزا في "رسالة في اللاهوت والسياسة" : كما أنه لا يمكننا فهم قوانين الطبيعة قبل أن نوضح لأنفسنا أحداث الطبيعة ، فكذلك لا يمكننا أن نصل إلى الرأي النهائي لأقوال العهد القديم قبل أن نكشف لأنفسنا أحداث تطوره . وبدأ هو نفسه يكشف أمامنا تاريخ العهد القديم إلى أقصى درجة عقلية ، واستهل بحثه بالسؤال : بواسطة من ألقت أسفار الكتابات المقدسة؟ ومتى ألقت؟ وما هي صحة رأي الماسورا التي تنسب كتابة كل سفر من الأسفار إلى البطل الرئيسي الذي يتحدث عنه السفر؟.

وقد عرف سبينوزا إلى أي مدى أن معرفة مثل هذه الموضوعات غير مرغوبة ، وأنها في نظر العديد تعني الهرطقة. وعرف أيضاً بأنه لم يكن أول من ألقى شكوكاً حول أقوال الماسورا، بل سبقه العديد من المفسرين القدماء . وأخذ سبينوزا هذا الباعث الأصلي للبحث من ابن عزرا . فطبقاً لرأي سبينوزا أن إبراهيم بن عزرا كان أول من ثار ضد الماسورا، غير أنه لم يجرأ على التعبير عن آرائه بوضوح ، وقصد إلى استخدام لغة نظوية ورمزية لم تكن مفهومة للعديد من أبناء عصره، أو الأجيال التي جاءت بعده، إلى أن جاء هو - سبينوزا - وفسرها ، وهاهو سبينوزا يتابع ويوضح أقوال ابن عزرا المذكورة في تفسيره لسفر التثنية (١١)، حيث يكشف سر الأثنا عشر وكتب موسى و"الكنعاني آنذاك في الأرض" و"في جبل يهوه يرى" و"ها هو ذا عرشه عرش حديد" ثم يفسر قصد ابن عزرا من قوله "عندئذ تفهم الحقيقة" ، وقد ناقش هذه الصعوبات بتأمل ليظهر بأن موسى لم يؤلف أسفار التوراة الخمسة وأنها لا تعود إلى عصره .

٢ - تفسير سبينوزا لرموز ابن عزرا

ومن أجل تدعيم رأي ابن عزرا وتعزيزه أكثر ، استمر سبينوزا وأخصى أدلة جديدة من ثنايا أقوال العهد القديم التي يمكن أن تستخدم كحجر أساس وشهادة معززة له ، فالتوراة لم تتحدث بشأن موسى في أي موضع بلسان المخاطب ، بل تتحدث عنه كثيراً بضمير الغائب، كما تسرد أحداث من المستبعد أن يقولها مؤلف عن نفسه "وكلم يهوه موسى" ، "وكلم يهوه موسى وجهاً لوجه" (الخروج ٣٣: ١١)، وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض (العدد ١٢: ٣)، فسخط موسى على وكلاء الجيش (٤: ٣١)، موسى رجل الله (التثنية ١: ٣١)، ومات هناك موسى عبد الرب (٢٥: ٣٤) .

وعلى العكس من ذلك ورد في بداية سفر التثنية عند حديث النص المقدس عن أقوال الشريعة التي شرع موسى في توضيحها لبني إسرائيل ، تحدث الجميع بلسان المخاطب مؤيدين إياه " وكلمتكم ... فأجبتهموني ... فأخذت ... وجعلت ... وأمرت ... فتقدمتم إلى ... فحسب الكلام إلى ... وعصيتم قول الرب ... وقال يهوه إلى ... وتوسلت إلى الرب " (التثنية الإصحاح الأول والإصحاح الثاني وغيرهما) ، إلى أن أتم موسى تفسير كل الشريعة ، عندئذ بدأ النص المقدس يتحدث بشأن موسى مرة ثانية بضمير الغائب - والأكثر تعبيراً من هذا ذلك القسم الأخير الذي يسرد كيف مات وكيف دفن وكيف نذب من قبل بني إسرائيل . وعلاوة على ذلك فإن النص يشبه موسى ببقية بني إسرائيل وليس بينهم من هو أفضل منه ، ولم يقم كما يشهد النص المقدس "نبي بعد في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه يهوه وجهاً لوجه (التثنية ٣٤ : ١٠) وأنه "حتى هذا اليوم" لم يعرف رجل قبره .

ويضيف سببنوزا أن "شهادات كهذه لا يمكن أن تشهد بأن قائلها واحد من تلاميذ موسى الذين جاؤا بعده . بل إنه شخص عاش بعده بمئات السنين " ، وهو قصد بذلك - كما يبدو - حجج الرأي التلمودي الذي يرى أن يشوع هو الذي كتب القسم الأخير من التوراة - وعلاوة على ذلك ، وجد سببنوزا في ثنايا التوراة أسماء متأخرة لم تكن موجودة زمن موسى ، وكذلك روايات تناقض عصوراً متأخرة . فيقال في قصة إبراهيم "وتبعهم إلى دان " (التكوين ١٤: ١٤) وكما نعرف من القضاة (٢٩: ١٨) أن اسم هذه المدينة لم يكن معروفاً من قبل ، بل عرف فقط بعد أن استولى عليها يتو دان وبنوها من جديد فأطلقوا عليها اسم دان ، ويقال في قسم المن "وأكل بنو إسرائيل المن ... حتى قدومهم إلى أرض مسكونة أكلوا المن حتى قدومهم إلى نهاية أرض كنعان" . وأصر على ذلك فعلاً المفسرون العبريون في العصر الوسيط ، كما أصرُوا أيضاً على برهان آخر أبرزه كثيراً سببنوزا "وذلك بشأن عبارة : هؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أنوم قبل أن يملك ملك لبني إسرائيل (التكوين ٢٢٦: ٣١) ، ويتضح من كل هذا وضوح الشمس - كما يقرر سببنوزا - أن موسى لم يكتب التوراة ، لكن كتبها شخص آخر عاش مئات السنين بعد موسى ."

٢ - موسى مؤلفاً

غير أن سببنوزا لم يستكز أن موسى لم يكتب الأسفار بصورة عامة . ولذلك يبحث في ثنايا التوراة ويجد في قسم العماليق "أكتب هذا تذكراً في الكتاب" (الخروج ١٧: ١٤) ، لذلك يسأل سؤياً مع ابن عزرا ، في أي الأسفار كتب موسى قسم

الحرب؛ فيجيب "فى سفر حروب يهوه" الذى يسرد عنه فى سفر العدد (١٤:٢١) "كما لو كان سفرًا قديمًا ومعروفًا" على ذلك يقول فى سفر حروب يهوه وأهـب فى سوقه وأودية أرنون". وعلى ما يبدو كتب فيه موسى تنظيم حملات بنى إسرائيل الخارجين من أرض مصر (العدد ٢:٢٢) ويحدث سفر الخروج (٤:٢٤-٧) عن "سفر العهد" الذى قرأه موسى على مسامع الشعب وعلى ما يبدو كتب فيه موسى "كل أقوال يهوه وكل الأحكام" التى ترد فى سفر الخروج (٢٠-٢٢).

وبما أن موسى كتب كل هذه الأقوال المتضمنة فيه فى يوم (ويكر فى صباح الغد من هذا اليوم وبنى المذبح ، وغير ذلك ، وقرأها كلها مرة واحدة ، وسمع الشعب كل الأقوال وقالوا نعم ونسمع ، يبدو أن سفرًا كهذا لم يتضمن فى وسطه سوى هذه الأحكام التى ذكرت هنا ولا أكثر من ذلك .

ومرة ثانية نعرف من سفر التثنية أن موسى أراد أن يفسر الشريعة فى عبر الأردن (التثنية ٥:١) وقطع هنا عهدًا أيضًا "بل مع الذى هو هاهنا معنا واقف اليوم ... ومع الذى ليس هنا معنا اليوم (١٤:٢٩) ؛ وبعد ذلك كتب موسى كل هذه الشريعة التى فسرهما على مسامع الشعب ومنحها الكهنة وكتب فيها أيضًا الأنشودة ليعلم بنى إسرائيل، ووضع "سفر تورااة الرب" فى التابوت، واستقر بعد ذلك يشوع يكتب فيه أقوال العهد الذى قطعه لشعب إسرائيل (يشوع ٢٤:٢٥ وغير ذلك) وبما أننا لا نعرف سفرًا مثل هذا السفر الذى يتضمن فى داخله تلك العهود، ينبج من ذلك أن هذا السفر قد من عندنا كما فقدت العديد من الأسفار الأخرى فى عصر العهد القديم.

ويقول سبينوزا فى "رسالة فى اللاهوت والسياسة"، الفصل الثامن: "وبما أننا لا نعرف ما يتعلق بالأسفار الأخرى التى كتبها موسى ، وبما أن موسى أراد فقط أن يضع سفر العهد مع الأنشودة التى أضافها فى تابوت العهد لتعلن إلى الأبد ، وبما أن العديد من المواضع فى التورااة لا يمكن أن تكون كتبت بواسطة موسى ، يهـم بدون تردد افتراض أن موسى ألف كل أسفار التورااة ينقصه الدليل ومناقض للعقل."

٤ - أسفار الأنبياء مصدرًا تاريخيًا

وهكذا وضع سبينوزا أن سفر يشوع لا يمكن أن يكون قد كتب بواسطة يشوع حيث توجد فيه فقرات مشابهة لتلك الموجودة فى التورااة - وكان الرب مع يشوع وكان خبره مع جميع الأرض (يشوع ٦:٢٧) ، لم يهمل - يشوع - شيئاً من كل ما أمر به موسى (١٥:١١) . وعلاوة على ذلك مكتوب فى السفر بالتفصيل "ومات يشوع بن

نون عبد يهوذا... ودفنوه في حدود إرثه" "وعبدت إسرائيل يهوذا كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع" (٢٩:٢٤ وما بعدها) .

و فيما يتعلق بنظام تقسيم الأرض يعلن السفر أن بني إغرايم لم يرثوا الكنعاني ويضيف الكاتب "وسكن الكنعاني في وسط إغرايم حتى هذا اليوم" (يشوع ١٠:١٦) ، وفي الرواية المكتوبة بشأن الشمس في جبعون ما هو بوضوح "ولم يكن مثل هذا اليوم قبله ويعدده" (يشوع ١٠:١٤) . كل هذا يظهر لسبينوزا بوضوح أن السفر لم يكتب بواسطة يشوع ولا في عصره .

وكما يتضح أيضاً فإن سفر القضاة لم يكتب بواسطة القضاة . بل إنه ألف كله بواسطة مؤلف واحد ، وهو ما استنتجته بوضوح من أقوال السفر "في تلك الأيام لم يكن هناك ملك في إسرائيل . كل واحد عمل ما حسن في عينيه" (القضاة ٢١:٢٨) وانظر أيضاً ١:١٨ : ١:١٩

ووجد ما يشابه ذلك في أسفار صموئيل والملوك التي تشمل في داخلها روايات عديدة تتعلق بشاؤول ودأود حدثت بعد موت صموئيل بزمان طويل . ويظهر من النص "سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله . هلم نذهب إلى الراعي . لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً (في عصر صموئيل) الراعي" (صموئيل الأول ٩:٩) إلى أي مدى كان مؤلف هذا السفر بعيداً عن عصر صموئيل ؟ وسقرا الملوك طبقاً لشهادة السفرين ذاتهما هما أجزاء واختصارات لأقوال مأخوذة من أسفار أخرى مثل سفر أخبار الأيام للملك إسرائيل (الملوك الأول ١٤:١٩) . و "سفر أخبار الأيام للملك يهوذا" (٢٩:١٤) . ويستنتج سبينوزا من خلال كل هذه الأقوال الافتراض التالي : أنها كلها كتبت في عصر متأخر وأن كل الأحداث المروية فيها بمثابة أحداث حدثت من قبل في إسرائيل .

٥ - سر الإقرار

وبعد أن تعمق سبينوزا في تتبع تسلسل الروايات وترتيب أسفار الكتابات المقدسة اكتشف سر الشريعة . وقرر سبينوزا أن الأسفار المتفرقة والفريدة لم تجمع في مجموع واحد ، غير أن يداً واحدة تظهر في كل الأسفار . من أولها إلى آخرها . وهذه اليد الواحدة هي التي رتبت ودمجت . وجعلت تلك الأسفار الفريدة مترابطة في سلسلة واحدة . وحدث ذلك بعد أن تم فعلاً كتابة كل الأسفار المقدسة . وتظهر الأقوال أن الجامع أراد أن يعلن للأبد تاريخاً كاملاً وشاملاً منذ تكون بني إسرائيل كشعب

وحتى السبب البابلي ، وفي سفر واحد ينهي إحصاء الروايات المتعلقة بموسى ، وأثناء انتقاله إلى يشوع يضيف المقدمة الرابعة "وكان بعد موت موسى عبد يهوه فقال يهوه إلى يشوع ، وينهى يشوع ويبدأ سفر القضاة ويضيف "وكان بعد موت يشوع وطلب بنو إسرائيل من يهوه قائلين : من يصعد علينا ؟ "وبعد ذلك يضم إلى هذا السفر سفر روث الذي يبدأ بالحديث "وكان في أيام حكم القضاة ، فكان جوع في الأرض : ويشبه ذلك بداية سفر صموئيل الذي ينتهي بموت شاؤول ، ولذلك يبدأ الحديث في صموئيل الثاني فيقول : وكان بعد موت شاؤول وعاد داود من ضرب العماليق " وينتهي سفر صموئيل الثاني بآيام داود الأخيرة ، وبها يبدأ أيضاً سفر الملوك الأول ، وينتهي سفر الملوك الأول بالحزيا ، ويبدأ به سفر الملوك الثاني .

والظاهر الخارجي لهذه الأسفار لم يكن دليلاً على تمييزها فحسب ، بل يدل على ذلك - أيضاً - الفكرة العامة والمميزة السائدة فيها ، والهدف العام الشامل المشترك فيها . وكثب المؤلف الأحداث حسب ترتيبها ، كيف ومتى وأين عرض موسى التوراة على بني إسرائيل ، وأظهر للجماعة الطريق الذي تسلكه والأحداث التي تحدث لها ؟ وقد تحققت وعود موسى ورث بنو إسرائيل أرض كنعان ، غير أنه في أعقاب عدم حفظهم الأحكام والقوانين التي أمر بها يهوه موسى ، أخفى يهوه وجهه عنهم ، وبعد ذلك طلب بنو إسرائيل أن يكون لهم ملك ، ويضيف ليصف عصر الملوك وحكمهم سواء سلباً أو إيجاباً ، مقارنة بأفعالهم سواء حفظ الملوك توراة موسى أو عملوا الشر أمام يهوه . أو أخطأ الشعب أمام يهوه ونكث عهده ، ولذلك تركهم يهوه فسبب لهم ضوابط عديدة وسيئة إلى أن سبوا من أرضهم ، وقد حذر موسى بني إسرائيل من كل هذا . وكان للمؤلف يهمل بقية الأحداث التي ليس لها صلة أو علاقة بهذا المخطط العام . لأنها غير مهمة بالنسبة له . ثم يعرض متتبعا مصدرا آخر ، وكان الهدف العام لرؤية المؤلف الذي أثاره لهذا العمل الكبير هو جمع هذه المادة ، وبمجها وربطها سوياً من أجل إظهار إلى أي مدى كانت قوانين موسى هامة وصحيحة ، وإلى أي مدى تتأكد بواسطة الحياة نفسها .

٦ - عزرا مؤلفا

غير أنه على يد من وكيف ومتى عمل هذا العمل الأدبي الضخم؟ أو على حد تعبير سبينوزا : من هو مؤلف كل هذه الأسفار ؟ - لم يستطع سبينوزا الإجابة عن سؤاله بالضبط وبالتأكيد ، لقد عرض آراءه فقط . وندهش لقوة حدسه العبقري الذي تجاوز كل العصور والأجيال ، وكشف أسرار المستقبل ، لتظهر فقط بعد مئات السنين

من البحث والشرح، من خلال وسائل البحث وأساليب النقد الأخرى التي لم تكن معروفة في عصره كلية .

وبما أن الرواية الأخيرة في هذه الأسفار - يشوع حتى الملوك الثاني - تبحث ما يتعلق بيهوياكين في بابل، في عصر حماقة مردوخ بن نبوخذنصر ملك بابل، وفيها يسرد "وظائفه وظيفه دائمة تعطى له من عند الملك أو كل يوم بيومه كل أيام حياته" (الفقرة الأخيرة من سفر الملوك الثاني) - يستنتج من هذا أن المؤلف الذي كتب هذه الأقوال، من الواضح أنه هو أيضاً مؤلف كل الأسفار التي سبق ذكرها، ولا يمكن أن يكون في عصر سابق لعصر عزرا .

ونحن لا نعرف من ذلك الجيل اسماً آخر يتناسب هذه الشهادة سوى عزرا نفسه، وبما أنه يروى عن عزرا بالتفصيل أنه "هياً قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها" وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء " (عزرا ٧ : ١٠)، ويقال في نصيحاً : " وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وقسروا المعنى ... (نصيحاً ٨ : ٨) ، يقول سبينوزا لذلك "قإنني أفترض أن عزرا هو مؤلف كل هذه الأسفار" (رسالة في اللاهوت والسياسة ، الفصل الثامن)

٧ - قدم سفر التثنية

غير أنه كيف كان ترتيب أسفار العهد القديم المكتوبة بواسطة عزرا ؟ لم يجب سبينوزا على هذا السؤال إجابة أكيدة ، بل واصل أبحاثه التي بدأها ، فيجد تعديلات وتفسيرات إضافية عديدة للغاية في سفر التثنية ، فعلاوة على الإضافات التي كشفها من قبل ابن عزرا ، يجد سبينوزا إضافات وشروحا أخرى محدودة العدد ، ففي التثنية (١٢:٢) يسرد النص بشأن الحوريين الذين قطنوا من قبل في سعير ما يلي : "وبنو عيسو طردوهم وأبادوهم من أمامهم وسكنوا مكانهم" ، ويضيف الكاتب بهدف التوضيح والمقارنة ، ما يلي "كَمَا صَنَعَ إِسْرَائِيلُ بِأَرْضِ مِيرَاثِهِمُ الَّتِي مَنَحَهَا يَهُوه إِيَّاهُمْ" ، وبهذه المقابلة يمكن أن تظهر بمثابة دليل للقول بأن كنعان هي أرض سيرات إسرائيل ، على الرغم من أن الأرض كانت مسكونة بواسطة شعوب أخرى قبل قدوم العبريين، ألم يكن حقاً سكن الحوريين أيضاً في سعير وورثهم بنو عيسو "لأنني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً" (٢٧:٢) ، ولذلك يقول سبينوزا : "إنني أخمن أن سفر التثنية هو نفسه "سفر تورا الرب" ، الذي قرأه ووضحه وفسره وعدله عزرا (نفس المصدر السابق)

وبما أن سفر التثنية يشمل في داخله القوانين النبوية الضرورية جداً للشعب، وبما أنه يعبر بصورة متضائلة عن كل قرار تاريخي للأسفار التي تم إقرارها، وبما أن هذا السفر لم يعتمد على أي سفر آخر ولا يعتبر استمراراً لأي سفر، بل إنه قائم بذاته، حيث يبدأ بـ: "هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل ... كأنما الكل من البداية، ولذلك يقول: "إني أعتقد - ينهي سبينوزا استنتاجاته - أن هذا هو السفر الأول الذي كتبه عزرا"، وبعد أن أنهى عزرا كتابه هذا، وعلم الشعب تورا شريعة الرب، اتجه إلى تأليف تاريخ كامل وشامل لحياة بني إسرائيل من خلق العالم حتى خراب أورشليم، وأدخل داخل هذا الكتاب الكبير كتابه الأول - أي سفر التثنية - في مكانه المناسب.

وعندما وصل عزرا بعد ذلك لتسمية الأجزاء المختلفة لكتابه الأساسي اختار أسماء على أساس الأبطال الرئيسيين وأباء بني إسرائيل، ومنذ ذلك الحين سميت الأجزاء الخمسة الأولى التي تعالج الفترة المتعلقة بعصر موسى باسم "تورا موسى"، والسفر السادس الذي يحكى بشأن يشوع، عرف باسم "سفر يشوع"، والسابع "القضاة" وهكذا.

٨ - زمن تأليف الأسفار المختلفة

وينفس الطريقة تأمل سبينوزا أقوال الماسورا عن مؤلفي الأسفار وزمن كتابتها. وهكذا واصل أبحاثه بشأن بقية الأسفار المتضمنة داخل الكتابات المقدسة، وتوصل إلى رأى عام، وهو أن المزامير جمعت سوياً في سفر المزامير زمن الهيكل الثاني، وطبقاً لشهادة فيلون الإسكندري بأن الإصحاح (٨٨) قيل بعد أن وضع يهوياكين في السجن وأُجلب إلى بابل، وقيل الإصحاح (٨٩) بعد أن أعتق هذا الملك كذلك ينسب سبينوزا لنفس الفترة تأليف سفر الأمثال.

وكما يبدو فإن سبينوزا بعد أن تفحص أسفار الأنبياء وجد أن النبوءات التي وردت في هذه الأسفار مستمدة من أسفار أخرى، لأن كل النبوءات لم تصل إلينا، وأن تلك التي وصلت إلينا لم تصل كلها بنفس الترتيب الذي قيلت به، وطبقاً للحقيقة، فإن أسفار الأنبياء الموجودة عندنا ليست سوى بقايا أسفار الأنبياء، ففي سفر أخبار الأيام الثاني (٢٦: ٢٦) يرد أن "بقية أقوال عزياهو ... كتب إشعيا بن أموص"، ولم يبق عندنا حقاً من هذه أي شيء مطلقاً، وطبقاً لرأى سبينوزا فإن المادة التاريخية المتنوعة والموجودة في سفر إرميا مأخوذة من مصادر تاريخية مختلفة وأن الجزء النبوي فيه مستمد من نفس لفيفة السفر التي كتب عليها ياروخ بن نيرى من فيه إرميا كل نبوءات

إرميا (أنظر إرميا ٢٦: ٤) ويروي يوسف فلافيوس (الأثار . الكتاب ٦، الفصل ٩) عن نبوءات حزقيال، بأن الملك صدقياهو لم ير بابل، وفي سفر حزقيال الموجود عندنا لا نجد نبوءة مثل هذه. ويوافق سبينوزا تخمين ابن عزرا فيما يتعلق بأيوب بأن السفر مترجم من لغة أخرى، غير أنه لم يكن مديناً له في رأيه بأن السفر ألفه وثنى.

٩ - تثبيت العهد القديم في عصر التلمود

وهكذا نجد سبينوزا يوضح أن الأجزاء العبرية في سفر دانيال نسخت من لغة أخرى أي الآرامية، وكان سفر دانيال وسفر عزرا في البداية سفرًا واحدًا، وأن الكاتب الذي ألف سفر عزرا ودانيال هو نفسه الذي ألف سفرى أستير ونحميا. وكما يبدو فقد ألقت هذه الأسفار الأربعة على أساس "أخبار الأيام" التي كتبها الكتبة زمن الهيكل الثاني (انظر نحميا ١٢ : ٢٢، والحشمونيين الأول ١٥: ٢٤) كما أن أسفار الملوك وشموتيل قد ألقت على أساس من "أخبار الأيام" التي كانت مكتوبة بواسطة كتبة الملوك زمن الهيكل الأول. ولم يكن مؤلف هذه الأسفار عزرا أو نحميا بل كان المؤلف معاصراً ليهودا المكابي ويستنتج سبينوزا على أساس هذه الأبحاث النتيجة التالية "حتى عصر المكابيين لم تكن الأسفار المقدسة قد أقرت"، وأن حكماء التلمود (الفريسيين) قد اختاروا هذه الأسفار من بين بقية الأسفار، وذلك زمن الهيكل الثاني، ثم رتبوها ورفعوها لمرتبة الكتابات المقدسة " (رسالة في اللاهوت والسياسة، الفصل الحادى عشر).

هذا هو رأى سبينوزا باختصار بشأن تاريخ تكوين أسفار العهد القديم وجمعها داخل الكتابات المقدسة، وسوف نرى فيما بعد أن بعض استنتاجاته استمرت بعينها بعد مئات السنين من التطور العلمي، غير أنه بنفس الطريقة التي تفوق بها سبينوزا على معاصريه بفضل آرائه لم تترك أقواله الانطباع الملموس في زمنها ولم يكن جيله مؤهلاً لتقبل آرائه بسبب ملاحظاته وتجديداته في نقد العهد القديم. ولم يكن صوت سبينوزا مسموعاً وسط الجمهور العبري، وفي داخل الدوائر الكنسية لم يكن الموضوع مؤهلاً لحث هذا البحث، وبقي سبينوزا وحيداً ومنعزلاً، وأقواله ذهبت أدراج الرياح .

١٠ - معاصرو سبينوزا

وحاول القليل من معاصريه أن يقتفوا أثره، غير أنهم استمروا منعزلين في مكانهم، ولم يقدر العديد من معاصريه، وكذلك أبناء الجيل الذى جاء بعده، على أن

يسميروا في أعقابها، ومرة ثانية توجد شواهد لتدهور بحث العهد القديم حتى عند الباحثين الأكثر تقدماً في تلك العصور.

وقد اهتم الفيلسوف الإنجليزي هوبز واللاهوتي الفرنسي دي - برير، المعاصران لسبينوزا بالبحث في علم العهد القديم مضادة، وكانت أبحاثهما قليلة بسبب أبحاثهما في المجالات الأخرى. ووجد هوبز أن التوراة لم تكتب بواسطة موسى، وأن سفر يشوع لم يصدر من قلم يشوع، وأن قسماً كبيراً من الكتابات المقدسة، كتب زمن السبي البابلي أو بعد العودة إلى فلسطين (على سبيل المثال مثل الإصحاح (٧٩) الذي كتب زمن انطيوخوس)، وأما دي - برير فقد نقد التوراة من وجهة النظر الأدبية، وتوصل إلى رأي عام وهو: أن التوراة لم تكن عملاً واحداً وكاملاً، بل إنها عمل مركب ومؤلف من أجزاء مختلفة.

وقد ألف الباحث الفرنسي سيمون كتاباً مهماً في تاريخ بحث العهد القديم، وقد جاء سيمون بعد سبينوزا، وقرأ أقواله، وعرف تاريخ التفاسير منذ العصور القديمة كما عرف أيضاً أقوال المفسرين العبريين. وعلى أساس البحث الفيلولوجي المسهب بحض التهمة الكاذبة التي تدعى أن اليهود "عدلوا" عدداً نسخة التوراة في العصر الوسيط، وبذل جهداً ليوضح أن نص الماسورا الموجود لدى اليهود أكثر صحة من النص السامري أو الترجمة السبعينية وبعد ذلك نقد الترجوميم الكثيرة المتوافرة عندنا، واستعرض تاريخ التفاسير العبرية والنصرانية، وأعلن للعالم النصراني الكثير من تفاسير المفسرين العبريين، غير أن سيمون في فهمه العام لتاريخ الكتابات المقدسة وتكوينها لم يصل إلى نفس المستوى الذي وصل إليه سبينوزا بالفعل من قبل. كما يعترف بأن الصورة التي وصلت بها الكتابات المقدسة إلينا هي الصورة التي أعطاه لها عزرا والكتبة. ويرى أن الأنبياء الذين بواسطتهم كتبت هذه الأقوال بصورة أساسية، هم أنفسهم كتبة المملكة الرسيمون، الذين كان عملهم جمع قوائم المملكة، سواء التي كتبت بواسطتهم أو التي كتبت بواسطة غيرهم، وطبقاً لرأيه فإن عزرا والكتبة أقاموا بناءهم الأدبي على أساس تلك المادة التي كتبت بواسطة رجال عديدين وتم جمعها بواسطة الأنبياء.

غير أن هؤلاء الباحثين القليلين والمتفرقين، لم يبلغوا كلية درجة فهم سبينوزا، ولم يستطيعوا الاستمرار في بحث العهد القديم بعيداً عن الطريق المرسوم وبعد فترة طويلة من البحث الشاق حول أدق التفاصيل وحول التشكيل وشروح أجيال كاملة، أصبح من المحتمل الوصول رويداً رويداً إلى العديد من النتائج.



القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل السابع

نظرية المصادر



ويضم المصدر الثاني (ب) ما يلي :

الإصحاحات ٤: ٢-٢٤ : ٣ : ٤ : ١٦ : ١٨ : ١٧ : ٥ = ١١-١٨ : ٢١ : ٢٤ :
 ٢٠ : ٢٢ : ١١٩ : ١٣-١٥ : ١٨ : ٢٧ : (٢٩ : ٢٨) : ١٠ : ١١ : ٩-١٠ : ٢٧ : ٢٢ : ١٢ :
 ١٢ : ١٥ : ١٦ : ١٧ : ٢ = ١٨ : ١٩ : ١-٢٨ : ٢٠ : ٢١ : ١٠ : ٢٣ : ٢٤ : ٢٢ : ١١ : ١٩ : ٢٤ :
 ٢٥ : ١٩ : ٢٤ : ٢٦ : ١-٢٦ : ٢٣ : ٢٧ : ٢٨ : ١-٥ : ١٠ : ٢٢ : ٢٩ : ٣٠ : ٢٤ : ٤٢ : ٢١ : ١-٣ :
 ٤٨-٥٠ : ٢٢ : ٤-٢٤ : ٢٣ : ١٧ : ٢٠ : ٢٨ : ٣٩ : ٤٩ : ١-٢٨ : من سفر التكوين .

وبالإضافة إلى ذلك توجد بعض الأجزاء التي لا تدخل في نطاق أحد هذين المصدرين . وتستخدم هذه الأجزاء أسفاراً صغيرة قائمة بذاتها (مثل قصة لوط وبناته ، قصة شكيم ودينه ، قصة نساء عيسو وغير ذلك) ، وتعالج معظم هذه الأجزاء تاريخ شعوب أخرى ، وطبقاً لرأى أستروك فقد كانت لهذه الأجزاء مصادر صغيرة وعديدة أحصاها في عشرة وهي : ج : ٧ : ٢٠ : ٢٢ : ٢٤ : ٢٥ : ٢٨ : ٢٩ : هـ : ١٤ : و : ١٩ : ٢٩-٣٧ : ٢٢ : ٢٠ : ٢٤ : ح : ١٢ : ٢٥ : ١٨ : ط : ٢٤ : ي : ٢٦ : ٣٤-٣٥ : ٣٦ : ١-٢٦ : ٢١ : ٣١-٤٣ : ل : ٢٥ : ٢٥-٣٠ : وتلقاها موسى بلغة غير العبرية ، من الشعوب الأخرى التي تجول بينها . وقد حاول أستروك أن يحدد مؤلف كل مصدر من المصادر ، وعلى سبيل المثال يقترح التصور بأن عمروم أبي موسى مؤلف للمصدر (أ) ، غير أنه لم يحدد أسساً لهذا التصور . ومن حيث الأساس كان أستروك واثقاً أنه بتجديده هذا قد نجح في تفسير التناقضات واستئصال الأسباب التي أدت إلى التصور بأن موسى لم يؤلف التوراة ، منذ ذلك الحين وما بعده لن يكون هناك إنسان ذو عقل يشك في حقيقة الماسورا ، ولم يعلم أنه بكتابه هذا الذي هدف من خلاله إلى أن ينكر نقد العهد القديم لأجل الرب قد أضاف لنقد العهد القديم جرأة وقوة وأن مستقبل النقد دار في هذه الدائرة ، ووصل بها للسجال العلمي . وبعد كتاب أستروك من الكتب النادرة في الأدب العالمي والتي أدت إلى ظهور العديد من الآراء والكتب التي لا تزال تظهر منذ ذلك الوقت وحتى الآن .

٣ - أسلوب أيشهورن

وبالتأكيد لم يتم الترحيب بهذه الآراء . فقد أعلن ميخائيليس أعظم المتحدثين من بين عارقي العهد القديم في ذلك العصر مصابرة كتاب أستروك ، واستهزأ به السامعون في ذلك العصر ، ولولا أن أيشهورن قد جاء بعد أستروك وأثنى عليه وسانده ، لبقيت تصورات أستروك مجهولة . وقد كان أيشهورن واثقاً - أيضاً - أن موسى ألف التوراة في صورتها الحالية ، وإن لم تكن لديه القدرة لإظهار صدق دفاعه بوضوح ، فلا

يعود ذلك إلى أن الفترة التي تفصل بيننا وبين موسى كبيرة فقط ، بل لأنه لم يبق عندنا من ذلك الجيل أى شئ باستثناء أسفار التوراة . ويدين أيشهورن بالفضل لأستروك أيضاً بشأن المصادر القديمة الرئيسية "الألوهيمي" و "اليهوي" اللذين منهما أُلّف سفر التكوين ، واختلف معه اختلافات بسيطة بشأن بعض العبارات التي ينسبها أستروك إلى مصدر وينسبها هو لمصدر آخر . مرة أخرى استعرض سفر التكوين وقسمه قسمين : الأول يستخدم اسم الألوهية "إلوهيم" والثاني يستخدم اسم "الألوهية" "يهوه" ، ووضح بإسهاب الاختلافات اللغوية ، والصورة والخاصية الأدبية لهذين المصدرين الرئيسيين في سفر التكوين . ولم يكتف بذلك ، بل وأصل أبحاثه على بقية أسفار العهد القديم . وطبقاً لرأى أيشهورن فإن موسى تعامل بتقديس كبير مع أقوال المصادر القديمة ولم يغير أقوالها إلا عند الضرورة . وكما هو عارف فإن موسى كان يختار ويدخل في كتابه أجزاء من نفس المصدر ويلغة المصدر بفن أن ينفقها أو يغيرها مطلقاً . وبسبب عدم الوضوح كان يعرض من المصدرين قصة واحدة مرتين في صياغتين . وأما أسفار التوراة الثلاثة الأخرى (الزروج ، اللاويين ، والعدد) فهي ليست سوى تجميع لمصادر صغيرة وعديدة جاءت بنفس ترتيبها . بدأ موسى كتابتها سوياً على جبل سيناء ، وانتهى منها في صحراء عوآب في عبر الأردن . وأما سفر التثنية فقد كتبه موسى في نهاية أيامه ، ولخص فيه كل عمله وعمل عصره .

٤ - ملاحظات هيردر الأدبية

وهكذا بدأ سفر الأسفار يتحرر خطوة تلو خطوة من قيود الماسورا ، ويعصف بسحابة غيوم العصر الوسيط التي نسجت حوله . وكتب الباحث الانجليزى "لوت" Lowth كتاباً بشأن شعر العهد القديم ، وكشف لأول مرة عن طبيعة هذا الشعر بمطابقة الأجزاء التي تكون صورة شعرية (بيوطية) مألوفة . كما أن الشاعر والمفكر الألماني (الإشكينازي) هيردر نفحص في ثنايا الكتابات المقدسة من خلال وجهة النظر الأدبية ، ونظر إليها على أنها نتاج فنى لبني إسرائيل لا يضاهيه شئ في سحره وحيويته . وتعمقت رؤيته من خلال بلاغة المواظ والرموز الواردة في سفر نشيد الأناشيد ، وقرر معالجتها على أنها مجموعة مختارة من صفوة أناشيد الحب في الأدب الإنساني كله . وتلخص هذه المجموعة روح جماعة بني إسرائيل في عهد الصبا الزاخرة بنور سرى . وقد أدرك أن الأدب العبري القديم ، هو "الشعر الإنساني في ميلاده" و "تسفلغل فيه روح الطبيعة والحرية والكمال والبراءة" . ولذلك يسمع فيه

"صوت الرب السافر خلال الكتابات المقدسة"، فأزال هيردر بهذا قناع القداسة الذي غطى الكتابات المقدسة منذ القدم وأدخلها إلى العالم الدنيوي. ومع هذا لم تفسد ولم تتدهور عظمتها، بل على العكس برز السحر السرمدى لسفر الأسفار في ضوء جديد.

وظهر جوته في أعقاب هيردر وواصل جهوده وتشجع للوقوف على سر تأليف أقسام كاملة في العهد القديم. فقد قدم الوصايا العشر في سفر الخروج (١٤: ٢٤-٢٥) على القسم التقليدي لجبل سيناء في سفر الخروج (١٧-١٢٠) ورأى أن الأولى هي "الوصايا العشر" الأولى والمقدسة.

وبالنظرية التي ألفها أستروك مع تلك الرؤى الأدبية تقدم وتطور أيضاً أسلوب بحث العهد القديم وبالفعل قد رأينا من قبل أن أستروك ومن بعده أشهرون قد قسما التوراة إلى مصدرين أساسيين وعدد من المصادر الصغيرة المرتبطة بها وفي رأيهما كانت معالم الاختلاف بين المصدرين تعود إلى سببين: الأول خارجي يتمثل في ألقاب الألوهية المختلفة، والثاني داخلي، يتمثل في أنبواج الروايات. وعندما وجد النقاد رواية مكررة للمرة الثالثة في التوراة، نسبوا هذه الرواية لمجموعة جديدة الثالثة في رقبها من المصادر الصغيرة والكاملة بذاتها، وبما أن السلطة أعطت للباحث أن يقسم المصادر، فمرة ثانية لم يكتف بهذا التقسيم الأولي وواصل باحثو العهد القديم المتأخرون عمل الأوائل وكشفوا بنفس القوة مصادر جديدة لم تكن معروفة لأستروك وزملائه.

٥ - الجن والمصادر: اليهودي والألوهيمي الأول والألوهيمي الثاني

بعد ك. د. إلجن الأول من بين الباحثين الكبار والاساسيين الذين ظهرُوا في أعقاب أستروك، توصل إلجن إلى رأى عام وشامل أثناء نقده للمصدرين الأولين اللذين عزلهما أستروك من بين الكتابات المقدسة أي "الوثيقة الألوهيمية" و "الوثيقة اليهودية". ويتمثل هذا الرأى في أن أسماء الألوهية ليست هي التي تميز هذين المصدرين المتوازيين فقط، بل تختلف أيضاً خصائصهما الأدبية وعالمهما الدينى هذا عن ذاك، لذلك أصبح من الضروري ترسيخ نظرية المصدرين لتكون بمثابة قاعدة، ويصبح من المستحيل الشك فيها. قام إلجن بفحص كل واحد من المصدرين على حدة، وفي الواقع، وجد أن "الوثيقة اليهودية" مجموعة أدبية واحدة وكاملة طبقاً لاتجاهها وصورتها، غير أن "الوثيقة الألوهيمية" (التي اعتبرها أستروك وزملائه سفرًا واحدًا بسبب عدم الانبواجية فيها، ولأنها تلقب بالألوهيمية باسم إلوهيم)، ليست "وثيقة واحدة" بل تتضمن داخلها مصدرين مختلفين ومتميزين، ليس بينهما تطابق إلا في

اسم الألوهية فقط، ويوجد بينهما في الواقع اختلاف ديني وأدبي يميز بينهما. ووصف الجن بمهارة فائقة وخبرة خبير الصور الأدبية لكل مصدر من المصادر الثلاثة التي وجدها، وأطلق على الأول منها اسم "الوثيقة اليهودية"، وهذا يعني السفر الذي يلقب الألوهية باللقب "يهوه"، والمصدران الآخوان "الألوهيمي الأول" و "الألوهيمي الثاني"، حيث يستخدمان الاسم "إلوهيم" للدلالة على الألوهية.

٦ - مستوى المصادر

في الوقت الذي يبتعد فيه "الألوهيمي الأول" عن "اليهوي" في مضمونه وصورته، فإن "الألوهيمي الثاني" قريب في اتجاهه جداً من "اليهوي" على الرغم من اختلاف أسماء الألوهية. وكانت نتائج تلك الملاحظات للجن مؤسسة على تمازج أولية رائعة. وقد أخذ الجن من المصدر الألوهيمي عند أستدراك الإصحاح الخامس "هذا سفر مواليد آدم" وقابله بقطعة موازية له في المصدر اليهودي سفر التكوين (٤) "وعرف آدم حواء". ولم تكن فقط أسماء الألوهية التي تميز هاتين القصتين، بل هناك بلا شك اختلاف داخلي قوي ثابت بينهما لخطباً لأقوال المصدر اليهودي (الإصحاح الرابع) توجد ثمانية أجيال من آدم وحتى نوح، ودعى اسم أبي حنوك قابين، ويشأن علاقة حنوك بالإله لم يقص أي شيء مطلقاً، واسم ابن حنوك عيراد، وكان أبو لامك متوشيل، ووفقاً لأقوال المصدر الألوهيمي (الإصحاح الخامس) فقد كانت الأجيال من آدم وحتى نوح عشرة أجيال، وأن حنوك ولد يارد، وسار حنوك في طرق الرب وأخذه الرب، ودعى اسم ابن حنوك متوشالغ وولد متوشالغ لامك. ليس هذا فقط فحسب، بل إن كل أسلوب الإحصاء مختلف فالمصدر اليهودي يروي عن رجال أحياء أصحاب طبائع وأفعال، وأعمالهم مذكورة: فقائين قتل هابيل وخرج هائماً على وجه الأرض، وابنه حنوك مشيد مدينة، وكان للامك امرأتان، وكان ابنه يابال أبي ساكني الخيام، ويوبال ابنه كان أبي كل عازف كمان، ونوبال - قايين كان مصقل النحاس. وتنعكس هذه الروايات ثمار نتاج جيل زاهر بالحياة ونشيط في وجوده. أما في المصدر الألوهيمي توجد قائمة جافة تتكون من عشر مواد، كل واحدة تشبه الأخرى في كل شيء ومعدة على أساس نظام عمل واحد: وعاش فلان كذا وكذا سنة وولد فلان، وعاش فلان بعد ميلاد فلان كذا وكذا سنة وولد بنين وبنات، وكانت كل أيام حياة فلان كذا وكذا سنة. يتكرر هذا الترتيب في صيغة واحدة مرة ثلث الأخرى دون أي تغيير. وحقاً توجد هوة أدبية شاسعة بين هذه القطعة في المصدر الألوهيمي وبين تلك القطعة الموازية لها في المصدر اليهودي.

ونختار لأنفسنا نموذجاً آخر للموازنة. نختار على سبيل المثال من "المصدر
 الألوهيمي" لأسترونك الرواية الخاصة بإبراهيم وأبيمالك في جبرار (التكوين ٢٠)
 والقطعة الموازية لها في "السفر اليهودي" بشأن إسحاق وأبيمالك في جبرار (التكوين
 ٢٦). فيها هي تلك بعض أسماء الأبطال مختلفة. فأبيمالك هو نفسه، وكذلك جبرار، غير
 أن هناك ذكر إبراهيم، وهنا ذكر إسحاق (ولا يوجد أي تطابق في التفاصيل (فهناك
 تحدث الرب لأبيمالك في الحلم، وهنا "وأشرف أبيمالك... من الكوة"، وهناك أجاب
 إبراهيم أبيمالك على أقواله، أما هنا فلم يجب إسحاق مطلقاً). ومع ذلك لا يوجد
 بينهما أي اختلاف أدبي جوهري وداخلي آخر، باستثناء اختلاف اسم الألوهية، لذلك
 يقول إلجن: إن "المصدر الألوهيمي" قريب في روحه للمصدر اليهودي، وأن المصدر
 الألوهيمي عند أسترونك ليس مصدراً واحداً وثاماً ومستقلاً بذاته بل يتضمن داخله
 مصدرين: أحدهما يعرف عند إلجن باسم "الألوهيمي الأول" وهو بعيد في روحه عن
 المصدر "اليهودي"، والثاني يعرف باسم "الألوهيمي الثاني" وهو قريب لليهودي في
 اتجاهه.

وبهذا احتل بحث العهد القديم موقعاً جديداً بعد النجاح الأول الذي تحقق في
 عصر أسترونك. ومنذ ذلك الحين لم يعد الحديث بالفعل عن مصدرين بل عن ثلاثة
 مصادر أي المصدر اليهودي والمصدر الألوهيمي الأول (أو المصدر القديم) والمصدر
 الألوهيمي الثاني (أو المصدر الأحدث).

وباتجاه إلجن إلى تقسيم سفر التكوين حسب مصادره وتحديدته الدقيق لضمون
 كل مصدر من المصادر، وجد أن المصدر الألوهيمي القديم بقي بكامله إلى حد بعيد،
 وحفظ بدرجة أقل منه المصدر الألوهيمي الأحدث. وأقل منهما المصدر اليهودي، وهكذا
 قسم إلجن سفر التكوين إلى سبع عشرة قطعة مختلفة، عشر قطع منها تدخل في
 نطاق المصدر الألوهيمي الأول، وخمس قطع في نطاق المصدر الألوهيمي الثاني،
 وجزءان للمصدر اليهودي. وعند تركيب السفر وضع المصدر الألوهيمي الأول، وعلى
 أساسه نشأت بعد ذلك وبمباشرة طبقات مميزة بقية أجزاء المصدرين، واقتصر عمل
 مؤلف سفر التكوين على تبويب تلك الأجزاء وضمها سوياً.

ولا يزال إلجن داخل نظرية المصادر ويتوصل إلى أن السبع عشرة قطعة التي
 أحصاها لم ينظر إليها على أنها سبعة عشر مصدراً مختلفاً، بل بمثابة أجزاء لثلاث
 مجموعات استخدمت بكاملها كمصادر لمؤلف التوراة، وطالما أنه كان من الضروري -
 قبل أي شيء - تقسيم السفر إلى أجزاء من أجل الوقوف على ارتباطها بتلك المجموعة

أو بأخرى. فمرة ثانية اختفت وصارت غامضة نظرية الصورة الذاتية للمصادر الثلاثة الرئيسية لمجموعة الأجزاء. وربما أن علامات التمييز بين تلك القطع لم تكن واحدة بصورة أكيدة عند إلجن، بل ميز بينهم على أساس الحجم وقوة ترجيح رأيه فحسب، لذلك كان من السهل التنبأ بأن البحث في تطوره سوف يضيف إلى عدد الأجزاء، أضعافاً مضاعفاً، وأن نظرية المصادر الرئيسية تذهب بلا رجعة وتضعف أمام نظرية الأجزاء التي توك في أحضانها، وبالأكيد فقد أضاف أصحاب نظرية الأجزاء فكرة تقطيت المصادر.

٧ - جديس وفيتير

كان ألكسندر جديس الأسكتلندي باحثاً ومفكراً شجاعاً، كما كان كاهناً كاثوليكياً، ووجد في نفسه الشجاعة على إعلان أن موسى لم يكتب التوراة، وأن العهد القديم المتوافر حالياً ليس سوى مجموع أقسام وأجزاء غير مرتبطة مع بعضها البعض، وأنه نتاج أجيال وأنواع مختلفة جمعت ونظمت سوياً من قبل محرر متأخر، فأعلنت الكنيسة الكاثوليكية مقاطعة ذلك الكاهن "الكافر" ونفته من وظيفته، كما قاطعت الكنيسة البروتستانتية كتابه. غير أن نظريته - نظرية الأجزاء - اكتسبت تشجيعاً من كل صوب، وقام أصحاب تلك المدرسة وقسموا وقتتوا المصادر إلى درجة كبيرة جداً. وبالفعل رأينا من قبل أن أسترون قد وجد في سفر التكوين اثني عشر قسماً، وجاء إلجن وأرسلها إلى سبعة عشر. ثم جاء فيتير تلميذ جديس وأوصلها إلى تسعة وثلاثين قسماً. وعلاوة على ذلك، لم يكتف فيتير بسفر التكوين فحسب، بل انتقل ليفتت بقية أسفار التوراة الأربعة، ومن يستطيع أن يحصى عدد الأجزاء التي يجدها فيها؟ يستنتج من بحث أصحاب "نظرية الأجزاء": أن التوراة التي أمامنا ليست سوى مجموع أجزاء منعزلة وعديدة منها "الأجزاء الطويلة ومنها القصيرة ومنها الضئيل جداً". بدون أن يكون هذا المجموع منسجماً، أو يكون مرتباً تاريخياً. وطبقاً لرأي جديس وفيتير وهيرتمان فإن الجامع المتأخر الذي عاش زمن السبي البابلي قد خاف أن يضيع من جماعة بني إسرائيل أي جزء قديم من بقايا النتاج القديم، لذلك جمعها كلها كما هي وأدخلها بصورتها داخل مؤلفه.

قروايات العهد القديم التي سحرت القلوب بجمالها، ولم تتوقف طوال آلاف السنين عن إخضاع الأنفس بجمالها وبساطتها، تحولت إلى كومة أقسام، وأجزاء مختلفة ومتنوعة جمعت سوياً من مصادر عديدة، وعصور مختلفة، وتلك الأقسام كل جزء منها قسم مميز قائم بذاته، بدون قرابة داخلية أو علاقة جوهريّة لجزء مع الآخر.

هل كان من الممكن لمثل هذه النظرية، التي فتحت التوراة تفتيحاً، أن تصمد وتثمر عن نتائج ١٩ فقد كان من الواضح أن هناك تمثراً في أسلوب النقد لا يؤدي إلى ضمان صحة النتائج، وأن تقسيم الأجزاء على أساس الحجم فقط وبدون قاعدة تاريخية ثابتة، ونسبته لأي مصدر من المصادر لا يمكن أن يقود إلى "النجاح العلمي".

٨ - دي - فته

حاول دي - فته الخروج من تلك الأزمة، وعلى الرغم من أنه كان في بداية حياته تلميذاً لفيلتر ووفياً لنظرية الأجزاء، فقد بدأ أبحاثه من جديد ولم يؤسسها على أساس سفر التكوين الذي عمل عليه النقاد منذ أسترونك. وادى ذلك إلى نظرية تعدد الأجزاء في بحث العهد القديم. وبدلاً من البحث عن الاختلافات والتناقضات بين أحداث التوراة فقد سعى دي - فته لإيجاد مصدر ما كامل وثابت في العهد القديم. لا يترك مجالاً للشك في وحدته الداخلية. فظهر له سفر التثنية كوحدة واحدة كبيرة متميزة، تتشابه أقسامه وتتناسب كل قسم مع الآخر، كما أن الطابع الأدبي للسفر يختلف عن بقية أسفار التوراة الخمسة، ويميزه ليكون بمثابة عالم قائم بذاته، «لغة السفر متميزة»، وأساليب التعبير فيه مختلفة عن تلك المقابلة لها في الأسفار الأربعة الأولى. كما أن المناخ الفكري في أقواله مختلف بصورة مطلقة. فالاختلاف الجوهرى بين المصادر الثلاثة الأولى في الأسفار الأربعة قد زال واختفى. وقد في سفر التثنية، باستثناء الإصحاحات الأخيرة التي تتحدث عن موت موسى وبالفعل أدرك القدماء وحدة سفر التثنية وتميزه، ويكفى أن نذكر من ذلك ملاحظات وافترضات أيشهورن وسببنوزا، كما نجد إشارات إلى مثل هذه الملاحظات في التلمود. علاوة على ذلك فإن المأسورا ذاتها تميز "تثنية التوراة" عن الأسفار الأربعة الأولى، كما أن التوراة حددت إعطاه في موضع خاص، وزمن متأخر، أي في صحراء مؤاب، وبالقرب من عصر موت موسى.

٩ - مصدر التثنية : خصائصه وزمنه

ولكى نوضح لأنفسنا مدى صحة الرأي الذي يُخرج سفر التثنية من داخل حدود العهد القديم، ويجعله مصدراً خاصاً قائماً بذاته - هذا الرأي الذي ظهر عند باحثين سابقين له - دي - فته ثم ظهر في صورة قوية في عصره وعلى يديه، حتى صار إرثاً ثابتاً داخل نتائج علم العهد القديم. فيجب أن نشير إلى مضمون هذا السفر باختصار. فالسفر يبدأ بمقدمة موجزة بتحديد المكان والزمان (١: ١-٥) أين ومتى

ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً : "وفي أعقاب ذلك يأتى خطاب موسى" (٦١ : ٤٠) ويصف موسى باختصار شديد أمام سامعيه كل الذى حدث لهذا الشعب منذ أن تحدث يهوه "فى حوريب" حتى قدومهم إلى عبر الأردن "فى الجواء مقابل بيت فقور"، وتوجه بدعوته إلى الشعب ليسمع "الفرائض والأحكام" "لكى تحبوا وتدخلوا وتملكوا الأرض" "وليعملوا" "فرائضه وصاياه التى أنا أوصيك بها اليوم. وتحدث وقفة قصيرة عبارة عن ثمان عبارات" (٤١-٤٩) ، تتحدث عن المدن الثلاث التى عزلها موسى . وبعد مقدمة قصيرة لشريعة موسى "التي وضعها ... أمام بنى إسرائيل" "فى عبر الأردن فى الجواء مقابل بيت فقور" ، يبدأ الخطاب الثانى لموسى الذى يتضمن كل الفرائض والأحكام "التي أتكلّم بها فى مسامعكم اليوم" (الإصحاحات ٥-٢٦) . وذلك بعد ذكر أحداث تاريخية قصيرة . وقد لاحظ القدماء فعلاً الاختلاف بين (١٠-٩) وبقية أقوال الشريعة ، فهذه الفقرات تؤدى إلى خلل فى اكتمال الأحوال تدركه عين الناقد ، ويدونها تسير الرواية هنا بدون ازدواج أو تناقض . فالفقرة مرتبطة بالفقرة . وتتمس القوائى نفسها بعض أسس الحياة والحاجات المختلفة لشعب استقر على أرضه ، وعلى أساسها كلها ترفرف الروح ، لأن إسرائيل "شعب مختار" . وتتركز الحياة ذاتها حول الموضوع الذى يختار . يهوه إلهك ليسكن اسمه هناك . وبعد أن أنهى موسى خطابه الطويل أعلن قائلاً : "قد واعدت الرب اليوم أن يكون لك إلهاً ... وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً".

ثم يقص السفر ما يتعلق بوظيفة موسى ، وهى أن يكتب : كل أقوال الشريعة هذه على حجارة كبيرة وأن ينصب هذه الحجارة فى جبل عيبال (٢٧: ١-٥) ويبنى هناك مذبحاً ليهوه وأن يقيم بعد ذلك ستة أسباط من إسرائيل على جبل عيبال ، وستة على جبل جرزيم ، ليبارك الشعب إذا سمع لقول يهوه ، ولعنه إن لم يسمع لقول يهوه "احفظوا جميع الوصايا التى أنا أوصيكم بها اليوم" ، وينهى قائلاً : "تلك أقوال العهد التى أمر يهوه موسى أن يقطعه لبنى إسرائيل فى أرض مؤاب، غير العهد الذى قطعه معهم فى حوريب".

وبذلك ينتهى التيار الأدبى المتواصل والطبيعى والمتواصل من بداية السفر . أما الإصحاحات (٢٩، ٣٠) فتعود إلى أقوال الخطاب الثانى، والإصحاحات (٣١-٣٣) تحكى عن وفاة موسى وإعلان القيادة ليوشع وأنشودة موسى وبركته قبل موته . وهى هذه الإصحاحات الأخيرة نجد مرة ثانية ازدواجيات كثيرة وأصداء تناقضات . فالرواية الخاصة بموت موسى تكررت مرة ثانية وثالثة فى تلك الإصحاحات . هذا يجعلنا نلاحظ مرة ثانية فكر وطابع المصادر الثلاثة الأولى التى وجدت فى أسفار العهد القديم . يفهم

من ذلك بصورة مباشرة ، بأنه لم يستطع أى مصدر من المصادر تجاهل حدث كبير مثل حدث موت موسى.

هذا السفر لم يكتمل ويثبت على أساس مضمونه فقط . بل مستقل - أيضا - على مستوى بينته التاريخية عن بقية الأسفار الأربعة . فالقوانين الكثيرة الخاصة بالقرابين والكهنة وخدمة اللاويين وعمل الهيكل ، والتي يزخر بها سفر اللاويين لا وجود لها في سفر التثنية . والأقوال المتناثرة عن " الكهنة واللاويين " في السفر ليست ذات قيمة بالنسبة للمصنفين الأساسيين للسفر . فالقوانين في سفر التثنية ليست موجهة للكهنة أو أبناء هارون ، كما يوجد في بقية الأسفار . بل موجهة للشعب نفسه ، ومرتبطة بصورة واضحة وقطعية كالمزمع رسمي . ولذلك يقول دى - فته أن سفر " تثنية التوراة " مصدر كامل ومتميز في حد ذاته باستثناء الإصحاحات الأخيرة وبعض الفقرات في مادة السفر.

وهكذا نجح دى - فته في أن يجد داخل تعدد الأجزاء في التوراة مصدراً واحداً كاملاً متميزاً في حجمه ، ومهما في مضمونه مستخدماً بيئة قائمة بذاتها . وعلى إثر ذلك تحرر دى - فته من تعقيدات الأجزاء فاتحاً بذلك طريقاً جديداً في تطور مستقبل علم العهد القديم.

١ - إصلاح يوشياهو ، واكتشاف " سفر العهد "

متى إذن ، وبواسطة من أُلّف هذا المصدر الكامل ؟ . ربما نتجح في إيجاد أساس راسخ في تاريخ إسرائيل عن زمن تأليف هذا السفر ، وعلى هذا الأساس الثابت ، ربما تصبح هناك إمكانية لاستمرار عمل هذا العلم إلى أبعد من ذلك . وذلك بمقارنة بقية الأجزاء بهذا المصدر ، لتحديد أيها أقدم ولعرفة علاقتها الداخلية المشتركة التي تربط بينها وبينه ؟ . ويوجد دى - فته لهذا السؤال إجابة وإغية بعد سلسلة من المحاولات العلمية المختلفة التي حددت أساساً ثابتاً لتوضيح ترتيب زمن كتابة مصادر العهد القديم.

ففى سفر الملوك الثانى (٢٢-٢٣) وصف تفصيلي عن عصر يوشياهو ملك إسرائيل . فى السنة الثامنة عشرة من حكمه ، جاء حلقياهو الكاهن إلى داخل هيكل يهو لتقوية دعائم الهيكل وجد هناك " سفر الشريعة " فعزق علبه " لأن عظيم غضب يهو ... أنه لم يسمع أبائنا أقوال هذا السفر ويعملوا كما هو مكتوب علينا " . وذهبوا ليسألوا خلدة النبية فقالت : " هكذا قال يهو ها أنا جانب شر على هذا المكان وعلى سكانه كل أقوال السفر الذى قرأه ملك يهوذا " . فخاف الملك وخضع أمام يهو

وأرسل وجمع : كل شيوخ يهوذا وأورشليم ، وقرأ على مسامعهم أقوال العهد المكتوب في هذا السفر ودخل كل الشعب في العهد ، وقطع عهداً أمام يهوه ليذهبوا وراء يهوه ويحفظوا وصاياه وشهاداته وقوانينه ... لإقامة أقوال هذا العهد المكتوبة في هذا السفر ودخل كل الشعب في هذا العهد وأبعد عن الهيكل ، كل الأدوات المعمولة للبهل والسارية ، وحرقها خارج أورشليم ، وجعلها غباراً وهدم بيوت المايونيين التي عند بيت يهوه ونجس المرتفعات ، وهدم مرتفعات الأبواب وكسر التماثيل وقطع السراري ونجس المذابح ، وأباد السحرة والعرافين والترافيم والأصنام وجميع الرجاسات التي ظهرت في البلاد ، وأمر بعمل الفصح في أورشليم ليقيم كلام الشريعة المكتوب في السفر الذي وجده حلقيا الكاهن في بيت يهوه

إن ما هذا السفر المبهم المعروف بـ "سفر الشريعة" الذي وجده حلقيا هو في هيكل يهوه والذي على أساسه نظم الملك تلك الثورة الجهورية في الحياة الدينية والعقدية للشعب ؟

من البديهي أن النص هنا لا يتحدث عن أسفار التوراة الخمسة ، لأنه من المستحيل أن كل أسفار التوراة المشتملة على قرابة ستة آلاف فقرة تقرأ من أولها وحتى نهايتها "كل أقوال سفر العهد" مرتين في يوم واحد - مرة بواسطة شافان أمام الملك ، ومرة من قبل الملك على مسامع الشعب ، لكن من المستحيل أيضاً تصور أن سفر العهد هذا سفر آخر وجد آنذاك مصادفة ، وفقد مرة ثانية ولم يصل إلينا ، ألم يدعى "سفر العهد" وعلى أساسه قطع الشعب عهداً أمام يهوه ، وقرأه كل الشعب من الصغير وحتى الكبير ، لذلك من المستحيل أن الأمر الذي تنسك به جماعة إسرائيل تتأساه بعد ذلك ، في الوقت الذي اقتربت فيه من جمع كتاباتها المقدسة ، ومنذ ذلك الحين يعتقد أن هذا السفر ليس سوى أحد أجزاء التوراة المنضمين داخل أسفار التوراة الخمسة .

إلا أن هناك تساؤلات عن : ما هذا السفر؟ وعن أين موضع "سفر العهد" الذي وجد في زمن يوشياهو - داخل الأسفار الخمسة ؟ وعن أي أجزاء التوراة يتحدث النص ؟

١١ - سفر الشريعة وتوراة الكهنة

يتضح من ثنايا الرواية أن السفر يتضمن في داخله لعنة قاسية على المكان وسكانه إن لم يحفظ الشعب الأحكام المذكورة فيه ، لذلك ارتجف الملك وعزق ملابسه ،

كما كانت أقوال خلدة النية قاسية إلى حد كبير ،ونعرف من خلال أعمال يوشياهو أن "سفر العهد" أمر بإزالة المرتفعات والمذابح المنتشرة في يهوذا والسامرة، وتركيز العبادة في هيكل يهو في اورشليم وعمل فصيح ليهوه .، تلك هي الأسس الثلاثة التي اتبعت في عصر يوشياهو "من أجل إقامة الشريعة المكتوبة في السفر الذي وجده حلقياهو". وفي أي أقسام التوراة توجد تلك الإشارات؟ .فسفر العهد القديم (الخروج ٢٠-٢٢) يؤكد بصريح العبارة أن "في هذا المكان الذي يذكر اسمه أتى إليك وأباركك"، والروايات الموجودة داخل المصدرين "اليهوي" و"الألوهيمي" تُحدد وتكرر بأن الشعب سلك في تقديم القرابين خارج اورشليم وبني مذابح وأقام نصباً ، ولم يعتبر هذا الأمر فيهما خطيئته .

وعندما بدأ دى - فته فحص المصدر الجديد الذي ظهر داخل أسفار التوراة - سفر التثنية - وجد فيه كل تلك الإشارات التي أحصاها العهد القديم في "سفر الشريعة" الذي وجده حلقياهو .ويثبتة حجر الأساس لكل القوانين التي قررها عند قدومه ليقراً أمام الشعب "الأحكام والقوانين التي تحفظونها لتعملوها" . يؤكد موسى ويشدد "إلى المكان الذي يختار يهو لكم من كل أسباطكم ليجعل اسمه فيه سكناه تطلبون وإلى هناك تجيئون" (التثنية ١٢: ٥، ١٤: ١١)، وتباد تماماً الأماكن المقدسة الموجودة باستثناء الهيكل المركزي .ويقص بالتفصيل "وتهدمون مذابحكم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواربهم بالنار وتكسرون تماثيل آلهتهم وتحمون اسمهم من ذلك المكان" (٣: ١٢) .

وأقام يوشياهو تلك الوصايا حرقاً (الملوك الثاني ٢٣: ٤-١٥) ويرد هنا بإسهاب وتفصيل ما يتعلق بشأن بقية القانون "العمل فصيح ليهوه" ، وتذبح ذبيحة الفصح في الموضع "الذي يختار يهو إلهك ليسكن اسمه هناك" (التثنية ١٦: ٦) ووصية ذبح الفصح في الهيكل المركزي ، لم يرد عنها أي خبر مطلقاً في أحداث الفصح سواء في سفر العدد (٢٨: ١٦-٢٥) أو في سفر الخروج (١٤: ١٢-٢٠) .

وفي سفر الملوك الثاني يرد بإسهاب في الرواية عن يوشياهو "لأنه لم يعمل فصيح كهذا للرب منذ عصر القضاة ... لكن في السنة الثامنة عشرة لملك يوشياهو عمل هذا الفصح ليهوه في اورشليم" (الملوك الثاني ٢٣: ٢٢ - ٢٣) ولم يكن مجاناً ارتجاف الملك يوشياهو من أجل "غضب يهو الذي اشتعل علينا" ، بل إن سفر التثنية يتضمن في داخله تائيباً وتهديداً شديداً "إن لم تسمع كلام يهو إلهك" (التثنية ٢٧-٢٨)، ولم يكن مصادفة أيضاً أن السفر الذي وجده حلقيا يكنى باسم "سفر العهد"

(٢٢: ٢١) لأن يتكرر في سفر التثنية بإسهاب أن يهوه قطع عهداً - معنا نحن الذين هنا اليوم جميعاً أحياء (التثنية ٥: ٣) انظر أيضاً (١٧: ١٨-١٧)

وتدعم الأدلة الجانبية المستمدة من أدب ذلك العصر الرأي بأن سفر التثنية سُـر في عصر يوشياهو . فنقرأ في سفر إرميا "هكذا قال يهوه إله إسرائيل أنا قطعت عهداً مع آبائكم ... قاتلاً في نهاية سبع سنين تطلقون كل واحد أخاه العبراني الذي بيع لك وخدمك ست سنين فتطلقه حراً من عندك " (إرميا ٣٤: ١٣-١٤) فمن يدري أن أقوال إرميا هذه معبدة لتؤكد القانون في سفر التثنية " إذا بيع لك أخوك العبري أو العبرانية وخدمك ست سنين ، ففي السنة السابعة تطلقه حراً من عندك " (التثنية ١٥: ١٢) ، وليس لتأكيد القانون الموازي في سفر الخروج والذي ينص " إذا اشتريت عبداً عبرانياً (الخروج ٢١: ٢) "

وفي الرواية عن أمصيا الذي عمل المستقيم في عيني يهوه يصف سفر الملوك الثاني (١٤) مفصلاً : ولكنه لم يقتل أبناء القاتلين حسب ما هو مكتوب في سفر شريعة موسى "حيث أمر يهوه قاتلاً لا يقتل الآباء من أجل البنين، والبنون لا يقتلون من أجل الآباء، إنما كل إنسان يقتل بخطيئته (يموت) موتاً"، ويعنى ذلك اقتباساً دقيقاً مأخوذاً حرفياً من سفر التثنية (١٦: ٢٤) .

ونسنتج من هذه الأقوال أن "تثنية التوراة" التي لاحظنا أنه مصدر منفصل ومتعبّر ومستقل هي نفسها سفر العهد الذي وردت الإشارة عنه في سفر الملوك الثاني. وأنه ظهر في السنة الثامنة عشرة ملك يوشياهو ، أي تقريباً حوالي (٦٢٣ ق.م)

١٢- تدهور نظرية تعدد الوحدات

وعندما نجح دي - فته في استخلاص وحدة أحد أسفار التوراة ، وتحديد مجاله وزمن تأليفه بدأ الانتصار على نظرية تعدد الأجزاء في بقية أسفار التوراة وإيجاد نظام يربط بين الأجزاء والأقسام العديدة التي أحصاها من قبل أصحاب نظرية تعدد الوحدات .



القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل الثامن

تحديد المصادر الأربعة



١ - دى - فته ومدرسته

بما أن دى - فته قد توصل للاعتراف بشأن سفر "التثنية" داخل تاريخ نظم العبادة في إسرائيل - فقد سعى مرة ثانية لأن يجد في مسيرة الحياة الدينية مادة لبقية أبحاثه بشأن تاريخ العهد القديم ، وتشجع في أن يوضح بنفسه أسلوب تطور العبادة ونظام الطقوس ، ودعم ذلك على أساس الصورة التاريخية في نقده العهد القديم ، ولذلك كشف دى - فته الاختلافات الدلخية بين سفرى أخبار الأيام وأسفار صموئيل والملوك ، مشيراً إلى أن هذا الاختلاف لا يظهر في فقدان التطابق بين تفاصيل الروايات فحسب ، والذي توصل إليه بالفعل العديد من الباحثين السابقين ، بل إن صور الطقوس متأخرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى كما هي موصوفة أمامنا ، وناجمة عن أقوال مصدرين مختلفين ، ويعينين هذا عن ذلك في الزمن والهدف .

والمعالجة التي عالج بها دى - فته سفر التثنية على أنه كله ذو أسلوب واحد ، وتسود في أقواله لغة الأنبياء الثرية والمتعددة ، لذلك استمر بإحساسه النقدي في ثانيا الكتابات المقدسة ولم يهتم فقط بالتناقضات والتكرار وفقدان المطابقة فحسب ، بل ليجد في العديد منها الوحدة الأدبية الفنية الموجودة بالفعل ، مع التسليم والقبول بالنقص الموجود أحياناً ، وقد ثار بصفته تافداً ثقة وخبيراً على علم أساتذته وابتعد عن نظرية الأجزاء العقلانية في مجموعها ، والمنطرفة ، والباحثة عن أدق التفاصيل ، وانضم لدعمه سريعاً مجموعة من الباحثين الشبان ومرة ثانية دار الحديث عن أقوال مؤلفات كبيرة في حجبها ، أى المصدر الألوهيمى القديم والمصدر اليهودى المتأخر .

وعلاوة على ذلك فقد فاق دى - فته وتلاميذه بالوحدة الأدبية الكاملة أصحاب نظرية المصادر الأوائل (أستروك ، إلجن ، وغيرهما) السابقين على أصحاب نظرية الأجزاء . وقد لاحظ الأوائل أن التوراة كما هي مؤلفة من مصدرين - وقالوا بعد ذلك من ثلاثة مصادر - خاصين ومنعزلين الواحد عن الآخر ، ليس بينهما أى صلة ، ودمجاً سوياً بصورة متكلفة . أما أصحاب مجموعة دى - فته فقد قرروا : أن التأليف "اليهودى" ليس تأليفاً مستقلاً ، بل إن "اليهودى" جاء للارتباط بأقوال "الألوهيمى" السابق له وليكملها ، وبذلك ابتدعت نظرية المصدر التكميلى .

٢ - إيفالد وتوخ

اهتم إيفالد الذي انضم إلى مدرسة دى - فته بإظهار أن سفر التكوين ، الذي

فنته أصحاب نظرية الأجزاء ، لا يمكن أن يكون تأليفا ميكانيكيا من مصادر متعددة فحسب ، لأنه رغم كل ذلك نشعر بوحدة أدبية في مجموعته ، وأن كل المادة العديدة والوفيرة المجموعة فيه ، تتخذ صورة أدبية واحدة.

أما توخ الذى ظهر بعد إيفالك فقد قرر فى تفسيره لسفر التكوين قاعدة : أنه يوجد بالفعل أمامنا مؤلفان متميزان ، غير أن المتأخر منهما زاد وتمم أقوال المؤلف السابق له ومن أجل ذلك فإنه يلقب "المصدر الألوهيمي" باسم "المصدر الأساسى" و"المصدر اليهودي" باسم "المصدر المتمم".

٣ - اكتمال سفر التثنية

وطبقاً لرأى أصحاب هذه النظرية ، فإن المؤلف الأول "للمصدر الأساسى" كان أحد الذين عاشوا فى عصر شاول ، وأما "المصدر المتمم" المتأخر فقد عاش كما يبدو ، فى عصر سليمان . وبعد أن رسخ أصحاب تلك النظرية وحدة سفر التثنية والوحدة الأدبية لسفر التكوين ، لم يكتفوا مرة ثانية بهذين السافرين فحسب ، بل حاولوا توسيع سيادة تلك النظرية على كل أسفار العهد القديم ووجدوا فيها كلها بدا واحدة ، أعدت وأكملت ونظمت المادة الأساسية القديمة بناءً على أسلوب دينى معروف وثابت.

وبذلك خرج علم العهد القديم مرة ثانية بعيداً عن عصر الأجزاء المبتدع مزودا بوسائل بحث جديدة ومكاسب إضافية .

وليس من اهتمامنا عرض كل سبل صراع تطور علم العهد القديم ، وتفصيل تفاصيل ارتقائه وهبوطه . لكن الهام هنا تلك الحركات العلمية التى قادت علم العهد القديم حتى ساد ونمت ثروته . لذلك نتجاهل طرق البحث التى بذلت جهداً فى التأمل النظرى بين نظرية المصدر المكمل القائمة ، بين ملحق نظرية الأجزاء وازدهار النظرية الجديدة للمصادر ، لتصل إلى العصر الذى ظهر فيه هويقلد الذى ارتقى بعلم العهد القديم لدرجة جديدة .

٤ - المصدر الأساسى والمصدر المكمل

لم يحقق الفكر النقدي الطمانينة بسبب العثرات الموجودة فى "الألوهيمي" عند نظرية المصدر المكمل ، وعلى أساس نظرية المصدر المكمل تضاعفت قيمة اليهودى بصفته مؤلفاً ، ونسبت إلى المصدر المكمل وظيفتان جديدتان ومميزتان ، هما : مهمة المحرر

ومهمة المكمل . وضخموا الوظيفة الأولى وطوروا في الثانية . وعلاوة على ذلك ابتعد أصحاب نظرية المصدر المكمل برأيهم عن أقوال الباحثين السابقين ، الذين اضطروا لتقسيم المصدر الألوهيمي لمصدرين (إلجن) ، وتحدثوا عن "المصدر الأساسي" . بمثابة مؤلف واحد وكامل ، كما لو كان كله "قطعة متجانسة" .

٥ - خلل نظرية المكمل

وعندما بدأ هوبفلد في إظهار نظرية أصحاب المصدر المكمل إلى حيز التنفيذ ، والتعيز بين الطبقة الإضافية لليهوى المكمل وبين المصدر الأساسي للألوهيمي توصل على الفور لعيوبهما سوياً . فقد وجد داخل الجزء المكمل مادة جديدة ليس لها أى إشارة داخل المصدر الأساسي ، لذلك من المستحيل الحديث عنها . لأنها ليست مكملة فقط وليست مؤلفاً قائماً بذاته . وإلى هذا الحد لا يمكن تصور أن اليهوى مكمل فحسب . ويظهر ذلك النموذج بوضوح في قسم الطوفان في سفر التكوين (٦-٨) . فقد كان أصحاب نظرية المصدر المكمل يتبعون في هذا القسم التمييز بين المصدر الأساسي والمصدر المكمل على هذه الصورة ، بأن هذا الحدث وجد في المصدر الأساسي ، وأن المكمل اليهوى أضاف عليها فقط : ١-٨ : ٧-١٠ : ١٦ ب : ٨ : ٢٠-٢٩ .

٦ - هوبفلد وتجديداته

إلا أنه عندما جاء هوبفلد وبدأ فحوص ذلك وجد أن أقوال اليهوى تشمل في داخلها رواية كاملة وصغيرة وغير مرتبطة كلية بالمصدر الألوهيمي ، ولذلك قرر :

المصدر الألوهيمي	المصدر اليهوي
الإصحاح السادس	٥- ورأى الرب أن شر الإنسان قد
٩- هذه مواليد نوح . كان نوح رجلاً	كثير في الأرض . وأن تصور كل أفكار قلبه
باراً كاملاً في أجياله . وسار نوح مع الله .	أما هو شرير كل يوم . ٦- فحزن الرب أنه
١٠- وولد نوح ثلاثة بنين ساماً وحاماً	عمل الإنسان في الأرض . وتأسف في قلبه
ويافثاً . ١١- وفسدت الأرض أمام الله	٧- فقال الرب أمحو عن وجه الأرض
وامتلأت الأرض ظلماً . ١٢- ورأى الله	الإنسان الذي خلقه مع بهائم ودبابات
الأرض فإذا هي قد فسدت . إذ كان كل	وطير السماء . لأنني حزنت أني عملتهم

بشر قد أفسد طريقه على الأرض .
 ١٣- فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد
 أنت أمامي . لأن الأرض امتلأت ظلما
 منهم فيها أنا مهلككم مع الأرض . ١٤ -
 اصنع لنفسك فلكا من خشب جفّر
 تجعل الفلك مساكن وتظليه من داخل
 ومن خارج بالقار . ١٥ - وهكذا تصنع
 ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك
 وخمسين ذراعا عرضة وثلاثين ذراعا
 ارتفاعه . ١٦ - وتصنع الفلك وتكمله
 إلى حد ذراع من فوق . وتصنع باب
 الفلك في جانبه . مساكن سفلية
 ومتوسطة وعُلوية تجعله . ١٧ - فيها أنا أت
 بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد
 فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في
 الأرض يموت . ١٨ - ولكن أقسم عهدي
 معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك
 ونساء بيتك معك . ١٩ - ومن كل حي من
 كل ذى جسد اثنين من كل تدخل إلى
 الفلك لاستبقائها معك . تكون ذكرا
 وأنثى . ٢٠ - من الطيور كاجناسها ومن
 البهائم كاجناسها . ومن كل دبابات
 الأرض كاجناسها . اثنين من كل تدخل
 إلى الفلك . ٢١ - وأنت فخذ لنفسك من
 كل طعام يؤكل واجمعه عندك . فيكون

٨- وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب .
 الإصحاح السابع :

١ - وقال الرب لنوح ادخل أنت
 وجميع بيتك إلى الفلك . لأنني إياك رايت
 بارا لدي في هذا الجيل . ٢ - من جميع
 البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة
 ذكرا وأنثى . ومن البهائم التي ليست
 بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى . ٣ - ومن طيور
 السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى ،
 لاستبقائها نسل على وجه الأرض .
 ٤ - لأنني بعد سبعة أيام أيضا أمطر على
 الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة .
 وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته .
 ٥ - ففعل نوح حسب كل ما أمره به
 الرب . ٦ - وأحدث بعد السبعة أيام .
 ١٢ - وكان المطر على الأرض أربعين يوما
 وأربعين ليلة . ١٦ ب - وأغلق الرب عليه .
 ٢٣ - فمحا الله كل قائم كان على وجه
 الأرض ، الناس والبهائم والدبابات وطيور
 السماء . فانمحيت من الأرض . وبقي نوح
 والذين معه في الفلك فقط .

الإصحاح الثامن :

١ - وأحدث من بعد أربعين يوما .
 ٧ - وأرسل الغراب فخرج مترددا حتى
 نشتت المياه عن الأرض . ٢٠ - وبني نوح
 مذبحا للرب . وأخذ من كل البهائم

لك ولها طعاما . ٢٢ - ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله . هكذا فعل .

الإصحاح السابع

٦ - ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض . فدخل نوح وبنيه وامراته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان . ٨ - ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور ومن كل ما يدب على الأرض ٩ - دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى . كما أمر الله نوحا . ١٠ - في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفتحت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء . ١٣ - في ذلك اليوم عينه دخل نوح وحام وسام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معه إلى الفلك . ١٤ - هم وكل الوحوش كاجناسها وكل البهائم كاجناسها وكل الدبابات التي تدب على الأرض وكل الطيور كاجناسها . كل عصفور ذى جناح . ١٥ - ودخلت على نوح إلى الفلك اثنان اثنين من كل جسد فيه روح حياة . ١٦ - والداخلات دخلت ذكرا وأنثى من كل ذى جسد كما أمره الله . ١٨ - وتعاظمت المياه وتكاثرت

الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة . وأصعد محركات على المذبح ٢١ . - فتنسم الرب رائحة الرضا . وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثة . ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت . مدة كل أيام الأرض من زرع وحصاد وبرد وحر وصيد وشتاء ونهار وليل لا تزال .

جدا على الأرض ، فكان الفلك يسير على وجه المياه . ١٩- تعاطمت المياه كثيرا جدا على الأرض . فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كبل السماء . ٢٠- خمسة عشر ذراعا في الارتفاع تعاطمت المياه ، فتغطت الجبال . ٢١- فسمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض ، من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس ، ٢٢- كل ما في أنفسه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات .

الإصحاح الثامن :

١- ثم ذكر الله نوحا وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه . ٢- وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء . فامتنع المطر من السماء . ٣- ورجعت المياه عن الأرض رجوعا متواليا . وبعد مئة وخمسين يوما نقصت المياه . ٤- واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراط . ٥- وكانت المياه تنقص نقطا متواليا إلى الشهر العاشر . وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال . ٦- وفتح نوح طاقة الفلك التي كان فيه عملها . ٨- ثم أرسل الحمامة من عنده

ليسرى هل قلت المياه عن وجه الأرض
 ٩- فلم تعد الحمامة مقرا لرجلها .
 فرجعت إليه إلى الفلك . ١٠- فلبث أيضا
 سبعة أيام آخر وعاد فأرسل الحمامة من
 الفلك . ١١- فأتت إليه الحمامة عند
 المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها
 فعلم نوح أن المياه قد قلت عن
 الأرض . ١٢- فلبث أيضا سبعة أيام آخر
 وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضا
 ١٣- وكان في السنة الواحدة والست مئة
 في الشهر الأول في أول الشهر أن المياه
 نشفت عن الأرض . فكشف نوح الغطاء
 عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد
 نشف . ١٤- وفي الشهر الثاني في اليوم
 السابع والعشرين من الشهر جفت
 الأرض . ١٥- وكلم الله نوحا قائلا : ١٦
 - اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك
 ونساء بنيه معك . ١٧- وكل الحيوانات
 التي معك من كل ذي جسد والطيور
 والبهائم وكل الدواب التي تدب على
 الأرض أخرجها معك . ولتوالد في الأرض
 وتثمر وتكثر على الأرض . ١٨- فخرج نوح
 وبنوه وامراته ونساء بنيه معه . ١٩- وكل
 الحيوانات كل الدواب وكل الطيور كل ما
 يدب على الأرض كانوا معها خرجت من
 الفلك .

أمامنا روايتان كاملتان غير مرتبطتين الواحدة بالأخرى مطلقاً ، وتفاصيلهما
ولغة أقوالهما مختلفة : ففي الرواية الأولى أدخل اثنين اثنين من الأحياء والبهائم
والطيور ، وفي الثانية سبعة سبعة من الطاهرة واثنين من غير الطاهرة . وفي الأولى
نزل الطوفان مئة وخمسون يوماً ، وفي الثانية نزل المطر أربعون يوماً . وفي الأولى
أرسل الحمامة وفي الثانية الغراب . وفي الرواية الأولى الأعداد والسنوات دقيقة
ومسببة ، متى بدأ الطوفان يهبط؟ ومتى تزايدت المياه؟ وكيف تزايدت؟ ومتى بدأت في
الانحسار؟ ومتى هبطت السفينة وأين؟ ومتى ظهرت رؤوس الجبال؟ ومتى انغمرت
الأرض؟ ومتى يبست؟ والكل بالتحديد في اليوم والشهر والسنة . أما في الرواية
الثانية فليس هناك أى إشارة لأسلوب هذا العمل ، وبدلاً منه نجد تفصيلاً بشأن سبب
تكون المطر وقرار يهوه "لإبادة الإنسان" ، حيث تزايد شره ، وعن القرايين التي
قدمها نوح وعن المذبح الذي بناه ، وعن وعد يهوه لئلا يضرب بعد ذلك كل حي "لأن
خلق قلب الإنسان شرير من شبابه" . "هل يوجد بعد ذلك ضرورة في الأمر لإظهار إلى
أى مدى تختلف بيئة هذين المؤلفين ، لذلك لا يمكن الاعتقاد أن "اليهوي" مكمل فقط ،
والذي لم يأت فقط لإعداد المصدر الأساسي وتعديله ، بل علينا ، أن ننظر إليه كمؤلف
متميز لا يرتبط كلية "بالألوهيمي" وأن أحداثه تستخدم مصدراً قائماً بذاته .

٧ - هوبفلد وإلجن

علاوة على ذلك ، فإن مادة "المصدر الأساسي" الذي طبقاً لرأى أصحاب
نظرية المكمل جاء المحرر اليهوي ليكمله ، ليس كما اعتقدوا : قطعة واحدة ، بل يشمل
مصدرين مختلفين الواحد عن الآخر ، كما لاحظ إلجن ذلك في عصره . وبما أن جوهر
اختلاف المصادر لم يحدث إلا لإظهار الروايات المتضادة ، وبما أنه لا تزال في
"المصدر الأساسي" أو "الألوهيمي" تكرارات عديدة باقية ، يفهم من ذلك أن هذا
المصدر لا يزال يخضع للتقسيم . وهكذا وأصل هوبفلد مستعرضاً أقوال إلجن وأخصي
الروايات المتكررة داخل المصدر الألوهيمي في سفر التكوين فقط . وعلى سبيل المثال
قابل الروايات هذه مقابل تلك وفقاً لاختلاف أسماء "لوز" "لبيت إيل" (التكوين ٢٨ : ٩ :
٢٥ : ٧) ويعقوب "لإسرائيل" (٣٢ : ٨ : ٣٥ : ١٠) ؛ أو يقول في موضع واحد : أن
إبراهيم طرد إسماعيل ابن الأمة (٩:٢١) وفي موضع آخر يجد : عند موت إبراهيم كان
لا يزال إسماعيل معه (٩:٢٥) وغير ذلك . وإذا وجد في المصدر الواحد تكرار وغموض ،
فما هي فائدة التعديلات التي قسام بها العلماء ؟ يجيب هوبفلد قائلًا : يوجد

هنا مصدران ، وصدق إلجن في حديثه بشأن "الألوهيمي القديم" و"الألوهيمي الأحدث" . "استمر هوبفيلد موالياً للتمييز المذكور سابقاً الذي أطلقه إلجن لهذين المصدرين ، وواصل وقسم "المصدر الأساسي" إلى مصدرين.

٨ - المصادر الأربعة

وبعد مائة سنة من البحث والدراسة والمباحثات التي انقضت من عصر أستروك وحتى عصر هوبفيلد ، عاد مرة ثانية علم العهد القديم واقترب من نظرية المصادر ، ولكن ساهى كان ثمار عمل تلك الدراسة لمدة مائة عام مرة أخرى لم يتم البحث عن نظرية مصدرين فقط ، كانا أمام موسى كاتب التوراة ، ومنهما غير معروف والاختلافات بينهما على أساس أسماء الألوهية فحص ، بل أصبح الحديث بوضوح مطلق بشأن أربعة مصادر متميزة ، يمثل المصدر التثنوي أحدها ونشر زمن الملك يوشيا . أما الثلاثة الأخرى فهي "اليهوي" و"الألوهيمي أ" و"الألوهيمي ب" . ولم يحدد زمن تأليفهم بعد ، غير أن الطابع الأدبي ظاهر ويحدثهم أكيدة ، لكن لا تزال توجد شواهد عن تقدم وتدهور متنوع لعلم العهد القديم ، غير أن هذه النتيجة بشأن المصادر الأربعة الأساسية باقية على ما هي عليه . فأسماؤها تتغير وحجمها يتبدل غير أن هذه النتيجة تبقى في جوهرها بمثابة قاعدة ثابتة في بحث العهد القديم حتى عصرنا .

وبدأ علم العهد القديم يكشف القطاء لإنجاز الهدف الأكثر صعوبة . بتوضيح زمن تأليف المصادر الثلاثة . وبما أن زمن تأليف المصدر التثنوي قد اتضح بالفعل فقد سنحت الفرصة مرة ثانية للتمسك به بمثابة أساس ثابت ، والاتلاق منه بواسطة المقارنة والمطابقة والبحث بشأن تشكل بقية المصادر وتحديد زمنها .

٩ - فاتكى وجيورج ورويس

وعلاوة على الاعتراف بأنه باستثناء سفر التثنية توجد عادة باقية في التوراة للمصادر الثلاثة المتميزة التي ألفت في عصور مختلفة . هذه الحقيقة لم يتم التعرف عليها في علم العهد القديم من خلال مقارنة الروايات المزبوجة أو من خلال البحث الواقعي ، بل إن البيانات المختلفة والبعيدة الواحدة عن الأخرى قد برزت أمام الدارسين المتعمقين الذين تحرروا من الآراء التقليدية وتعصقوا في ثنايا الكتابات المقدسة ، وتوصل هؤلاء الباحثون من خلال بحثهم التاريخي لمعرفة صدق الفترة التاريخية التي يتناولها كل مصدر من المصادر .

ولم يكن مصادفة أن توصل في فترة واحدة ثلاثة من الباحثين إلى نفس الرأي رغم تباعد كل واحد منهم عن الآخر في المكان والهدف، وهؤلاء الثلاثة هم "فانكي"، و"جيورج"، و"رويس".

تخرج الاثنان الأولان من مدرسة هيجل، وتأثرت كتبهما بنظريته الفلسفية وأساليبه المنطقية، ولم يترك أقوالهما في حينهما الانطباع المناسب بسبب لغتهما المحلية. وكانت النتيجة الجوهريّة لأقوالهما أن تورااة الكهنة (المصدر الكهنوتي) تحتل مكانة هامة إلى حد كبير في أسفار التورااة الخمسة، وتتضمن في داخلها قوانين القرايين، وقواعد العبادة، وترتيب الكهنة. يستنتج من هذا أنه من المستحيل أن تكون قد كتبت في زمن موسى أو حتى زمن الهيكل الأول، بل تم تأليفها زمن السبي البابلي، وربما بعد العودة من بابل، وتوصل رويس لنفس النتيجة قبل عام من ذلك.

١٠- منهج رويس في النقد

وضع رويس اثنتي عشرة قاعدة لتلاميذه لخص فيها منهجه في علم العهد القديم، وهي:

١ - عدم خلط القسم الروائي في التورااة مع القسم القانوني فيها، فكل واحد منها يحتاج إلى بحث قائم بذاته.

٢ - كل واحد من هذين النمطين الأدبيين كان موجوداً عند اليهود قبل تدوينه في كتاب، والروايات التي تشهد بالشريعة التي أمر بها موسى، وأعلنت من جيل إلى جيل لا تبرهن على أن الأسفار الخمسة التي لدينا كانت موجودة في ذلك الزمن. فوجود أنماط القوانين المعلنة من جيل إلى جيل أمر احتمالي عند جماعة ليس لها شريعة مكتوبة بالمرّة.

٣ - الماسورا الروائية عند اليهود أقدم من الماسورا القانونية، كما أن الصياغة الأدبية للأولى أقدم من الصياغة الأدبية للثانية.

٤ - الوظيفة الأساسية للمؤرخ هي توضيح زمن تكون القوانين، وهذه المهمة تمكن من التعرف على الحقيقة الأكيدة، والبدء في هذا البحث من الضروري للمؤرخ أن يستفيد من آراء أبناء العصر.

٥ - تتناقض الروايات التاريخية الواردة في أسفار القضاة وصموئيل وبعض

روايات سفرى الملوك تناقضاً مطلقاً مع القوانين الموجودة فى التوراة ، وينتج عن ذلك أن هذه القوانين لم تكن معروفة زمن تدوين تلك الأسفار التاريخية المذكورة آنفاً ، وبالتأكيد لم تكن معروفة فى تلك العصور التى ترد روايات عنها فى تلك الأسفار.

٦ - الأنبياء الذين عاشوا فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد لم يعرفوا مطلقاً أى شئ بشأن توراة مكتوبة.

٧ - إرميا أول نبي يتحدث بشأن القوانين المكتوبة، وأقواله مرتبطة بسفر التثنية.

٨ - القسم الوسيط فى سفر التثنية هو نفسه "سفر الشريعة" الذى وجدته الكهنة طبقاً لأقوالهم فى هيكل يهوه فى عصر الملك يوشياهو . وهذا القسم من القوانين أقدم أقسام القوانين المكتوبة فى التوراة.

٩ - يُقسم التاريخ العبرى القديم من وجهة نظر تاريخ الثقافة القومية إلى مرحلتين أساسيتين : قبل عصر يشياهو وبعد عصر يوشياهو.

١٠ - النبي حزقيال سابق على عملية الانتهاء من تحرير تعاليم العبادة وظهور القوانين المنظمة لسلطات الكهنة.

١١ - سفر يشوع ليس أحدث من أسفار التوراة الخمسة وكما يحتمل فإنه يشبهها ظاهرياً.

١٢ - موسى أبو الأنبياء ليس هو محرر أسفار التوراة الخمسة .

وعلى كل حال، قرر رويس أن القوانين بشأن العبادة وترتيب الكهنة أُلقت بعد عصر حزقيال (القاعدة رقم ١٠) أى فى نهاية سبى بابل، أو فى بداية عصر العودة.

١١- جراف

وهاتان النتيجتان : أى النتيجة التى توصل إليها الجن وهوفك بشأن تقسيم المصدر "اللاهينى" إلى مصدرين . والنتيجة الأخرى التى توصل إليها فانكى وجورج رويس بشأن وحدة واستقلال سفر القوانين الذى يبحث أمور الكهنة ونظام العبادة، ضمهما سوياً له . هـ جراف أحد أهم الباحثين فى علم العهد القديم . وقرر جراف أن "المصدر اللاهينى" الذى عرف عند أصحاب النظرية التكميلية باسم "المصدر الأساسى" بلا شك مركب من مصدرين متميزين، غير أن أحدهما يشتمل فى وسطه

روايات موازية لروايات "المصدر اليهودي" وهو نفسه "الأكوهيمي الأحدث" عند هوبفلد.

١٢- القسم الروائي والقسم القانوني في التوراة

يعتبر بحث جراف مهما وقد نال قبولاً داخل علم العهد القديم في عصرنا كقاعدة ثابتة. ولأن جراف كان تلميذاً لرويس فقد اتخذ أساساً لأبحاثه سفر الأحكام الموجود في سفر التثنية الذي يعتبر زمن تأليفه معروفاً وواضحاً بدرجة كافية (القاعدة ٨)، وبواسطة مقابلة بقية الأسفار بسفر الأحكام أراد أن يصل إلى أي من الأسفار الأخرى الموجودة في العهد القديم عرفها صاحب سفر التثنية، وأي منها لم يعرفه مطلقاً ؟.

توصل جراف بعد بحث طويل وموازنة دقيقة إلى رأى عام هو : أن قوانين يهوه التي ذكرت في سفر الخروج (١٢ - ٢٠ - ٢٣ : ٢٤) هي القوانين الوحيدة المعروفة لصاحب سفر التثنية ، أما بقية القوانين الموجودة في "المصدر الأكوهيمي" الكبير لم يعرفها ولم يلاحظها . وينجم عن هذا - أن القوانين في المصدر "الأكوهيمي" متأخرة وتنسب إلى العصر البابلي أو عصر العودة .ومرة ثانية نعلم من ذلك ، أنه من الضروري التمييز بين القسم الروائي والقسم القانوني في المصدر "الأكوهيمي" . وربما القسم الأول سابق على سفر التثنية (على كل حال ، ليس هناك ما يمنع السبق) والقسم الثاني متأخر عنه.

١٣- نقد ريهيم لنظرية جراف

وهذا التقسيم الذي وضعه جراف بين القسم الروائي والقسم التشريعي في مصدر واحد أثار ضده معارضات شديدة بين زملائه الباحثين ، وقد تمكن "ريهم" المحافظ من الرد على هذه الاعتراضات . فثبت "ريهم" بآدلة واضحة أن نفس الروايات التاريخية التي عزل منها جراف قوانين الكهانة، تسيطر عليها روح هذه القوانين وليس هناك أي احتمال للفصل بينهما ، فالقوانين تكون سوراً مع الروايات وحدة واحدة، ولذلك لا يمكن قبول نظرية جراف الذي يؤخر زمن إعطاء تلك القوانين حتى عصر العودة.

١٤- مصدر توراة الكهنة

كانت أدلة "ريهم" وزملائه قوية وحاسمة بما فيه الكفاية . حتى أن جراف رأى أنه من الواجب الالتزام بها والموافقة عليها . غير أن النتيجة التي تم الوصول إليها من هذه الأدلة كانت مختلفة كلية عن تلك التي قصد "ريهم" إلى استنتاجها ، وحقاً فإن القسم الروائي والقسم التشريعي - في المصدر "الألوهيمي القديم" الذي عرف باسم "الأساسي" عند أصحاب النظرية النكميلية ، أصبح يطلق عليه "توراة الكهنة" في شكل وحدة يمكن الفصل بينها، إذ أن القسم القانوني فيه قد ألف ، كما يبدو ، زمن السبي البابلي ، ويفهم تلقائياً أن الجزء الروائي لهذا المصدر قد ألف زمن السبي البابلي .

١٥- المصادر: اليهودي والألوهيمي وتوراة الكهنة

والنظرية التي وضعها هوبفك بشأن المصادر الثلاثة للأسفار الخمسة - باستثناء سفر التثنية الذي هو مصدر قائم بذاته ، انخفضت حالياً أساساً جديداً عند جراف ، حيث ساد الحديث عن المصادر "اليهودي" و "الألوهيمي" و "توراة الكهنة" . وعلى أساس استنتاج دي - فته بأن سفر التثنية ألف في عصر يوشياهو ، أقام جراف نظريته بأن "اليهودي" و "الألوهيمي" سابقان لعصر يوشياهو، وأن مصدر "توراة الكهنة" ألف بعدهما .

علاوة على ذلك فقد حُدّد في عصره وبواسطته مضمون وحجم كل مصدر من المصادر التي رُكبت منها الأسفار الخمسة للتوراة . ويزيد الباحثون ، فأضافوا وهدقوا وأدخلوا من عندهم . ويصف الجدول التالي تلك المصادر التي أسسها جراف مصدراً مصدراً ، وكما هي مقبولة - كثيراً أو قليلاً - في العلم حالياً ، وذلك باستثناء المصدر التثنوي الذي بقي بمثابة وحدة واحدة.

غير أن هذه الرؤية بشأن تاريخ أسفار التوراة ونظام نشأتها الذي قُبِلَ حالياً بوصفه قانوناً بعد اختلافات "ريهم - جراف" ، ليس سوى ثمار ملاحظات نظرية داخل العهد القديم . وقد وجدنا من خلال مضمون وصورة السفر نفسه مكانه في تاريخ الأدب ، وعلاقته بسفر التثنية الذي كان زمنه محدداً . غير أن التطابق المتبادل بين السفر والحياة لا يزال بعيداً عن البحث . فآداب العهد القديم كان يرفرف على نظم الدولة وثقافة الجماعة ، وعلم العهد القديم لم يدركها بعد في اتصالها بالموضوعات الاجتماعية والدينية لموضوع الحياة.

جدول المصادر

الكهنتي	الإلهيمي	البهري
٣١-١:١ ١٤-١:٢		التكوين ٢٥:٢-٢٤:٢ ٣ ٤ ٢٩:٥ ٨-١:٦ ١١٧:١١٦:١٣:١١:٦:٧ ٢٤:٢١-١٨ ١٩-١٣:٥-١:٨ ٢٩-٢٨:١٧-١:٩ ٢٣-٢٢:٢٠:٧-١:١٠ ٢٢-٢١ ٣٢-٣١:٢٧-٦٠:١١ ٥:٢٤:١٢ ١٢-١١:٦:١٣ ١٤
١٦-١٥:٣:١:١٦ ١٧	١٥	١٤:٤:٢-١:١٦ ١٨ ٣٨-٣٠:٢٨-١:١٩
٢٩:١٩	٢٠	٣٣:١٢-١:٢١ ٢٤-٢٠:١٨-١٥:٢٢
٥-٢٢:٢١	٣٤:٢٢-٦:٢١ ١٩:١٤-١:٢٢	٢٤ ١٨:١١:٦-١:٢٥ ٣٤-٢٧:٢٦-٢١ ٣٣-١:٢٦
٢٣		
١٩:١٧:١٢:١١-٧:٢٥ ٢٦:٢٠: ٣٥-٣٤:٢٦	٣٠:٢٨-٢٥	

٤٦:٤٦	٥٧-٤٧:٤٥-٦:٤٦	٣٨:٢٨:٢٧:٤٢
	٣٧-٢٩:٢٦-٦:٤٢	١٢٣-١٥:١٤-٦:٤٢
	٢٣:١٤:٤٢	٣٤-٢٤
		٤٤
	١٢:٥:١٤:١٥	١٤:١٢:١٤:١٦:٤٥
	٢٧-١٥	٢٨
٢٧:٥:٤٦	١٥:١:٤٦	٣٤-٢٨:١:٤٦
٢٧:١٢:٧:١٦:٥:٤٧	١٢:٤٧	١٢٧:١٣:٤:١-١:٤٧
٢٨		٣١-٢٩
٧-٣:٤٨	٢٢-٨:٢:١:٤٨	
٣٣-٢٨:١:٤٩		٢٧-١:٤٩
١٣-١٢:٥٠	٢٦-١٥:٥٠	١٤:١١-١:٥٠
الخروج	الخروج	الخروج
١٤:١٧:٧:٥-١:١	١٢-١١:١٥:١٥:١٢:١١	٢٢:٢٠:١٠-٨:٦:١
	٢١	
٢٥:٢:٢	١٠-١:٢	١٢٣-١٠:٢
	١٥-٩:٦:٤:٣	٢١-١٩:٨:٧:٥:١٤-١:٣
	٢٢:٢١	
	٤	٥
٣٠-٢:٦		١:٦
١٢٠-١٩:١٨-١:٧	٢٤:٢١:٢:٧	٢٤-٢٥:١٨-١٤:٧
٢٣-٢١		

اللاويين العدد	العدد	اللاويين العدد
٩-١	٣٦-٣٩:١٠	
	١٢-١١	
٢٦:٢٥:٢١: ١١٧-١: ١٣	٢٤: ٢٢: ٢٠- ١٧: ١٣	
١٣٢:	٣٣- ٣٢: ٣١- ٢٧	
١٠: ٧: ٥: ٢: ١: ١٤	٢٥- ٨: ٤- ٣: ١٤	
٣٨- ٣٤: ٢٩- ٢٦	٤٥- ٣٩: ٣٣- ٣٠	
١٥		
٣٥: ٢٢: ١٦: ١١- ٨: ١٦	١٥- ١٢: ٧- ١: ١٦	
	٣٤- ٢٣	
١٩- ١٧		
٢٩- ٢٢: ١٣- ١: ٢٠		٩٤- ١١: ٢٠
١٠- ١١: ٢١	٣٥- ٣٢: ٩- ١: ٢١	٣١- ٢١: ٢١
	٢٤- ٢٢	
١٩- ٦: ٢٥	٥- ١: ٢٥	
٣١- ٢٦		
٣٣- ١٩: ١٨- ١٦: ٣٢	١٢: ٢٧: ١٥- ١: ٣٢	
	٤٢- ٣٤	
٣٦- ٣٣		

القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل التاسع

فلها وزن ومدرسته



١- ثلاث فترات في تاريخ الطقوس

لقد أتم يوليوس فلهاوزن - زعيم جماعة الباحثين في عصرنا - بقدره فائقة أسلوب البحث التاريخي، فبدأ بقانون التطور التدريجي الثابت والساكن في كل المناهج التاريخية. وقد كان واضحاً له من الأساس، بأنه من المستحيل للحياة الاجتماعية والدينية للأمة أن تكون متجمدة وثابتة بدون تغير أياً كان.

ومن المستحيل أن يكون الانطباع عن تلك التغييرات محدداً داخل قوانين الفترة والمطلوب أن تكون العين يقظة والأذن صاغية، من أجل توضيح وفحص وثائق كل نص من النصوص المقدسة. وقد اختار لجمال هذا البحث بداية الحياة الدينية ونظم الطقوس، وتلك الحياة أقسمت لـ دى - فته الوصول لكشف زمن تأليف سفر التثنية، ومن هذا المجال نفسه وضع فلهاوزن ثقته في أن يستنتج أموراً بشأن التطور الأدبي للجماعة.

أى الأماكن عبد فيه بنو إسرائيل يهوه بناءً على شواهد النصوص المقدسة؟ إن الروايات المتوافرة معنا منذ عصر القضاة وعصر صموئيل لا تحدد لنا مطلقاً موضعاً محدداً معترفاً به، بل فقط هناك العبادة المطلقة وعلى العكس، ليس هناك مدينة كبرى في فلسطين إلا وبها مذبح قائم، وقد قرب بنو إسرائيل القرابين ليهوه فى : الجبل وشيلوه وعفرة والرامة والنوب وبيت إيل كما كانت العبادة مباحة خارج المدن الكبرى، عندما يحين الأمر ، يحدث فى أى موضع وأى وقت ، ولما انتهت الحرب مع الفلسطينيين وتعب الشعب بعد أن ضرب "من مخماس إلى إيلون" وقال شاؤول "نخرجوا إلى الآن حجراً كبيراً...قدموا إلى كل واحد ثوره وكل واحد شاته وأذبحوا هاهنا وكلوا...وبنى شاؤول مذبحاً ليهوه" (صموئيل الأول ١٤ : ٣٣-٣٥) .

وحقاً لم تكن كل المرتفعات متساوية فى قيمتها، فالأكثر قدماً والموجودة فى المدن الكبرى المأهولة بأعداد كبيرة من السكان هى الأكثر شهرة، غير أن العبادة لم تكن مرتبطة بموضع ما ، فإن توقف المكان المرتفع عن أن يستخدم كمركز وانتقلت العبادة إلى مكان مرتفع آخر، فإن تغيير المكان لا يؤثر مطلقاً على الحياة الدينية، ولم تتغير نظم العبادة على هذا الأساس، فهامى شيلوه قد استعرت بدرجة عالية، واشتهر كاهن شيلوه فى البلاد واندفع الشعب إليها، غير أنه عندما سقطت شيلوه، انتقل كاهنها إلى نوب ولم يمس ذلك مطلقاً جوهر الديانة، فتغيير المكان لم يؤد إلى إثارة روحانية أياً كانت، فعبادة يهوه كانت مطلقة وكل الأرض موضعها، وطبقاً لرأى النص

المقدس لم تكن عبادة إسرائيل في الأماكن المرتفعة فساداً ولا توجد أية إشارة لوجود قانون يحدد عبادة يهوه في أي موضع كان . حتى أن صاحب الرواية في سفر الملوك الأول لم يعتبر مطلقاً عبادة الأماكن المرتفعة إثماً ، وعلى العكس من ذلك يبرر بإسهاب الحكم ويوضح : "إلا أن الشعب كانوا يذبحون في المرتفعات لأنه لم يكن بيت لاسم يهوه إلى تلك الأيام" (الملوك الأول ٣ : ٢) . ويعني ذلك أنه بعد أن بنى الهيكل في عصر سليمان تركوا المرتفعات الموجودة في أنحاء المملكة وصعدوا إلى أورشليم ، غير أنه قبل ذلك لم يكن هناك قانون معروف بتحديد العبادة في مكان واحد .

وبالفعل قد تركزت الملكية والحياة السياسية في أورشليم ، وذلك تدفق الجمهور إلى هذا الهيكل ، إلى بيت يهوه المبارك . إلا أن العبادة في الأماكن المرتفعة لم تتوقف أيضاً ، فالشعب ذبح ذبائح في مدن بئر سبع والجلجال وبيت إيل واذان وشكيم والسامرة وفنوتيل والمصفاة ، وذلك علانية وبترخيص حتى بعد أن شيد "بيت يهوه" في أورشليم ، ولم يحرم أحد من عبادة يهوه الحوب على ذلك بما في ذلك إيلياهو وإليشع . وعلى العكس من ذلك ، فإن إيلياهو بنى مذبحاً ليهوه على جبل الكرمل (الملوك الأول ١٨ : ٢٢) ، وذبح إليشع زوج بقر في الحقل حينما كان يحرق (٢١ : ٢٩) . وإذا كان إيلياهو وإليشع قد قربا قربانين في أي موضع ، فإن هذا يعني أن القانون الذي يحرم تلك القربانين - أو أن هذا القانون له ضرورة أخلاقية تعارض ذلك - لم يكن قد نشأ بعد في بني إسرائيل في تلك العصور .

غير أنه قد سادت الظلمة سماء السامرة ، فاندفع العدو من أشور ووقع فزعه من بعيد وظهر داخل بني إسرائيل الأنبياء الكبار ، وبدأت معهم فترة جديدة في تاريخ الديانة . وكان الشعب لا يزال يتوجه إلى بيت إيل ويأتي إلى الجلجال وينتقل إلى بئر سبع ، غير أن الأنبياء سخرُوا من هذا العار وعبرُوا عن ذلك للشعب وتنبأُوا شراً لكل المدن التي تبعد في نظر الشعب مقدسة ومرغوبة ليهوه . لكن من الخطأ تصور أن قصد كلام الأنبياء كان ضد المرتفعات ذاتها ، فلم يشنوا حرباً ضد العبادة أو على الرؤية الماثوثة بشأن العبادة . فالشعب يعتقد في براعته ويصعداته وتقدماته وكثرة أناسيده وغناء قيتاره . ينجز واجباته لإلهه ، ولذلك هدأ في صهيون وآمن في جبل السامرة ، وتلك هي الرؤية التي وجه النبي ضدها سهامه اللاذعة ويعلم باسم يهوه ذاته لارتباك قلب الشعب ، لأن "بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ بأعناكاتكم" ، وواحدة هي إذا عيذتم أعيادكم سواء في الجلجال أو في أورشليم ، فالخطيئة ليست مرتبطة بالمكان

بل في نظام العبادة ، فالرب لا يطلب من شعبه "محرقات وتقدعات" ولكن يطلب منه "ليجر الحق كالنياه والبر كنهر دائم" (عاموس ٥ : ٢١-٢٤) . ولم يتخل الشعب بعد أن سمع كلام أنبيائه عن طريقه ، واستمر في تقريب قربانيه وعيد أعياده في الأماكن المحببة إليه منذ القدم.

وسقطت السامرة وأبيدت المرتفعات المقدسة المنتشرة في مدن إسرائيل . وتحددت حياة الجماعة في يهوذا الصغيرة . ولم تستطع فعلاً في هذه المنطقة من الأرض أن تنافس المرتفعات الصغيرة "هيكل يهوذا" المسجل والمحترم في اورشليم العاصمة ، ولذلك فضل الشعب اورشليم على بقية المدن ، غير أنه حتى ذلك الوقت لم تتوقف العبادة كلية في المرتفعات . ولم يذكر إشعيا مطلقاً أن عبادة الإله في اورشليم فقط وأن العبادة في بقية المدن ممنوعة ، وكان تأثير الأنبياء قليلاً .

ولم يمنع الشعب قوة لأن يبطل نهائياً العبادة القائمة ، غير أن أقوال الأنبياء قد أبطلت بشكل ما من الأشكال ، وهذا أيضاً لم يكن ممكناً ، وكانت النتيجة الوحيدة والمباشرة لهذه المواجهة الدائمة تكمن في الإصلاح ، هذا يعني تجديد طرق العبادة وإصلاح ترميم الهيكل ولكن يظهر أمر هذا الإصلاح إلى الوجود وتقدم له الأسس . كان من الضروري قبل أي شيء ترك المقدسات في كل المملكة ، والتي وجدت لها حصناً سهلاً من قبل قادة الأمم الأجنبية المجاورة ، وذلك بهدف تنظيم وتركيز العبادة في مدينة مركزية واحدة .

ويقوم من ذلك ، أن مثل هذه المدينة لم تكن حبرون أو بيت إيل أو بيت شمعش ، التي كانت تمثل الأماكن المقدسة في يهوذا ، بل اورشليم العاصمة ، المدينة التي استقر فيها داود ، وبني فيها سليمان هيكل يهوذا المتألق في روعة ، وهكذا حدث الإصلاح الكبير في عصر يوشياهو (تقريباً عام ٦٤٢ ق.م) ، أي زمن إعلان القانون الذي يمنع العبادة خارج أسوار الهيكل في اورشليم ،

ولكن ما مدى قوة "المرتفعات العالية" و"الأشجار المزدهرة" ، "فحتى قبل موت يوشياهو كانت لا تزال هذه المرتفعات تظهر مرة ثانية ومعلمو الشعب يعلمون بشأن القانون الذي يمنع العبادة خارج اورشليم ويحذرون الشعب من ذلك ، غير أن الشعب لم يستطع التخلي عن طريقه المقدسة في نظره منذ القدم ، ويقف إرميا النبي مرة ثانية ويعلن : "لأنه على عدد مدنك صارت ألهتك يا يهوذا (إرميا ٢: ٢٨ ، ١٣: ١١) ،

وعلى كل حال ترك الشعب في النهاية تلك الأماكن المحببة إليه كنتيجة لتركه الأرض كلها .

وحدث سبي يهوذا إلى بابل، وولد جيل جديد في الغربية، وقد كان بعيداً بالفعل عن العادات الثابتة لجبل السبي . ويمرور البويعل الذهبي (بمرور خمسين سنة)، أعطيت هذه الجماعة الصغيرة الفرصة لترك السبي والعودة إلى فلسطين . وكانت تتجه جميعها نحو أورشليم . فبدأوا ببناء الهيكل، ولم يخطر على بال أحد فكرة البحث عن الأماكن المقدسة في بئر سبع وبيت إيل . وصارت وصية بيت واحد ويهو واحد ، هي القضية المفهومة من ذلك الحين ، والتي وضعت الأساس للرؤية الروحانية والتاريخية لهذا الجيل.

تلك هي الفترات الثلاث التي أحصاها فلهاورن لتاريخ الديانة في إسرائيل في عصر العهد القديم ، والحدثان اللذان يفصلان بين تلك الفترات هما : ظهور الأنبياء الكبار والسبي البابلي . ولم تنشأ مطلقاً في جماعة بني إسرائيل وحتى ظهور الأنبياء الفكرة بشأن تركيز العبادة في مكان واحد ، وكانت كل البلاد موضعاً لها . ويتأثر من الأنبياء ظهر الطلب لتركيز العبادة في أورشليم، غير أن عامة الشعب لم يستطع الانتصار على سلوكياته الثابتة . واستمر يذبح في الأماكن المرتفعة خارج أورشليم، رغم حسرة الأنبياء ورعما . بني إسرائيل وبعد العودة من بابل، أي زمن الهيكل الثاني ، لم توجد الأماكن المرتفعة مطلقاً . وعبد كل الشعب إلهه في أورشليم، في هيكل بيت يهو، كما لو لم تكن الأماكن المرتفعة قائمة منذ الأزل.

٢ - تاريخ القوانين : سفر العهد، سفر التثنية . تورا الكهنة

من وجهة النظر السابقة توجه بعد ذلك فلهاورن لفحص الأسفار القانونية الموجودة في التورا، كما رتب جراف عصورهم وفي ضوء الأسس التي قامت بشأن عصور تطور الديانة، ظهر له أيضاً طبقات أدبية تلائم هذه المجالات، طبقة لكل فترة في تاريخ الديانة.

وأكثر أسفار القوانين قدماً "سفر العهد" الموجود في المصدر اليهودي، الذي يقول "مذبحة من تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك .." في كل الأماكن التي فيها اصنع لاسمى ذكرى أتى إليك وأباركك " (الخروج ٢٠ : ٢١) فالنص لا يقصد هنا سذبح في مسكن، لأن هذا المذبح كان مصنوعاً من "خشب السنط "

(١:٢٧)، كما أن النص لا يتحدث أيضاً عن الهيكل في أورشليم، حيث كانت هناك درجات، ويقال صراحة "في كل الأماكن" إن وجدت تل تراب، فيكون هذا لك مذبحة، تقرب هناك ذبائحك ومحرقاتك، مذبح يوجد ليلة ويباد ليلة.

وتناسب هذا القانون الروايات بشأن الآباء الموجودة في المصدر اليهودي والمصدر الألوهيمي تقيبراهيم بنى مذبحاً في شكيم وفي حبرون، وفي إسحاق مذبحة في بئر سبع، وأقام يعقوب نصيباً حجراً في بيت إيل، لأنه كان من الممكن عبادة يهوه في أي موضع والفكرة بشأن تركيز العبادة في مكان واحد لم تكن قد ظهرت بعد. والكل - كما رأينا - في نظم الحياة في زمن الفترة الأولى السابقة لظهور الأنبياء.

غير أن الأوامر في سفر التثنية مختلفة كلية. فالقوانين بشأن نظم العبادة ليهوه تبدأ هنا بقضية المكان، كما لو كانت هذه القضية هي القضية المهمة القائمة في مركز عالم الطقوس في ذلك العصر. فالقانون يكرر ويعيد ثم يقرر بشدة على الأماكن المقدسة التي عبد فيها الشعب إلهه بعيداً عن "المكان الذي يختار يهوه إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه: اجترز من أن تصعد محرقاتك في كل مكان تراه، بل في المكان... (التثنية ١٢: ٤-١٤).

وبين تلك التحذيرات والتحريمات نسمع بتفصيل الكلمات "لا تعملوا كل حسب ما نحن عاملون هنا اليوم" (٨: ١٢). فانت ترى الشعب وهو يعبد في الأماكن المرتفعة ويقرب قربانه "على الجبال المرتفعة وعلى الجبيلة وتحت كل شجرة مزدهرة"، كما عمل آبائهم وأبائهم من القدم، وطبقاً للقانون المسلم به لدى الجماعة. وفي مقابل ذلك يشور ويحارب المشرع الذي جاء لإبادة الثابت ويقطع الطرق المتبعة ويغير وجه العصر. وكان العصر عصر يوشياهو وهذا القانون هو من ثمار الأنبياء وجاء لتجديد الإصلاح الكبير جذرياً. ويوجهها توجيهاً جديداً داخل الحياة الدينية للأمة. وتختلف وجهة نظر الطقوس السائدة في المصدر الثالث، أي تورا الكهنة عن تلك الرؤية في المصدرين اليهودي والتثنوي سويلاً.

فتورا الكهنة لا تأمر بتركز العبادة، كما أنها لا تذكر شيئاً بشأن العبادة في الأماكن المرتفعة خارج الهيكل الرئيسي، كما لو كان ذلك غير قائم منذ الأزل، ولا توجد ضرورة للحكم عليهما. فتورا الكهنة ترى جماعة بني إسرائيل تتجول في الصحراء وتنتقل الخيمة أثناء المسيرة "لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً، وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل في جميع رحلاتهم".

(الخروج ١٠: ٢٨) ، وكان الرجل عندما يقرب قربانه ليهوه فيأتى به أمام مدخل خيمة الاجتماع . وأمام خيمة الاجتماع تجتمع كل الجماعة . وهناك يتكهن الكاهن الأكبر ، وهناك يجتمع يهوه مع موسى بهذا الهدف الذى يصبو إليه مشرع تورااة الكهنة موجود هنا بالفعل بمثابة وضع قديم بصفة أمر قوسى منذ ذلك الوقت، ومن قبل ذلك، ولا توجد ضرورة للدفاع مطلقاً ، ونهاية العمل فى العقيدة بدايتها . وفى البداية كان الطموح إلى هذه المركزية . وبعد ذلك بمثابة نتيجة لها فحدثت المركزية وصارت حقيقة واقعية وسلوكاً مطبقاً ، حتى أنه محاً من قلب تابعيه أى ذكر لطرق العبادة الأخرى ، باستثناء أسوار البيت المقدس والمسلم به . لذلك يرى فلهاوزن أن تورااة الكهنة مصدر متأخر عن مصدر التثنية ويسمع فيها صدى صوت الفترة الثالثة فى تاريخ الطقوس ، أى فترة العودة والهيكل الثانى .

وهذه الفترات الثلاث الأساسية التى كشفها فلهاوزن فى تاريخ تطور رؤية مكان العبادة ، كشفت أيضاً بقية القضايا المرتبطة بالحياة الدينية ، وعلى غرار هذه الفترات فى الحياة الدينية ، يظهر أيضاً فى أدب القوانين . ويعبر فلهاوزن بحسه التاريخى عن القرابين والأعياد والكهانة وهبة الكهانة ، ويكشف لنا تطور كل واحد من هذه الأفكار الدينية ويبرز فيها التجديدات التى طرأت فى تطورها بواسطة الأنبياء الكبار فى نهاية تاريخ السامرة ، وبواسطة السبى البابلي . ويبرز خلال هذه الأرضية للحياة الدينية المتغيرة وجود ثلاث طبقات لإعطاء القوانين أقدمها (سفر العهد) والذى فى جوهره طبقاً لرأى فلهاوزن يمثل مجموع السلوك فى الحياة وكان معترفاً به ومنتشراً شفويّاً ، وهو ثمار نتاج بنى إسرائيل القديم ، الذى لم يسمع فيه بعد أقوال غضب الأنبياء الكبار ولم يعرف المطالب الأخلاقية التى نشأت قبله .

أما الطبقة الثانية (مجموعة القوانين فى سفر التثنية) فهى أول مجموعة قوانين قضائية لجماعة بنى إسرائيل ، وفكرتها ونشأتها كانت فى يهودا زمن سقوط السامرة وبعدها بتأثير من أقوال الأنبياء عندما اتجهوا لتجديد وجه الجماعة وإصلاح مجتمع بنى إسرائيل على أساس مطالب يهوه إله العدل .

أما قمة أدب الأسفار الخمسة فيمثل الطبقة القانونية الثالثة ، فذلك القوانين والأحكام التى سردت كروايات تاريخية زمن الهيكل الثانى مع عودة الذين سبوا إلى بابل لتأسيس المملكة على الأسس القديمة للهيكل الأول . فعندما تغلب الذين سبوا فى عصر عزرا داخل ظلمة الماضي ، وعندما حاولوا أن ينتجوا لأنفسهم صورة من الحياة

الدينية والطقوس في العصور القديمة، ظهرت لهم مظاهر صور لحياتهم هم: مثل بيت يهوه القائم شامخاً في جبل يهوه في أورشليم، وجماعة الكهنة المستمرة للخدمة في الهيكل، وكانوا هم أنفسهم زعماء الجماعة ومعلميها، فالخوف على قداسة الهيكل والكهنة والذي كان سائداً وسط تلك الجماعة الجديدة التي تسلمت للعودة إلى أورشليم، أظهر بزوغ نور تنظيمات لتلك الحياة وتسلسل في أعماق الأعماق عبر طبقات الأجيال إلى الماضي البعيد، وأثرت منذ ذلك الحين على الأحداث التاريخية القديمة، فانبثق لهم الهيكل وخيمة الاجتماع و"جماعة الجمهور"، وكل ذلك على أساس صيغة الهيكل الثاني.

أما الطبقة القانونية الأولى - سفر العهد - فقد أدخلت داخل المصدرين اليهودي والألوهيمي حيث إن اسم الألوهية مختلف فيهما، وأنهما قريبان في الزمن والهدف، وأدخلت الثانية داخل سفر التثنية والثالثة داخل تورا الكهنة، وذلك بعد أن جُسجت وامتزجت سوياً مع القسم الروائي لكل مصدر من المصادر.

وهكذا لاحظ فلهاوزن أسفار العهد القديم من وجهة نظر تطور حياة جماعة بني إسرائيل وثقافتهم، وتشعبت تدريجياً بحرور العصور، وأسفار التوراة الخمسة الأولى في ترتيب أسفار العهد القديم تبحث العصور الأولى للأمة، ثم تأجل تأليفها للوقت المناسب في العصور المتأخرة التي لم تذكرهم الأسفار الخمسة، ووضعت القاعدة: "إن أساس مسيرة التاريخ القديم التي تروى عنها الأسفار الخمسة لا تعتمد إلا على دعم الأسفار الخمسة" (المقدمة الطبعة الخامسة - ص ٤).

٣ - مدرسة فلهاوزن

وأُسست نظرية جراف - فلهاوزن - جيلاً كاملاً من الباحثين والمؤرخين، الذين اجتمعوا لتأييدها ومتابعتها وتوسيعها، وتطويرها، فالذين جاءوا بعدهما نشروا بقوتهم؛ وبِقوة قوتهم فصلوا علم العهد القديم لموضوعات بحث متنوعة، وسار كل واحد منهم وارتفع إلى درجة نظرية علمية مميزة بذاتها. فالهولندي أبراهام كوين الذي كان مشاركاً في نتاج جراف - فلهاوزن في إدراك تورا الكهنة، نصب نفسه داخل السلسلة الأولى لمعارضة المدرسة الجديدة، وبقدرة فائقة وبوضوح عقلي صقل أدوات بحث العهد القديم وميز بين الشكل واليقين، وطور أسلوب النقد ورفعه إلى درجة نظرية عامة لها أساليب ثابتة ومبادئ أساسية.

وكما كان كوين بالنسبة للهولنديين وفلهاوزن بالنسبة للألمان ، كان ويليام روبرتسون سميت بالنسبة للإنجليز. فقد حارب معرضاً نفسه للخطر ضد قدسية قاعدة التطور الحديث في تاريخ الديانة ومحاضراته الأثنتا عشرة عن تاريخ الكتابات المقدسة أثارت ثورة روحانية بين باحثي الكنيسة في إنجلترا. فهو في كتابه "ديانة الساميين" - ويعدّه رودولف سميند وقبلهما دوهم في بحثه عن الأنبياء - يعتبرون من أوائل أعضاء تلك المدرسة الذين وضعوا حجر الأساس لتاريخ ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم.

وقد وضع كل من الباحث الإنجليزي شموئيل رولس درايفر والباحث الهولندي ج. فيلد بوير، وهما من مدرسة فلهاوزن الأساس لتاريخ أدب العهد القديم كنظرية علمية قائمة بذاتها. وأما برنهارد شتاده وهرمان جوتة فقد توجها لتأسيس صورة تاريخية لبنى إسرائيل في عصر العهد القديم، طبقاً لأسلوب جراف - فلهاوزن.

وبلا شك لم يعتنق كل باحثي العهد القديم العلميين في ذلك العصر هذه النظرية. فظهر خمسة معارضون لها وهم: تريهم، شتراك ، وديلمان وآخرون. كما لم يقبل كينتل وكونج كل أقوالها، وأصدر كلوتسрман حولها شكوكاً وتزايدت الخلافات فالدكتور هوفمان خرج ليقوض افتراضاتها الأساسية. غير أن آراء العديد منهم كانت موجهة ضد تفاصيل الأحداث، والبعض اعترف لها بالفضل، بعد أن أدخلوا عليها تعديلاتهم، وتم قبول هذه النظرية كقاعدة في عناصرها الأساسية المحددة لأقسام التوراة ونظم تأليفها، وهي التي سادت في عالم العهد القديم منذ الثمانينيات وما بعدها.

القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل العاشر

تأثير الحفريات



١ - مدرسة قلهاوزن وقضية بداية التاريخ

استمر قلهاوزن وتلاميذه في كشف معالم تطور جماعة بني إسرائيل خلال عصرها الأدبي، وبخاصة مع اكتشاف لغائف النقوش وأقوال السجلات، وتم التعرف من خلال الكتابات عن كل جيل، وتحديد الأسس الحقيقية الواقعية للعصر نفسه، وهكذا اختفى لديهم الخيال الذي حدد موقفهم للعصور الأولى السابقة على الكتابات الموجودة لدينا فثلك الفترة "السابقة على الأدب" اختفت من رؤاهم وأصبحت كما لو لم تكن وأشار ب. شتاده - تلميذ قلهاوزن المتميز - الذي ظهر في أعقاب معلمه، وعلى أساس نظريته لإزاحة قناع تاريخ جماعة بني إسرائيل - إلى قاعدة: أن تاريخ الشعب يبدأ في نفس اللحظة التي بدأ فيها الشعب نفسه يصنع التاريخ، ويقول: إن تاريخ الجماعة العبرية يبدأ من يوم تملك ملك في إسرائيل ويرى أن أسباط بني إسرائيل استقروا في أرض كنعان بنون أي رابطة بينهم وبينون المشاركة في الثقافة، ويختلفون عن بقية شعوب بني عابر الذين تجولوا حولهم، وعلى هذا الأساس فقد استوعبوا داخل أرض كنعان ودخل ثقافة تلك الأرض المأهولة بالسكان وأمنوا بيهوه إلههم ولم يرتبط سبط بسبط آخر، كما أن بيوت الأبناء داخل كل سبط ليست مدمجة معاً سوى للضرورة المؤقتة فحسب ولم تتصلبهم مأسورا واحدة، ولم يكن في فكرهم ذكريات لصير واحد، ولم يتواجدوا في صير، ولم يقفوا على جبل سيناء بل قدموا من عبر الأردن وتوغلوا في كنعان وكان إتمام احتلال كنعان أحد الأسباب الرئيسية لاتحادهم. وعندما عرقل جيرانهم تقدمهم، اضطرت أسباط بني إسرائيل إلى الانتقال من الدفاع إلى الصراع، وقالوا: ننصب علينا ملكاً يخرج على جيوشنا، وقضية الملك هذه، هي التي قلبت هذه الأسباط المبعثرة إلى مملكة وشعب ويرد إلينا صدى قديم لأول محاولة لتوحيد بعض الأسباط في أسماء باراك ودبورا يشان إرث فيشنون، ونحكي أنشودة دبورا عن هذا الحدث الأول في تاريخ بني إسرائيل والتي تمثل أقدم وثيقة للأدب الإسرائيلي.

وخارج لمساعدة يهود ضد الجبابرة سبعة أسباط فقط من أسباط إسرائيل، حتى إن هذه الأسباط تشتتت مرة ثانية مع انتهاء الحرب فلم تنجح التجربة، حيث كانت الذرية قبل الجمل (الثافة قبل الجمل) - وخرجت المحاولة الثانية من بيت منسي، ففي عصر يريعال من عفرة رفعت الراية من جديد ضد جنود مدين، وبموت ابنه أنزلت مرة ثانية، وبعد الإصحاح التاسع من سفر القضاة وثيقة قديمة وحقيقية لصدى هذه

الحادثة .وبرزت للمرة الثالثة حركة ملك من بيت بنيامين ، وذلك زمن تغلغل أسباط عمون لجلاءه ، وزاد الفلسطينيون من ظلمهم ،وهذه الحرب الضارية ضد ظلم الفلسطينيين هي التي أصعدت كرسي ملكة شاول ، وهي التي أجبرت الأسباط على الوحدة وتكوين شعب . من هنا يبدأ تاريخ إسرائيل . وقبل ذلك لم يكن لها موضع ، لأنه قبل عصر كنعان لم يكن ذلك في فكر أي شخص . وهذا التأخير المبالغ فيه لبداية التاريخ العبري هو الذي أدى إلى مهاجمة النظرية وكشف عيوب عديدة فيها .

٢ - الحفريات في مصر وبابل

وفي غضون ذلك ظهرت فجوة كاملة بسبب إهمال تلك الكنوز حيث انتقل البحث إلى مجال كليات اللاموت التي تضال داخلها علم العهد القديم ، غير أن مجال المعارف التاريخية اتسع وتقدم .فقد كشفت الحفريات وتناجها في بلاد المشرق أمامنا فترات تاريخية قديمة لم تكن متصورة من قبل ،وما قد اعتبرناه إرباً للأسطورة اكتمل مضموناً حيويًا وواقعيًا بوجود وثائق تلك العصور التي أدت إلى فهم جديد لبداية تاريخ بني إسرائيل .

فقد بدأت في مصر الأبحاث الأثرية زمن انتصار نابليون الذي جلب معه مجموعة من الباحثين والأثريين ، ومع نهاية الربع الثاني من القرن التاسع عشر تم بحث وفحص معابد وقبور قدماء المصريين بزعاية شامبليون وروزليني ، ولم يتوقف الحكومة الفرنسية خلال خمسين سنة ، وبعد ذلك الحكومة الألمانية ، عن الدعم السخي للباحثين الذين وصلوا إلى مصر ونقبوا حقول الماضي . فتأسست الجمعية الإنجليزنية للمصريات عام (١٨٨٣) وانضم إليها الأمريكيون ، وفي عصر واحد تزايدت آثار الماضي القديم وتم الكشف عن الأشياء المظمورة التي ألقت ضرواً جديداً على قديم أرض مصر وتاريخها وديانها وتأثيرها .

وفي ذلك العصر ظهرت أيضاً اكتشافات البحث التاريخي لبابل وأشور ، وفي البداية تركز اهتمام الباحثين حول هيكل نينوى واكتشف هناك يارد وزملاؤه المكتبة المسعمارية للملك أشور نيبال التي تضمنت ثلاثين ألف لوح صلصال ، وفي نفس الفترة تعمق باحثون فرنسيون وإنجليز وفي مقدمتهم الإنجليزي روليسون وبعثته في جنوب بابل والذين كشفوا قديم أورك ، ووجدت قوائم سندات بالآلاف في هيكل الشمس وخرائب الجنوب ، ونشر الفرنسيون من بين خرائب لاجاش بقايا معابد وقصور .

وقد صار فك غموض كنوز تلك الكتابات المسمارية فرعاً علمياً جديداً ، احتشد حوله جماعة من الباحثين البارزين ، وينفص القدر الذي تعمق فيه هؤلاء الباحثون للتغلغل داخل النصوص القديمة ، فتطورت معرفتنا تطوراً كبيراً ، واستمر تقدم معرفتنا للحياة السياسية والدينية للشعب والفرد في بابل القديمة ، وتاريخ قوانينها وعقائدها ونتائجها ، وتقدم عقائدها ونظم حياتها ، وطرق تأثيرها على الشعوب المجاورة لآلاف السنين قبل الميلاد .

٣ - شيردر

وهكذا حان الوقت لباحثي العهد القديم " لإطلاق المنجل لحصاد القمح " أي مقارنة نتائج هذه الأبحاث بأقوال العهد القديم وفحصها سوياً ، وكان إبراهيم شيردر أول من صاغ مهمة باحث العهد القديم ، وهو أيضاً الذي توجه لإتمامها ، فمع الأسفار الأربعة والعشرين التي هي حوزته راجع نتائج الحفائر الخاصة بهياكل كنج ونيوى ومدينة سرجون ، وخرائب بابل ومقابر أورك ، ومن خلال الكتابات المسمارية التي على ألواح الطين والصلصال استخرج كل الأقوال الموازية لأقوال التوراة وجمعها سوياً ، وقابل هذه السطور بفقرات من التوراة ، وذلك على أساس من ترتيب العهد القديم .

وكان شيردر لا يزال حذراً في بحثه بقدره فائقة ، وقبل أن يسأل من أقدم من من وكيف أخذ هذا من ذلك؟ وماذا عدل الذي أخذ؟ فلم تكن مهمته سوى إقامة جسور بين فرعى البحث القريبين هذا من ذلك على أساس مادة بحثهما ، والذين لم يرتبطا هذا بذاك حتى عصره . وسلك شيردر كل المسبل وأحصى كل العلاقات بين الكتابات المسمارية وأقوال العهد القديم ، وأصدر كتاباً ضخماً أثار غضباً في حينه . وابتدأ من خلق الكون ، والإنسان ، وقصة جنة عدن بكل تفاصيلها (الأنهار الأربعة ، الحية والكروبيم ، والحنين للطوفان) ، والمدمش في موازنته تلك الأسطورة البابلية التي وجدها جورج سميث في خرائب نيوى القديمة (١٨٧٣) وتحتوى على اثني عشر لوح صلصال ، وقصة البرج الذي يشير له قسم بناء البرج ذى سبعة أذرع والذي كشفه رولينسون (١٨٥٢) حتى أسماء الشعوب والمدن في قائمة بنى نوح (جومر ، مداي ، يون ، تيبال ، ماشك ، كتيك كوش ، مصرام ، يابل ، أورك ، أكد ، بكنه ، رصين ، كنج ، نيوى ، صيدون ، عرقى ، أرودى ، صمرى ، حمقى ، غزى ، عيلام ، وأرام) وأسماء الأبطال المتعديدين في روايات العهد القديم (أزيوك ملك ألسار ، كتر لعومر ، فرعون ، يوز ، جزى ، هدد ، لوط) وأسماء الأنهار والجبال (النيل ، نهر مصرام ، سنير ، سريون) ، وكذلك الأحداث

التاريخية لعصر الملوك كما يسرد العهد القديم نفسه عن المصادمات مع بابل وأشور، وتشمل الكتابات المسمارية مادة موازية كاملة، بعضها يناسب كل تفاصيل الرواية وبعضها يضيف ويعدل (ياهو بن نمشي، أحاب، حرب حزئيل، عزريا ملك يهوذا، مذاحم ملك إسرائيل، دخول قول إلى فلسطين، سوا ملك مصر) وتنتهي بتفصيل كبير لسلسلة أحداث سفر الملوك الثاني عن تجلات بلاسر، ستحريب، مردوك، بلادن بن بلادن ونبوخذنصر ملك بابل.

كما وجدت أيضاً صور موازية وتفاصيل مشابهة في الكتابات المسمارية لتفاصيل متنوعة لتاريخ ثقافة بني إسرائيل زمن العهد القديم (نقوش صلصال لصورة القسم تشبه أقوال النص "ضع يدك أسفل القصر" (التكوين ٢٢: ٢٤)، القباب الأبطال وتقديس الأعمدة بالقرب من الهيكل، مثل ياكين ويوعز، التي هي أسماء أعمدة رواق الهيكل (الملوك الأول ٢١: ٧) ورؤية مصر بمثابة أرض الفريسيان المختارة (التثنية ١٥: ١٧) كما وجدت كلمات مشتركة بكثرة في اللغة العبرية والكتابات المسمارية، والمتشابهة على أساس جذورها، وكذلك جعل مشابهة وطرق أسطورية وتعبيرات مشابهة، وتشهد مئات التشابه بوجود قرابة بين تلك الشعوب والثقافات وعلى أي حال لا يمكن لأسلوب بحث الكتابات المقدسة والكتابات المسمارية أن تكون فيها هذه غريبة عن تلك أو تكون هذه عالة على تلك.

ولم يقصد هيردر أكثر من ذلك، فكان يعرف بلا شك أن "البحث النظري والشامل لهذه القضايا يعتبر عفوياً جداً" غير أنه اكتفى آنذاك بما يعطى الثقة للبناء عليه، وبذلك قام بإجابة مخلصاً منبهاً باحثي العهد القديم - من مبدأ السلامة - بضرورة ربط بحث العهد القديم بالاتجاه الجديد والقريب، وبناء على ذلك سهل أمام بحث العهد القديم الفحص الدائم للمصادر وأجزاء المصادر داخل العهد القديم وفتح أفقاً جديدة.

وبدأ التشكيك في صحة النظرية التي تؤخر بداية تكوين النشاج العبري، ومع تطور نظرية المقارنات زال القناع الذي ساد في الفترة السابقة، وشيئاً فشيئاً اندثرت هذه الفرضية، وبرز النشك في قيامها مدعوماً من قبل فلهاوزن ومدرسته، بل من المؤكد أنها لم تنشأ، كما ابتعدت عن آراء شتاده، فانتشرت تلك البراهين الأثرية إلى حياة جماعة بني إسرائيل وثقافتهم خلال مئات السنين قبل أن يملك ملك في إسرائيل.

٤ - حفائر تل العمارنة

وينفس القدر الذي استمرت فيه الحفريات ونجحت ، واستخرج من باطن الأرض مغامم كثيرة، استمر البحث في التاريخ العبري واحتل مكانة مهمة .

وفي عام (١٨٨٧) حدث أول انتصار في مجال الحفريات في مصر رسيخ أيضاً الحقيقة في بحث التاريخ العبري القديم، حيث تم الكشف في تل العمارنة عن أرشيف أمينوفيس الثالث والرابع الذي يعود إلى القرن ١٤ ق.م. وفي هذا الأرشفة توجد ألواح صلصال عديدة مكتوبة بالآشورية ، ومن بينها رسائل متبادلة بين ملوك بابل وأشور وبين ملك مصر. وكذلك رسائل أرسلت من حكام فلسطين لحاكمهم في مصر. وفي بعض هذه الرسائل يروي حاكم أورشليم - عبد حبيبه - عن أسباط سام المتجولة، المعروفة باسم "الخبير" والمهاجرين من الصحراء إلى كنعان، ويناشده حاكمه الحضور لمساعدة زعماء المقهورين.

وفي عام (١٨٩٦) كشف بترى رسالة أخرى في خرائب هيكل الموت لمربتاح في نواحين . وتعود هذه الرسالة إلى عام (١٢٢٠ ق.م) وينشد في هذه الرسالة أنشودة نصر لمربتاح ملك مصر على الانتصارات التي انتصرها في بلاد مختلفة، ويحصى من بين تلك الشعوب المحتلة أيضاً إسرائيل سويًا مع عسقلان وجازر (إسرائيل هجر - ليس له نسل)، مما يؤكد أنه كان آنذاك يوجد بالفعل في الأرض جوهر لجماعة خاصة اسمها جماعة بني إسرائيل.

وبما أن علماء العهد القديم اعتادوا الانتباه لانتصارات علماء الاستشراق وفحصوا حقائقهم على أساس من اكتشافاتهم ، فلم يكتفوا مرة ثانية بتجميع الأحجار فحسب بل أثبتوا أنه توجد بالفعل أدلة لأقوال التوراة في الكتابات المسمارية، فما حكم ما الجانب هذا التشابه؟ ما هو الجانب المتشابه فيها؟ وكيف حدث؟ وعلى ماذا يشير؟ وإذا كانت هناك بالفعل حياة لبني إسرائيل في فلسطين القديمة، فما مضمون تلك الحياة؟ وأين آثارها؟

٥ - جونكل

لقد وضع شيردر الطريق وتقدم به جونكل إلى الأمام مزوداً بكل وسائل النقد. فرأى جونكل في قصة الخلق (سفر التكوين ١) لم يسلم عطفًا برأى فلهاوزن الذي اعتبر القصة مجرد نتاج إنشائي بسيط وحر لمؤلف المصدر الكهنوتي ، أما جونكل فقد

بحث هذه القصة ويبرهن على أن هذا القسم بكل صورته الحسابية والعددية يشمل خرافة قديمة ليس مصدرها بنى إسرائيل، وعندما وازن المادة الأسطورية في قصة الخلق مع أسطورة الخلق البابلية، كما هي محفوظة في أقوال الكتاب اليونانيين وفي النسخة القديمة على خرائب هيكل آشور بنيبال، اتضح له أين ظهرت وازدهرت هذه الخرافة، ولكي يقف على العلاقة بين وصف قصتي الخلق البابلية والعبرية البعديتين هذه عن تلك والموازيتين هذه لتلك، لم يكتف بمقارنة القصتين، فحسب بل قارن كل أقوال أدب العهد القديم سواء الموجود داخل أسفار العهد القديم، أو الذي بقي خارجاً عنه، واستخرج من داخلها أشعاراً ومزامير وسجلات وصوراً للمادة المتعلقة بنشأة الكون والتي أدمجت فيها وذابت داخلها.

وما هوذا عالم كامل لخرافة أصلها في بابل ومصدرها في أساطير الخلق نشأ في محيط إسرائيل : رهب (إشعيا ٧: ٣٠؛ ٩: ٥١؛ المزامير ٥٤: ٤؛ ٨٧: ٤؛ ٨٩: ١١؛ أيوب ١٢: ٩؛ ١٣: ٢٦؛ لويث (إشعيا ١: ٢٧؛ المزامير ١٢: ٧٤-١٩؛ ١٠٤: ٢٥؛ أيوب ٨: ٢؛ ٤٠: ٢٥؛ ٤١: ٢٦)؛ بهائم (إشعيا ٦: ٣؛ أيوب ٤٠: ١٥؛ انظر أيضاً حنوخ ٧: ٦٠ - ٩؛ عزرا ٦: ٤٩)؛ التنين (إشعيا ٩: ٥١؛ إرميا ٥١: ٣٤؛ حزقيال ٢٩: ٣؛ المزامير ٤٤: ٢٠؛ أيوب ١٢: ٧؛ انظر أيضاً مزامير سليمان ٢٨: ٢)؛ الحية (عاموس ٢: ٩)؛ النسيبة الهاربة (إشعيا ١: ٢٧؛ أيوب ١٣: ٢٦) وحش القصب (المزامير ٦٨: ٢١)؛ بنى الكبرياء (أيوب ٢٦: ٤١)؛ أعوان رهب (أيوب ١٢: ٩) - والتي تجمع في العبارة التالية : ليست حصن سلطان يهوه، محتجر رهب، صانع تنين تحطم لويثان، قهر مثل قاتل رهب وحطم رؤوس التنين في المياه."

وتكرر في أدب الأنبياء وأصحاب المزامير هذه الأسطورة البابلية القديمة عن حرب الإله ضد الوحوش الضخمة على عتبة الخلق، وذلك بأسماء مختلفة وصيغ متنوعة وأهداف متباينة استمرت في أعماق بنى إسرائيل وحلقت في خيالها، وذلك على الرغم من أنها لم تنبثق من داخل الرؤية اليهودية.

٦ - قصة الخلق

بعد أن جمع جونكل من ثنايا نتاج مؤلف العهد القديم كل المادة الأسطورية، المطبوعة كلها بطابع الميثولوجيا القديمة وقارنها بقصة الخلق في سفر التكوين (الإصحاح الأول)، وأدرك أن هذا القسم متأخر عن كل المادة المتنوعة السابقة عليه في

إسرائيل ، وأنه ليس سوى صدى هزيل له ومتصل به والرؤية التنبؤية المقدسة حلت محلها الصفات القديمة وصور الخرافة المنتشرة . وقد ضم صاحب المصدر الكهنوتي نظرية الخلق القديمة إلى قصة الخلق الموجودة عندها . وعندما وصل جونكل إلى السؤال : متى تسربت وجهة النظر البابلية إلى ثقافة بني إسرائيل ؟ ، اتضح له بعد أن فحص كل عصور اتصال هاتين الثقافتين ، أن عمر هذه العلاقة قديم جداً والأسطورة البابلية القديمة عن مريوك ذلك الإله الذي حطم الغمر وسيطر على المحيط البدائي وعمل من نصفه سماء ونصفه مياه أنتقلت إلى أرض كنعان قبل أن يظهر بنو إسرائيل . والفترة القديمة التي ذكرت في الرسائل التي وجدت في تل العمارنة عن زمن نشر الثقافة البابلية سلطانها على بلاد كنعان قد جلبت في أحضانها الأساطير الدينية البابلية ، وبخاصة أسطورة الخلق التي استخدمت في تكوين قصة الخلق في العهد القديم .

ومن خلال هذا المصدر الكنعاني وبواسطة الشعب المستقر في فلسطين استحدث إسرائيل فيما بعد هذه الميثولوجيا القديمة أيضاً ويقدر ما استمدت هذه الجماعة من تلك الوسائل الكنعانية قامت بتحرير ثقافة بابلية أخرى عديدة وصاغتها طبقاً لهدفها . واستمدت منها تشبيهاتها ومفاهيمها وتأثرت بها وتصارعت وتكيفت معها . ولم يحتل يهوه فيها فقط مكان مريوك بل خلصها من كل الميثولوجيا القديمة وسلسلة الأحداث الغريبة عن دين الأنبياء ، وأمتلأت روحاً ومضموناً جديداً لولا أصدقاء قليلة وقديمة مطبوعة بالطابع البابلي ، الذي لا يزال مخيماً عليها مثل الظلمة القديمة ، خربة وخائبة ، الغمر بمثابة اسم ، انقسام المياه ، تنين المياه ، جند السماء ، "نصنع" الإنسان ، ورأى أنه حسن ولم يكن مصدرها البابلي لموسى ، لأن روحاً أخرى وازنتها ، تلك هي روح الإله الواحد خالق السماء والأرض والمسيطر على الكل .

وإذا كان شيردر قد أشار إلى قرابة مفاجئة ، فإن جونكل غاص في أعماق المؤلف وحدد قاعدة هي : أن هذا الاشتراك لم يكن متأخراً ولم يكن مصادفة ، بل كان موجوداً في الطبقة الأساسية للثقافة الإسرائيلية . وأن روح بابل تسللت إلى داخل كنعان ، وتاهت في وسطها خلال عصور عديدة قبل احتلال الأرض بواسطة العبريين . وبعد أن جاء الإسرائيليون إلى الأرض ، وساروا في طرق شعب الأرض تشرّبوا الثقافة البابلية من هذا الوسيط الثاني .

ومنذ ذلك الحين ، أي بداية من عصر سنوات التكوين وانتهاء بـستوات التصادم الجديدة مع بابل - خلال عصر سلطان آشور في القرن السابع قبل الميلاد عندما كانت

يهودًا تدفع الجزية لأشعور، وكذلك في عصر السبي في القرن السادس قبل الميلاد - لم تتوقف الثقافة الإسرائيلية طوال تلك العصور عن الصراع مع الثقافة البابلية، وذلك بمحاربتها والاقتباس من داخلها.

٧ - رواية الطوفان

منذ ذلك الحين صارت المهمة الرئيسية لعلماء العهد القديم الوقوف على زيف ذلك الصراع واستخراج العناصر البابلية في العهد القديم، وأسطورة الطوفان هي الأكثر ارتباطاً مع قصة الخلق في الميثولوجيا القديمة وكانت لا تزال بعض أجزاء سفر بيروسوس، كاهن بيل البابلي الذي كتب باليونانية في القرن الثالث ق.م، محفوظة عند آباء الكنيسة. وقد اشتهر بسبب أساطير الطوفان البابلية ومع اكتشاف الكتابات المسمارية تم الكشف أيضاً عن ملحمة جلجاميش، تلك الملحمة البابلية القومية، المتضمنة في داخلها فصلاً عن الطوفان وعندما سار يطل الملحمة لينشد الحياة تقابل مع السرمدي أوتنبيشتم جد آياته (كسيزورس في نسخة بيروسوس) الذي يسير مع الآلهة في أقصى الغرب، وسمع منه قصة حياته، وكيف أنه حاز تلك العظمة؟ ويمشورة إله الأرض قرر مجلس الآلهة قراراً نهائياً لإبادة مدينة شوريك التي على ضفة نهر الفرات بالمياه، ثم جاء آيا إله الحكمة في الحلم ليلاً إلى أوتنبيشتم حبيبه وكشف له عن قرار الآلهة، وتحدث له بأن يصنع لنفسه سفينة، ويدخل فيها هو وأسرتة وكل ماله ويدخل فيها من كل الحيوانات، وعندما كان يسأله أهل المدينة عن عمله هذا، فيضربهم عن الغضب الشديد للإله عليه ولذلك فهو يفر من أمامه إلى طرف البحر، يصنع أوتنبيشتم كل الذي أمره به آيا، وشيد السفينة طولها مائة وعشرون ذراعاً، وجعل ارتفاعها ستة طوابق، وطلاها بالأسفلت ودخل هو ورجاله ونسأله وحيوانات الحقل، وأدخل معه كل ماله وذهبه وأغلق فتحة السفينة، ووصل إلى البحر الميت وكانت المياه ستة أيام وست ليال على الأرض وعندما جفت المياه هبطت السفينة على الجبل وفي اليوم السابع أرسل أوتنبيشتم الحمامة ولم تجد موضعاً للبقاء فعادت إلى السفينة، ثم أرسل العصفور وعاد أيضاً فأرسل الغراب ولم يرجع، فخرج أوتنبيشتم من السفينة هو ورجاله ونسأله وكل من معه وقرب قرباناً، فاجتمعت كالذباب حول الذبيحة واشتعت الآلهة رائحة الرضا وكان آيا خائفاً وغاضباً لئلا تتحقق رؤيته وأن يبقى هارياً عند الإنسان، غير أن حكمته عادت إليه وبارك أوتنبيشتم وزوجته ووضع مع الآلهة، وأسكنه جنة عدن في منحدر النهرين.

وبلا شك توجد فجوة واسعة بين هذه النسخة البابلية وبين صيغتي الطوفان المحفوظتين في التوراة، ففي الأولى تقرر الألوهة إبادة الأرض بلا سبب بدون أى علاقة مع أعمال البشر، أما في الثانية فقد حلت المصيبة في أعقاب أعمال البشر بفساد طرقهم وامتلاء الأرض ظلماً. وفي الأولى أنقذ أوتنشتم لأن أبا يحبه، أما في الثانية فأنقذ نوح لأنه كان باراً في أجياله. وفي الأولى إله يحطم وآخر يتقذ، أما في الثانية فوحدة الألوهية كاملة في كل تفاصيل الحدث. وفي الأولى ارتجفت الألوهة ذاتها من عمل أيديها وهدمت بشدة إبادة مدينتهم، أما في الثانية فإن الإله الأعلى مسيطر ومتكبر وينقذ أمره ويفتقد الظلم الشديد. وفي الأولى تنتهي القصة بضم أوتنشتم إلى مجمع الآلهة، وفي الثانية تنتهي القصة بعهد ثابت للإله سالا يبيد أى بشر إلى الأبد لأن قلب الإنسان شرير من شبابه، ويحدد قوانين للأرض والطبيعة بألا تصيبه مرة ثانية .

ومع ذلك فإن جوهر القرابة بين أساليب الروايتين لا تحمل أدنى شك . وكذلك اختلاف التفاصيل مثل نفلك بدلاً من سفينة؛ وغراب حمامة ثم حمامة ، بدلاً من حمامة ثم عصفور فخراب؛ وثلاثة مائة ذراع طولها بدلاً من مائة وعشرين ذراعاً . وكان الطوفان أربعين يوماً بدلاً من ستة أيام . غير أن هذا لا يضعف احتمال الانطباع بأن هذه صيغ مختلفة لرواية واحدة أمامنا . ومثل هذه الاختلافات توجد أيضاً بين نسخ القصة داخل التوراة ذاتها . غير أن جوهر القضية يكمن في إبادة الأغلبية وإنقاذ الفرد ، خاصية الإبادة وخاصية الإنقاذ ، إرسال الطير ، رسو السفينة على الجبل ، وتقريب القرابين . وكذلك تسعة الرضا التي اشتملها الإله (الآلهة) ومباركة المتقذ . كل ذلك يؤكد من حيث الجوهر بأنه ليس أمامنا سوى رواية واحدة في صياغتين . وعلاوة على ذلك فإن الرواية التوراتية تركيب متأخر رُكِبَ على أساس النسيج القديم الذي جاء من بابل .

٨ - قوانين حمورابى

ولم يستوعب علماء العهد القديم كما يتبعى الوثائق المطابقة للكتابات المقدسة التي ظهرت من خلال الحفريات في مصر والاكتشافات الأثرية وفجأة اندقع عن مخابئ الماضى في بابل مصدر جديد ، مدهش في قدمه ومطابقته لمصادر الكتابات المقدسة .

ففي نهاية عام (١٩٠١) وجدت البعثة الفرنسية تحت إدارة "مورجن وشيل "

في أعماق الأرض في سوسن العاصمة نصيبا حجريا ، والذي كما يبدو أخذه ملك
 عيلام غنيمة من بابل وعليه نحت سفر القوانين الذي منحه الإله شمش للملك حمورابي
 الذي ملك على بابل عام (٢١٠٠ ق.م). وفي هذا السفر قوانين وأحكام عديدة تشهد على
 درجة عالية من التطور في هذا العصر القديم. وذلك سواء بين الفقرات المتشابهة
 تشابهاً كاملاً لفقرات سفر العهد أو بين الفقرات المختلفة عنها والتي تظهر بوضوح أن
 هذه القوانين والأحكام كانت معروفة للمشرعين في بني إسرائيل وترجم شميل بنفسه
 هذه القوانين إلى الفرنسية وأذاعها على الملأ وكان الباحث العبري "دافيد هينرش
 سولر" أول من ترجمها للعبرية وطابق قوانين حمورابي بقوانين سفر العهد ، كل قانون
 مقابل قانون. وقد أحصى يوهانس برعمياس أربعة وعشرين حكماً في سفر قوانين
 حمورابي التي تلزم الاعتراف بوجود علاقة قوية قائمة بين الرئي القانونية في بابل وبين
 تلك الموجودة في سفر العهد (قوانين العبودية والأسرة، ظلم الإنسان وسرقة البقر،
 الثور الناطح، والسرقه في السر، أحكام الويعة وأحكام سرقته. أحكام المضاجعة
 واحترام الأب) . ونشأت أيضاً تشابهات في صورة القوانين والصياغة، وتشابهات في
 بعض الأقوال التي تنسخ هذه وتلك .

وبلا شك اكتشف مع هذه القرابة الاختلاف العميق بينهما ولم تميز الحياة
 الاقتصادية والسياسية والطقوس بين هذين السفريين القانونيين المتطابقين فحسب، بل
 تختلف أيضاً رؤاهما الأساسية والروح السائدة فيهما، فالعقوبات في سفر حمورابي
 قاسية للغاية، مقابل العقوبات في التوراة، أما حماية الضعيف والفقير في التوراة
 فتفوق كثيراً في تماسكها وتفصيلها قوانين حمورابي، كما أن قوانين حمورابي لا
 تعرف مطلقاً حب الصديق وحماية الأجنبي، والاختلاف الجوهرى بينهما هو أن نقض
 القانون لا يعتبر في قوانين حمورابي إثماً تجاه الإله وحققاً فإن الإله شمش هو الذي
 منح القوانين لحمورابي، كما أن يهوه هو الذي منح ألواح العهد لموسى، غير أنه أعطى
 واختفى، فلم يخطئ عنده شخص لإلهه إن لم يقم النص المكتوب، والإله لا يعتبر ذلك
 شراً، فالديانة تستخدم خلفية وأساساً لكل أقوال القوانين في سفر العهد، وهذا ليس
 مقحماً في مخطوطة قوانين حمورابي وأحكامها ، وليس مزوداً بها ، غير أنه مع كل هذه
 الاختلافات العميقة - اختلاف الزمن واختلاف الثقافة واختلاف السمات القومية - فإن
 قضية القرابة الأساسية التي بينهما هي قرابة مادة وشكل لا تحتل أي شك، وواضحة
 للجميع، وطالما أنه اتضح أن مجموعة القوانين المدونة مركبة ومفصلة بالفعل في الواقع

حوالي (٢٠٠٠) ، وأن هذه الميولات كانت أمام المشرع في بني إسرائيل ، فقد انهار
الرأي الذي أخرج الوثائق الأولى للأدب العبري إلى القرن الثامن ق.م

٩ - المزامير

وقد قام "ياسترو وتسيميرن" بتحقيق المؤلفات الأدبية وتنقيتها في الكتابات
المسمارية ونظروا في ترانيم المزامير ، والتضرعات وأناشيد التسابيح المجموعة في
داخلها ، فقد كان هدف باحثي العهد القديم أن يجدوا في لغتها وأسلوبها - وتتابع
هدفها وصورها - مجموعة غنائية مطابقة للعديد من مزامير سفر المزامير في العهد
القديم ، على الرغم من أن هذه سابقة على تلك بمئات بل آلاف السنين.

وبما أن الحاجز الذي كان يفصل بين علم العهد القديم وعلم بابل قد سقط ، وبدأ
بينهما التأثير المتبادل ، لم يكتف الباحثون بتحديد المطابقات فحسب بل تغلغل هؤلاء
الباحثون مزودين بوسائل البحث عن الألوهية والطقوس وما شابه ذلك إلى داخل
الكتابات المسمارية وأعماق الماضي ، وتسابقوا في أن يجدوا أيضاً داخل بابل القديمة
عالمها الروحاني ، ودعست محاولاتهم الكبيرة أيضاً هذه المرة ، فقد نسجوا قناعاً كاملاً
لرؤية العالم القديم عن طريق ترتيبهم واحدة بواحدة ورماً برمز ، وتظهر هذه الرؤية
العالم ومصير الشعوب ورجاله ، وما هو قد خلق على صورة السماء فتحققت الآلهة
في جند السماء ، وبرزت إرادتهم في ترتيب السماء ، ونظم الأحداث ، فترمز الكواكب في
سبلها لطرق العالم ، وعالمنا في مجموعة عالم صغير داخل العالم الكبير ، كما أن كل
فرد من البشر على الأرض عالم صغير قائم بذاته ، ومصيره في السماء العليا ، فقط ،
يمكن بحث تاريخ الشعوب ومصير العالم على أساس بحث خطة السماء ، فالنقويم
وترتيب العصور تلك علامات السماء وأعدادها ، تلك هي لغة الآلهة ، فالأعداد التي على
أساسها يقسم الزمن هي الأسس المقدسة ، والقوة والمفتاح فيها لكشف القامض .
ولأنها ترمز إلى النظام في العالم والتوافق في الأحداث الموافق للتناغم المساند في
النواثر العليا والتوراة هي العرية ، وجند السماء مفسروها ، والراؤون المنجمون هم
الحكماء عارفو الدين والمصير وفاهمو إرادة الآلهة والحكمة هي بحث إحصاء السنين ،
وخاصية السنين وترتيب الأعداد ، وعلى أساسها يصمت العالم ، لأن صورة العالم ليست
سوى صورة دقيقة لصورة السماء .

وعندما انتقل الباحثون لتوضيح تفاصيل هذه الرؤية وطرق تأثيرها على الشعوب

أدركوا أنها قد تغلغلَت تغلغلاً عميقاً داخل الثقافات الإنسانية وتأصلت فيها آلاف السنين ، وأن الشراكة البابلية غنية بالقيم ومتعددة الصور ، مفسرة على أساس تتابع التأليف المرتبطة بالعهد القديم ، ولغتها جميعها متضمنة في داخلها .

١٠- فينكلر

لم يكتف هوجو فينكلر مبتدع الأسلوب البابلي الشمولي في بحث العهد القديم بتلك القرابة للأعداد المقدسة وصور الأوامر بإحصاء الأزمنة وأسماء الشهور ، تلك القرابة التي توصل إليها بالفعل القدماء . ولم يكتف أيضاً بتلك المقابلات الثقافية والمؤلفات التي أحصيتها والموجودة داخل أدب الكتابات المسمارية ، وكذلك في العهد القديم ، بل خرج ليقرر أن كل الأساطير والروايات الموجودة في العهد القديم بداية من روايات الآباء وانتهاءً بانقسام الملكة بعد سليمان ، كل ذلك مؤسس على أساس الميثولوجيا البابلية ، وحتى الأحداث التاريخية للأبطال الذين عاشوا حقيقة نُعِمَت على إطار المؤلفات في روايات الخرافة البابلية التي أساسها في علم التنجيم القديم ، فأبراهيم من أور الكلدانيين هو ابن إله القمر ، وأساسه في الخرافة البابلية تموز أخى زوجته عشتروت . وكان سكته قرية أربع ، ويعد تملك داود في حبرون نسبه صاحب الأسطورة لهذا المكان ، ويعقوب أبو الأسباط الإسرائيلية في الشمال ، هو أيضاً ابن إله القمر في بيت إيل . وإبراهيم هو إله الاتجاهات الأربعة (قرية أربع) والأيام السبعة (سبعة) . ويعقوب أبو الاثنى عشر شهراً (الأبناء - الأسباط) ، فالأول يرمز للقمر بتسميته للشهر والأخير بتسميه لفصل السنة وأبناء يعقوب الاثنان وسبعون ولداً لخمس نساء (أيضاً تحسب زوجة يوسف عند الإحصاء لأنها أم سبطين) مثل عدد أيام السنة (٧٢ × ٥) وذلك على أساس إحصاء الفصول في الكتابات المسمارية .

ويرى أثر خرافة إله القمر في بابل على كل الروايات بشأن عشيرة يعقوب . اسم حماه لابان (قمر) ولبنة التي "عيناها لطيفة" ما هي إلا القمر في انبعاثها (لطف بليون لمعان) وراحيل "حسن الصفة" هي القمر في اكتماله ، وأعطت جارية لكل واحدة منهن ، إذن هي الفصول الأربعة للقمر ، التي متهن ولد الاثنا عشر ابناً - الشهور - فولدت لبنة ليعقوب ستة أبناء وبنت واحدة ، هذا يعنى إلهة السبعة أيام في بابل الذي أحدها (إله اليوم السادس) امرأة ، دينة هي المولود الأخير لبنة ، لأن اليوم السادس هو الأخير في الأسبوع ، وما هو ذا رأوبين يقابل إله اليوم الأول وفيما يتعلق بـ زحل

قيل: "لأنك صنعت على مضجع أبيك" (التكوين ٤٠: ٤٩) وهو ما يطابق
 الأسطورة من زحل وأبناء ليلة سبعة وعشرون (١٦-١٢: ٤٦) وهو ما يطابق عدد أيام
 الشهر البابلي الناقص (٢٧ يوماً ، وسبع ساعات وأربع وثلاثين دقيقة وخمس ثوان)
 أبناء زلفة سامرية ليلة أربعة عشر (التكوين ١٦: ٤٦ ، ٢٧) وأبناء بنيامين عشرة وأبناء
 بلهة خمسة وهما سوياً تسعة وعشرون ، وهو يطابق عدد أيام الشهر الكامل (تسع
 وعشرون يوماً ، واثنى عشرة ساعة وأربع وأربعين دقيقة) وبنيامين أصغر أخوته "بن
 أوني" هو الشهر الأخير من السنة. أما "ثلاث مائة فضة" التي أعطيت لبنيامين فهي
 الثلاثون يوماً لشهر شيلو ، وخمس حلل (التكوين ٢٢: ٤٥) هي الأيام الخمسة المحرمة
 فيه ، والمكاملة السنة على أساس التقويم البابلي ، ويوسف هو إله الشمس (لذلك يقال
 عنه: "وهياؤا الهدية إلى أن يجي يوسف عند الظهر" (التكوين ٢٤: ٤٣) وهو نفسه ابن
 يعقوب إله القمر ، وكما أن يعقوب اتخذ لنفسه بتات لابان (ابنه) نسوة من بلاد آرام ،
 أرض القمر ، كذلك هيبط يوسف إله الشمس إلى مصر ، أرض إله الشمس واتخذ لنفسه
 زوجة من بيت كاهن الشمس في سلطان هليوبوليس ، وليوسف ابنان ، هما نصف السنة
 (الصيف والخريف) ، ويعقوب هالب بيديه ، لأن في تقويمات الشرق انقسمت النظم
 بواحد من قسمي السنة بداية بالصيف أو الخريف ، كما أن تفسير الكلمة تشيرى في
 بابل (بداية) هذا يعني بداية السنة على الرغم من أن التقويم البابلي تبدأ السنة فيه
 بشهر نيسان . عيسو (أدوم) هو إله الربيع وهو صائد مثل تموز ويهوه إله موسى في
 حوريب هو إله البرق والرعد مثل حلية - هدد في الميثولوجيا الكنعانية ويقال عن
 موسى: "ولم تكل عينه ولا ذهب نضارته" (التثنية ٣٤: ٧) ، مثل تموز الذي يموت مثل
 حرارة اليوم في الصيف ويكوا سبعة أيام على يعقوب إله القمر ، لكن يقال عن موسى
 فيكي بنو إسرائيل موسى في عريات مزاب ثلاثين يوماً ، فكمات أيام بكاء منحة موسى
 (٨: ٢٤) وهكذا كانوا ييكون تموز ثلاثين يوماً ويسموا الشهر باسمه ، وميلاد موسى
 يشير لأسطورة سرجون ، والذي أيضاً عند ميلاده وضع وسط النهر في سقطة من
 البردي عطلى من الداخل والخارج ، والته أربعين سنة في الصحراء إشارة إلى تجوال
 جلجاميش في الصحراء ليجد الحياة لأجل صديقه الذي توفي ، ويسمع صداها أيضاً
 في تجوال إلياهو في الصحراء أربعين يوماً.

وهكذا يواصل ويحصى علامات خرافة المتجمن في الرواية عن يشوع (اشتراك

الشمس والقمر في حزيه، مثل اشتراك نور الفجر في حرب الجبارين ضد بابل ،
والأشجار حجرة التي أقامها على شاطئ الأردن هي مثل الأثني عشرة صورة
للحيوانات المقدسة القائمة على أساس أسطورة بابل على شاطئ مياه العالم في
السماء)؛ وفي الرواية عن جدعون (غراباً وذبياً أميرى مدين (القضاة ٧:٢) ، تطابق
موضوعات حكام شرقيين كثيرين؛ وأخرج جدعون ضد أهل سكوت سبعة وسبعين من
عظماؤها - (١٤٨) : وهو ما يطابق اثنين وسبعين يوماً ، خمس السنة في بابل بضم
الخمسنة أحماس نفسها، وكان لجدعون سبعون ابناً وهم سويلاً مع أبيمالك ويوثام
الذين أنقذا ، فإن ذلك مرة ثانية يمثل الاثنين وسبعين يوماً (الخماسية) ، وفي عمل
شاؤول (الرواية عن زيارته في عين نور عند العرافة الساحرة - صموئيل الأول ٢٨ ،
تقابل الرواية عن أوديسيوس الذي يسأل فيها تيريزيس الراشي ، وزيارة جلجاميش لهيكل
نرجل إلهة العالم السفلى من أجل إبعاد شر الموت، ويطلب مشورته ، والرواية عن موت
شاؤول منلوعة تفاصيل خرافية عن القمر ، فيحكى عن شاؤول أنه مات على سهمه ،
وقطع الفلسطينيون رأسه ، أيضاً إله القمر موصوف على أشكال طيرية ، بيت شان
وكيرسيا وغيرها مع سيف ورأس مقطوعة في قصة يونانان (قوسه إشارة إله
الشمس مثل السيف إله القم) - وفي الروايات عن حرب داود وجليات (جليات الضخم
يرمز للسنة سريعة الزوال وداود الصغير رمز للسنة وشبكة القدم ، والخمسنة أذرع
والشبر لجليات هي الخمسة أيام والربع المتبقية من الأثني عشر شهراً ذات الواحد
والثلاثين يوماً في نهاية السنة) وجليات العملاق يطابق أوريون سيء الحظ: سيف
جليات "مثل منوال النساج" يطابق عمود أوريون ، والحجارة الخمسة التي رماها داود
تطابق الخمسة أيام الكبيسة التي فيها ينتصر) .

وفي أسطورة آمنون وثامار (ثامار - عشتورتي خيابة الخبز (العجين) نصفها
شابة ونصفها امرأة أخصها - أرض الصيف والخريف: وآمنون - تموز - نصفه شاب
ونصفه زوج وأخ في نفس الوقت، بالمطابقة لشمس الصيف والخريف)؛ وفي أوصاف
(صفات) داود (اسمه منبثق من بود ، ألوهية التموز ، وهو أشقر مثل مزج ، خصلات
شعره ترمز إلى قرون الشمس ، ومثله يرمز أيضاً أبشالوم في شعره ليطل الشمس)؛
وفي صفات سليمان (يرمز إلى الشمس الغائبة في نصف السنة الثاني، صورته في
بابل - نبو ، إله الخريف، من هنا حكمة سليمان لأن نبو إله الحكمة والكتاب) .

والأمر باختصار ليس فقط التفاصيل تطابق روايات الخرافة البابلية بل بمثابة أساس لكل روايات الأسفار التاريخية في العهد القديم الموجهة بأسلوب محدد وثابت ، هو أسلوب علم التنجيم البابلي المرتب نظام العالم وطرق الأحداث على أساس قوانين خطة السماء ، وترى فيه فقط علامات وتعبيرات للأحداث السماوية.

١١- يرمياس

ولأن فينكلر وتلميذه يرمياس - الذي لم يعتمد عن أسلوب أستاذه - لم ينكروا وجود جوهر حقيقي لأحداث الأسفار التاريخية في العهد القديم ، وكشفا القناع الذي على أساسه حاكي العبري القديم علم التنجيم البابلي ، ووضعها في نطاق الفلسفة التي توضح الأحداث وتتضمنها وسط رؤية العالم المقبولة له من الثقافة البابلية ، فقد ذهب يسنن إلى أبعد من ذلك ، ففي كتابه "أسطورة جلجامش في الأدب العالمي" رأى أن كل روايات العهد القديم ليست سوى نسخ مختلفة ومتغيرة لأساطير الملحة البابلية ، وأن كل أبطال التاريخ العبري القديم لم يوجدوا ولم يخلقوا ، بل هم نتاج الميثولوجيا وهم أبطالها بأساليب مختلفة ، حيث تختلف هذه عن تلك على أساس السبب والمكان.

١٢- دليتشسش

إلى هذا الحد وصل الاتجاه البابلي الشعبي في نقد العهد القديم ، فقد اتجه إلى البحث في الكتابات السحرية دعماً وتوضيحاً للكتابات المقدسة ، وندعش لكثرة وجوه التشابه إلى حد التطابق الكامل وأدى إلى فقدان الإحساس بقوة الكتابات المقدسة ، وأصابته هذه التداعيات الفكرية الجديدة الباحثين الجدد بالانبهار ، وأثرت سلباً على الوضع المميز للكتابات الأدبية لجماعة بني إسرائيل وإحياء الرغبة القديمة لدى بعض النواثر في نسبة قيمة العهد القديم إلى شعوب أخرى خارج جماعة بني إسرائيل ، بل ربما خارج الساميين الأمر الذي شجع أيضاً على الابتعاد عن مجالات العالم العلمية وطرح الأسئلة حول العلاقة التاريخية بين العهد القديم وبابل والتي تحولت بسرعة إلى قضية بين هاتين الثقافتين.

وقد تحول فريدريك دليتشسش في خطبه العلنية إلى طرح قضية "من أقدم من؟" إلى قضية "من انتصر على من؟" وقد كانت الإجابة طبقاً لفهم الساميين أصحاب التأثير في العالم النصراني وغير المتحمسين لإسرائيل ، فقد وجد دليتشسش في قوانين

حمورابي درجة أخلاقية متسامية أكثر من تلك الموجودة في سفر العهد ، وفي رأيه تفوق قصائد المزامير البابلية قصائد مزامير العهد القديم ، وأنبياء يهوذا هم عنده أنبياء العزلة والاستعلاء الذين ماتوا حقداً على الشعوب الأجنبية وبذلك حطوا من قدر القوة الأخلاقية في إرث بابل، كما أن بابل كانت مصدر فكرة وحدة العالم والأخلاق العالمية ، حتى إن أصل الاسم يهوذا من هناك ، وكانت هذه إحدى السقطات الكبيرة لبحث العهد القديم الرافض للمنهج العلمي .

١٣- بنو إسرائيل بين شعوب الشرق

ومع ذلك استمرت مسيرة البحث ، ولم تتأثر بهذا الحدث العارض في تاريخه ، وقد أفاد الجدل الشديد الذي نشأ بمناسبة كشف الاتجاه البابلي الشمولي في الوقوف على أهمية الثقافة العبرية وأدبها داخل ثقافة الشرق ، كما أفادت الاكتشافات البابلية سويًا مع الحفائر المصرية كثيراً في كشف العلاقة بين بني إسرائيل والشعوب التي عاشت بينها وقد كتب بينوتش ومارتي وسيلين أبحاثهم المختلفة عن تاريخ بني إسرائيل وديانة العهد القديم في ضوء ثقافة شعوب الشرق وكفوا عن رؤية عالم العهد القديم في شكل مستقل ومنفصل عن كل ما حوله ، وتم الكشف عن وجه الشرق القديم وانبعثت منه الأشعة المضيئة لتسير تاريخ بني إسرائيل في عصر العهد القديم ، الذي كان عادة متفاعلة وخلقة ، تتغذى على معطيات شعوب الشرق وتغذيها ،

القسم الثانى

النقد العلمى

الفصل الحادى عشر

الاتجاهات الحديثة



١ - تشعب المصادر

انحصرت مدرسة فلهاوزن في بحث أسفار العهد القديم والتعرف من خلالها على تسلسل أحداثه ، حيث لم تتوقف عند حدود التعرف على طبيعته فقط وكما ذكرنا فقد انتهى البحث بعد عدة أجيال على يد علماء نظرية تقسيم المصادر ، وعلاوة على هذا التقسيم للمصادر فقد أضافوا تشعب المصادر التي اعتبرت كاملة وتامة . وبدأ العلماء بقررون بصورة تدريجية أن كل مصدر من المصادر الأربعة الأساسية مركب من مصادر مختلفة ومن أجزاء مميزة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمصدرين اليهودي والألوهيمي ، اللذين هما طبقاً لرأى هذه المدرسة نتاج مؤلفات شعبية . ولأجل هذا تكثر فيهما القيم والأساليب ، والإشارات للكان والزمان ، وتنقصهما الوحدة الداخلية المميزة لكثير للمصدرين التثنوي والكهنوتي ، بدلاً من المصدر اليهودي الكامل بدأ الحديث عن اليهودي أ ، واليهوي ب ، واليهوي ج ، إلى آخره (واستخدمت كإشارات لطبقات مختلفة داخل هذا المصدر) وأيضاً بدلاً من المصدر الألوهيمي الكامل افترضوا الألوهيمي أ ، والألوهيمي ب ، والألوهيمي ج ، وغير ذلك . فنظرية المصادر تطورت مرة ثانية من جديد من نظرية وحدة المصدر إلى نظرية الأجزاء المنفصلة ، حيث اختفى هذا الاتجاه التقليدي وقلت قيمته العلمية.

٢ - زمن الحصاد

وقد وصل علم العهد القديم بذلك إلى جنى الثمار حيث قام جيل من العلماء بتلخيص النتائج وتحديد الغث من الثمين ، لتمهيد الطريق العلمي أمام الاتجاهات المعاصرة وجمع نتائج البحث العلمي لتستفيد منه الأجيال على مر العصور.

٣ - ألوان قوس قزح والعهد القديم

وحاول بوبل هويغت جمع نتائج نقد النقد بتوجيهه مع جماعة من الباحثين لإصدار العهد القديم وتحديد المصادر بالألوان المختلفة مستخدماً ألوان قوس قزح المتعددة ، حيث طبع كل مصدر من المصادر بلون والمصادر المنبثقة عن المصادر بلون آخر ليظهر للعين . أما ر . كيتل فقد جمع النقد النصي وتعديلات النصـوص التي تم التحقق منها والتعرف عليها ، وذلك في طبعته العلمية لنسخة العهد القديم .

٤ - تفسيرات نونك ومارتى ودرافىر

أما ففما فففلق فففانك الكفرفات وفوافر الوفافق الأءبفة والففة الموائفة للكتاباف المقدسة والمساءفة فف فهمفا؁ والفى اككشفاف فف بابل وأشور ومصر؁ ففقف قام بجمفففا ومعالفففا وترفففا ومقالفففا؁ كل من هـ؁ جفرسماف مع زمفلفه أ؁ أونفناء وهـ؁ وانكف؁ وأما ففانك علم العهد القفءفم الكافلة ففقف بجمفففا المفسرون البءء للعهد القفءفم؁ الففن اعففمءوا على أعمال فوفافك ومارفف؁ بالففة الألمانية؁ ودراففر؁؁ وفلوفر وبرفجر بالففة الإنفلفزفة؁

وقء ففاف الرفافسفر الرنفسفة لكل سفر من أسفار العهد القفءفم؁ وفم شرح كل ففص بواسطة مفسر من شفرخ الففء الفارففى؁ وجمففاف كل ففانك البءء الفى ففقفاف بواسطة العلم؁ وفم الفسلفم بها كقانون؁ وأصفب قانون الففطور الفارففى الكجر الأساسى لكل معلفى مءرسة فلهاوزن فى ففء العهد القفءفم ولكل الأعمال الفاففة لفناففهم ومءارسهم؁

ومع هءا الفطور العلمى والفكرى أصفب من السهل للبءء العلمى الففلف على ففءل ففءء المصافر الفف ساف ففء العهد القفءفم فى بءافة هءا القرن؁ وأءى إلى ففففر هءا الفف؁ وفقف رأفنا بالففل من فلال الأففلافاف بفف "الكتاباف المسمارف والمكتاباف المقدسة" الففصوراف الفففة الفى اسفمرف وفففاف فرفقاف ففءا للبءء؁ ففف فلال الموائفاف والمقارنات الفى ففاف بفف كتاباف بنى إسرائيل وففائف بففة شعوب الشرق اففصف أن ثقافة بنى إسرائيل لم ففبفف من وءفففا؁ بل سرفبفة ولفففففة بالففاة الففبففة والأففماعفة لشعوب الشرق؁ وففأففة بفرافهم؁ ومع ذلك فإنفا لم ففشفو بفوفرها؁ بل حافظاف على ففمفففا وقوففا؁ وفففا فففلق بأسلوب الففء الفف ساف فى الأءب العلمى على مسمارف القرن العفشرفف؁ والفف فوفف إلى البءء الفففسى والففمافى (علم الجمال) فى الأعمال الأءبفة ففقف أصفب على الفافء الفصول على المرفة اللوفرفة والففراف على البءء الففلولوفى؁ كما ففلفب أصفاف معرفة الحالة الفففسفة المباشرة للمؤلف والرفف المسفطرة علفه؁ وهءا ساعء أصفاف فى فطور هءف ففءل لففء أءب العهد القفءفم؁ كما فطور أصفاف بءء الوفافق الففبفة الفى كففاف بواسطة علماء المصرفات وعلماء الفراساف البابلفة؁ مفل القصاصف الففائف فى المزامفر وأشعار المففف؁ الفى كائف فى البءافة فففو لا فففة لها عنء الففاف؁ وففسبفف ففقف فى فففور فففة الكتاباف المقدسة؁

وقد ساعدت هذه الوثائق في تمييز صورة هذه المؤلفات وأساليبها وأنواعها. وبصورة تدريجية تجح نقاد العهد القديم في الكشف عن الوحدة الأدبية والتعرف عليها من بين غبار العصور كاملة وسليمة ، ودمجها في مادة واحدة.

٥ - جونكل وكتابه "تاريخ الأدب"

وبالنظر إلى عمل إيرينثيل ، والوقوف على أسلوبه ، ومعرفة ما تنبأ به هيردر ولم تصغ له أذن ، وما حاول أن يكمله د . كاسل ولم تستع قوة ، يمكن القول بأن البحث العلمي الحديث قد شق له طريقاً واضحاً ، وخطاً به جوتكل خطوة للأمام . فقد عرف من خلال تاريخ أدب شعوب الشرق أن الأدب لم يكن من بدايته مدوناً ، وقد ابتدأ الأدب بقصائد وأمثال ، وفرحة الانتصار ، وثناء الموتى ، ومؤلفات قصيرة ، وقواعد قانونية وطبية ، وصدى أحداث ورفقاء ، وأسطرابات الشعب . كل هذا تم إعلانه مشافهة عن طريق مغنين أو رواة جيلا بعد جيل وقد تعقب هذه الأمور داخل نصوص العهد القديم ، فوجدناها سواء في صورتها القديمة أو في شكل صدى يتم ترديده وكما هي مطمورة داخل المؤلفات الأدبية للأنبياء . فرأى لابان يرافق يعقوب وبناته "بالفرح والأغاني بالدف والعود" (التكوين ٣١: ٢٧) ووجد النبي يتفاخر لمقطوع صور التي جعلها قيثارة ، ورفنت لها "كأغنية الزانية" تخذى عود طوفى في المدينة ، أيتها الزانية المنسية ، أكثرى الغناء لكي تذكرى " (إشعيا ٢٢ : ١٥-١٦) وكذلك أبطال الخمر ، فمن بعد وليمة كانوا يغنون أغانيهم على كأس ملأته ، وفي سبعة أيام الشرب كان الغتيان يحاجون الغازهم (القضاة ١٤ : ١٢) وعند موت شخص يجتمع حوله الندابون والندابات ليواصلوا عليه النواح بالغناء ، وقامت دبورا بالغناء لدعوة الشعب للحرب (القضاة ٥ : ١٢) ، وعن طريق الأغنية هاجم الجيش أعداءه (الخروج ١٥ : ١٧ : العدد ١ : ٣٥ : ١-٣٦) ، وبالأغنية كان البطل يمنح صوته بحديثه لأعدائه بدلا منه (التكوين ٢٢ : ٤) . وقابلت بنات إسرائيل البطل بالأغنية عند عودته عتصراً من ساحة المعركة (الخروج ١٦ : ٢١) ، صموئيل الأول (٧ : ١٧) وبعض هذه الأغاني القديمة ، أو كلها قليل في كمه ، ذو تعبيرات محدودة ولا تزال باقية داخل العهد القديم ، وبهذا طعن في بداية أدب بني إسرائيل لأن أسباط بني إسرائيل القديمة توصلت للنهاية أثناء حفرهم بئراً في أرض صحراوية ، رفعوا صوتهم مغنين :

"اصعدى أيتها البئرا " : أجيئوا لها .

يثر حفرها رؤساء،

حفرها شرفاء الشعب .

بصولجان يعصيههم . (العدد ١٧: ١٨-١٨)

ويسبب أخذ تابوت العهد مع الجيش لكي يقف إلى جانب إسرائيل في خروجهم
لواجهة العدو، ابتهل الجيش:

قم ، يهوه ،

قليتيد أعدائك،

ويهرب مبهضوك من أمام . (العدد ١٠: ٢٥)

وعندما أعيد التابوت إلى الهيكل صرخ الشعب صرخة الفرح في مقابلته :

ارفعن ، أيتها الأرتاج ، رؤوسكن،

وارتفعن أيتها البوابات الذهبية،

فيدخل ملك المجد . (المزامير ٧: ٢)

وفي رؤية النبي في نبوة شعوب الأرض في سيرهم في نهاية الأيام للسجود
على جبل بيت يهوه، وما هو يسع أغنية العائدين مقتحمين أيضاً بأصواتهم:

هلم نصعد إلى جبل يهوه،

إلى بيت إله يعقوب . (إشعيا ٢: ٢؛ ميخا ٤: ٢) .

وقدّم الأساطير القديمة والمروثات التاريخية التي كانت منتشرة في بني
إسرائيل، مثل أقوال الأناشيد، والأقوال الماثورة للقضاة وتعاليم الكهنة، وأمثال
الشيوخ المراسخة في الأذهان، تلك هي الأساطير القديمة عن الخلق وجنة عدن وأبناء
الله الذين جاءوا لبثات البشر والطوفان وجيل الانقسام، تلك الأساطير القديمة قصيرة
وكل أسطورة قائمة بذاتها.

وبعد ذلك ترد الأساطير الطويلة والمرتكزة حول شخصيات (موسى، يشوع،
جدعون، عالي وصموئيل، داود وسليمان، إيلياهو والأنبياء)، وانصفت الشخصيات
نفسها بقوة عظمتها، والتفاصيل مشوشة، والمعجزات متزايدة، ومع ذلك استمرت
وتطورت عنها الرواية التاريخية.

أيضاً كانت أقوال يهوه ووصاياه لبني إسرائيل في حالتها القديمة أقوالاً عاثورة قصيرة وواضحة وحادة ومألوفة في أفواه الكهنة معلمي الشريعة (ربما حفظ منها ما ورد في الخروج ٣٤: ١٤-٢٦) وبعد ذلك ضمت للوصايا العشر (الخروج ٢٠، التثنية ٥) . وكذلك فإن قوانين سفر العهد القديمة في صورتها وقصرها (الخروج ٢١-٢٢) . وبعد ذلك تطورت عنها التعاليم حتى أظهرها رجال الأدب في القرن الثامن قبل الميلاد وأخرجوا الأدب من نطاقه الشعبي وبدأ الأنبياء خطباء فحسب ونقلوا أقوالهم أمام الشعب، وتنبأوا في البداية نبوءات قصيرة وقاطعة، ويمرور الزمن فقدت أجزاء هذه النبوءات وتطورت إلى مواعظ حتى ظهرت اللغائف والأسفار.

٦ - بحث الأجناس الأدبية

وقد انتهى جونكل من دراسة كل هذه الأجناس الأدبية، الشعرية (المثل ، أقوال النبوة، والأنشودة الغنائية) والنثرية (الخرافة، الأسطورة، الحكاية، والرواية التاريخية). ثم شرح هذه الأجناس واحداً واحداً حسب أنواعها، سواء القصائد الدينية (أغاني السخرية، أغاني الخمر، أغاني الحب، أغاني الزواج، أغاني النصر ، أغاني الملك) أو القصائد المقدسة "الدينية" (التمجيد والتسابيح، مراثي الجماعة، والمراثي الشخصية ، المزامير والتضرعات) ويتعمق فيها وفي عالمها الفريد في كل نوع وجنس. وجد الصور الثابتة لكل جنس من هذه الأجناس، وكذلك طرق تطورها من درجة إلى درجة.

وانتهت مدرسته من وضع قاعدة أن الأدب القديم والبدائي كان أكثر ارتباطاً بالأصل الثابت ، والأسلوب المألوف . وحذر جداً فيما يتعلق بتجديد صورته والحرية الأدبية وساعد تحديد هذه الأنماط كثيراً في تطور طرق نقد بحث العهد القديم وتطوير طرق جديدة للتمييز بين المؤلفات الأدبية المختلفة في العهد القديم واستخراج الصور منها .

وقد عمقت الكنوز الأدبية من الأساطير والتمجيدات التي قدمها علماء بابل ومصر أثناء تنقيباتهم المعرفة بأنماط الكتابات . ووجهت بحث التاريخ الأدبي لبني إسرائيل تجاه فهم تاريخ الأسلوب والصورة . وبدأ السؤال عن المؤلف وعصره بمثابة خطوة هامشية بسبب تركيز الأسئلة حول الجنس الأدبي والعصر الذي ينتمي إليه الأسلوب والبيئة الاجتماعية التي انتشرت فيها جنور هذه الكتابات.

٧- بوده وجيرسمان

لم يكنف زملاء جونكل وتلاميذه بتقسيم المادة إلى أجناسها فحسب، إنما انشغلوا أيضاً ببحث الأنواع الأدبية ذاتها، وقيل جونكل عالِم بوده قصائد الرثاء في العهد القديم وأساليب تطورها (من المراثية الجماعية إلى المراثية الفردية، ومنها أيضاً المراثية التهكمية على سقوط العدو) ويحث بعد ذلك قصائد الزواج في العهد القديم وفي كتابه عن تاريخ الأدب حاول الاستمرار في تخصيص كل هذه الأبحاث. كما أن جونكل نفسه بحث في أسلوب الأساطير في سفر التكوين، ووجد جيرسمان، في نشره الأساطير عن موسى ونهاية الأيام وتعبيراته الكاملة، اتجاهًا أدبيًا جماليًا عبر عنه في إصداره الجديد لأجزاء الكتابات المقدسة: "مختارات وترجمات لثقفي العصر، وصدر ذلك بواسطة جيرسمان وأصحابه.

٨ - أدب شعب فلسطين في العصر الحاضر

وهكذا استحدث لنقد العهد القديم أساليب بحث جديدة لم تكن معروفة عند السابقين، وهذه الطرق الجديدة سويًا مع البحث عن المصادر المتعددة أتاح منابع جديدة منها منبع المؤلفات الشعبية في العصور القديمة جدًا، والتي لم تتوقف عن دفع مجالات البحث إلى التقدم والازدهار حتى الآن.

وفي الأونة الأخيرة كشف هذا الاتجاه للنقد الأدبي مجالاً جديداً، وهو أن فهم العهد القديم وإدراكه إنما يتم من خلال حياة أرض فلسطين وسلوك سكانها في هذا العصر.

فرغم آلاف السنين التي تفصل بين عصر العهد القديم وعصرنا، ورغم التغييرات العديدة والاضطرابات لم يحدث تغيير شديد بين زعماء سكان فلسطين. حتى تجمدت واستقرت بعض مظاهر الحياة، ومظاهر الابتكار وثبتت نتائج العصر النموذجي في بعض الطبقات في مظاهر عديدة. فبحث هذه الحياة وبخاصة بحث الأدب صار وثيقة جديدة لكل من أراد الوقوف على كشف السر النهائي لشكل مؤلفات العهد القديم.

٩ - دالمان وليتمان وكنعان

قام جوستاف دالمان، أحد أفضل باحثي فلسطين في عصرنا، بجمع القصائد

التي يرددنها البنو الرجل عبر النهر وبين الفلاحين سكان الريف في فلسطين :قصائد
دنيوية مثل : (القصائد التي تنشد في الحقل، وفي البيت، وفي الصحراء، وبالقرب من
المرعى، وعلى البئر ، وعلى النار المحترقة، وفي المقهى، وأغاني الميلاد، وأغاني الزواج،
وقصائد الرقص، وقصائد النهب ... الخ) ، والقصائد الدينية مثل (الحج ، ومرأى
الموتى، ومزامير التضرع ... الخ) . ويعدّه أصدر ليعمان مجموع الأساطير المقدولة
ويستبدو فلسطين والأغاني المنتشرة بين الفلاحين، وجميعه كنعان الأقوال الماثورة
وسخریات عرب الريف قبل أن تختفى منها علامات الأسلوب القديم. ونشرت مادة
وفيرة استخدّمها أولاً وقبل أي شيء باحثو الأشكال الأدبية في العهد القديم.
واستخدّموا على وجه الخصوص أغاني الزواج للعادة الموازية في نشيد الأناشيد
واضطروا إلى عقد مقارنات أسلوبية ليس فقط على مستوى المضمون بل أيضاً على
مستوى الشكل واللغة .

وهكذا استمر المجال واسعاً أمام علم العهد القديم ليستمد هذا المنبع الجديد
مادة لفهم أساليب الحياة، والحياة الاجتماعية لبنى إسرائيل في عصر العهد القديم.
وعلى الرغم من قدم هذا العلم فإنه كان لا يزال في مهده، وطوال العصور التي كان
فيها بحث العهد القديم إرث كهنة الدين وباحثيه غريب، لم يتم الانتباه سلباً للبحث
الاجتماعي . ولكن عندما فتحت كنوز شعوب الشرق اتسعت آفاق البحث، وألقي
الضوء أيضاً على حياة الأحداث الاقتصادية والاجتماعية .

١٠- بوهل

وبالفعل لقد تمت بعض الخطوات في هذا الاتجاه ، غير أنها بقيت متناثرة
وقليلة . وعلى عتبة هذا القرن الجديد كان فرانز بوهل يحاول كشف صورة الحياة
الاجتماعية لإسرائيل في عصر العهد القديم، كما أن مؤلفي الآثار القديمة المرتبطة
بالعهد القديم رفعوا هذا الموضوع إلى مستوى فرع علمي قائم بذاته.

١١- ماير

وهنا أن أسقط الحاجز بين بحث العهد القديم وبحث الشرق أعطيت الإمكانات
لدعم الباحثين في تفسير الأحداث، وبما أن المجالات قد اقتربت، بدأ الباحثون أيضاً
يتبادلون مهامهم، ويكملون كل واحد منهم الآخر . ويقدّر ما اكتشف باحثو العهد القديم
اقترباهم من نقد الكتابات المسمارية واتضح رؤيتهم لعالم البابليين، وطرق تطور

الدين في الشرق القديم ، بقدر ما اقترب مؤرخو الشرق القديم وياحثو النظم الاجتماعية القديمة من مجال حياة بني إسرائيل ، مزودين بوسائلهم البحثية وخبراتهم ، ومتجهين إلى التفاصيل الخاصة بتفسير حياة المنطقة ، وتركيب الطبقات الاجتماعية داخل جماعة بني إسرائيل . وعلاقات الطبقات ببعضها في الداخل وكذلك علاقاتها الخارجية . فكل من ادوارد ساير المؤرخ العالمي صاحب المنهج الشمولي في دراسة الشعوب القديمة في كتابه "بنو إسرائيل وأسباط جيرانهم" ويعدده ليمان - هويت أخرجاً تاريخ بني إسرائيل القديم كلية من زاوية المنعزلة ، وأدخله داخل القوى العديدة في الشرق القديم . فلم يكتفيا هم ومجموعة من الباحثين الذين انضموا إليهما - يبحث المقابلات الدينية والأدبية بين نتاج إسرائيل والثقافة الدينية لبقية شعوب الشرق فحسب ، إنما تأملوا جماعة بني إسرائيل بوصفها جزءاً جوهرياً من جماعة شعوب الشرق ، حيث تربطهم خيوط اقتصادية وسياسية كثيرة ، وأثرت عناصر مشتركة في تطورهم منذ بداية تكوينهم .

١٢ - كلاينرت وفيبير

فحص باول كلاينرت باهتمام المنبع الاجتماعي ، ومصدر الأهداف الاجتماعية لأنبياء إسرائيل ، أما ماكس فيبير فقد أفرد كتاباً خاصاً لليهودية القديمة . وذلك ضمن سجموع أبحاثه عن الاجتماع الديني ، حيث نظر إليها من خلال وجهة نظر التركيب الاقتصادي والاجتماعي لطائفة الفلاحين العبريين في العصور القديمة . ومن خلال الكتابات الفريدة المتناثرة في ثنايا روايات الأحداث في العهد القديم عن الجنود ورؤساء الجنود والمدن وأبطالها ، والشيخ ورؤساء بيت الآباء ، الرؤساء وبسطاء الناس ، المعدمين والمتعجرفين ، الفقراء والمبغوضين ، الأجانب والمقيم ، المرافقين والمواطنين ، الملك وعبيده ، الزهاد والأنبياء ، العهد والقسم ، فبرز له في ضوء أبحاثه الاجتماعية داخل كل الطوائف الدينية في التاريخ القديم ، صورة شاملة عن الحياة الداخلية وسبل تطورها المثيرة للابتكار العلمي ودفعتها تجاه انتصارات جديدة في بحث تاريخ الثقافة العبرية .

١٣ - نقد النقد

لقد غيرت جماعة المؤرخين المتخصصين في التاريخ القديم والباحثين في الحياة الاجتماعية والثقافية بحث العهد القديم مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الجماعة

أصبحت خبيرة بما فيه الكفاية في بحث العهد القديم، وإن لم تمتلك مطلقاً أرشيفات .
وقد كشفت عن أهمية فرعهم العلمي والنتائج التي توصل إليها نقد العهد القديم في
تطوره التاريخي، وخرجت مفتقرة لقانون التطور الجوهري الذي وضعه فلهاورن بمثابة
حجر الأساس لفهم الكتابات المقدسة سوياً مع تقسيم المصادر، وتحديد ترتيبها
وروحها، وفقاً لما رسمته هذه المدرسة .

وقد تطورت رؤية مدرسة فلهاورن عن تأخير زمن بداية حياة بني إسرائيل
بفضل نتائج بحث المصادر مع قواعد البحث التي كانت مأخوذة جميعها من موضوع
الأدب المبحوث ، وتجددت الرؤية كثيراً مع الوضوح الكبير الذي جاء من خارج نقد
العهد القديم والذي أضاع العصور القديمة وأزال الغموض حولها .

وما اعتبر سابقاً مجموعة منفصلة ومنعزلة تطور وتشابك داخل النسيج المتنوع
للثقافة العالمية ، وما رآه من قبل فراغاً ، امتلأ ضجة بحياة مجتمع ونتاج جماعة .



القسم الثالث

النقد عند اليهود في القرن التاسع عشر

الفصل الثاني عشر

علم الدراسات اليهودية في الغرب



١ - مندلسون ومدرسته

عندما تعمق علماء العالم في بحث أدب العهد القديم، أسسوا مجالات وكشفوا أسراراً. وتقدم الابتكار العلمي من انتصار إلى انتصار، وتحرر النتاج المدهش لبني إسرائيل من "انتقال الموروث" التي تكسبت عليه خلال عصور عديدة، وبنفس القوة واصل التقدم في هذا الجانب .

فرائينا في العصر الوسيط أكثر من مرة قوة الاستبطان لدى بني إسرائيل ولم تتوقف روحهم الثائرة من أن تمهد طرقاً جديدة في فهم العهد القديم ولا أكثر من مرة أثر ذلك أيضاً على بحث العهد القديم في الخارج ورأينا في عصر سيبينوزا ضوياً ينفذ، ويبرز من مخابئ التفاسير عند الإسرائيليين أيضاً طريقاً لباحثي العهد القديم في ذلك العصر . غير أن في عصره كان المنبع غامضاً بالفعل . وطريق النقد، لم يشوق ليصبح مألوفاً وسط كل أدب الماسورة، وداخل الأدب الجدلي وأدب المواعظ (الدراش) وعلم الباطن (السود)

كما توقف أيضاً تعليم بحث العهد القديم عن احتلال المكانة الرئيسية في المدارس التعليمية. وأفسح المجال للتلمود ، وسيطر التلمود بالإكراه أيضاً داخل المجالات التي خصصت للعهد القديم ، وسار الشعب بصورة عامة وتأمل في عصر العهد القديم من خلال زاوية التلمود والمدرش.

واستمر هذا الوضع إلى أن حدث التغيير الأساسي في الحياة الروحية بين اليهود على عتبة القرن التاسع عشر . فحتى بداية هذه الفترة الجديدة تغيرت القيم أيضاً في مجال العهد القديم . وقد بدأ ذلك في الغرب وبلغت أجنبية . فشق مندلسون لنفسه ولأرائه طريقاً بين اليهود بواسطة ترجمة جديدة للتوراة ، وعلى أساس من تفسيره لها . وكانت بداية عمله وعمل تلاميذه فصل طبقات المدرش والأسطورة وهو عمل تفوق على العمل في أسفار العهد القديم . وذلك بالعودة إلى ربي شموئيل بن منير وأبن عزرا وربي دافيد قمحي.

وتم التخطيط لعمل ترجمة ألمانية للتلاميذ ومعلمهم تكون حافظاً على الارتقاء بالذوق ، وأيضاً لنشر معرفة الألمانية بين اليهود . حتى لا يضلوا أنفسهم أكثر من ذلك . وقد صدرت فعلاً الترجمة والشرح بعد أن اشتهرت كتب أستروك وأيشهورن وبعد أن تجمع بالفعل حول أيشهورن جيل من الباحثين ، غير أن هؤلاء أثروا على الترجمة

والشرح تأثيراً ضئيلاً، فلم يذكر الربى موسى مندلسون أسترون مطلقاً، وذكر بالثناء "مدخل إلى التوراة" لأيشهورن، وسمح لنفسه أن يقتبس من عنده فقط الأقوال المتصلة بالاختلافات داخل التراجم، وكانت كل مادة البحث عن المصادر المختلفة للتوراة - التي ترسخت في ذلك العصر - لا تزال بعيدة عنه ومن أقوال موسى مندلسون: "من الآن ليس هناك شك بأن موسى ربيנו عليه السلام سمع كل الأقوال بإرادة الله مع كل التقدير للتشكيل والتنظيم المنسوب إليها سواء في قواعدها أو تعبيراتها، والتي لم يختلف منها أمر، وهكذا أعلنها ليسوع ويشوع للشيوع، وهكذا تسلسل هذا التقليد المتوارث جيلاً بعد جيل".

٢ - آباء علم اليهودية

وسار على مناهجة تلميذاه اللذان اشتركا معه في عمل التفسير وهما: الربى شلومو دوفنا (في تفسيره لسفر التكوين) ونفثالي هيرتس فيزل (في تفسيره لسفر اللاويين).

وإذا تجرأ مندلسون مرة وخرج في ترجمته ضد المفسرين المعترف بهم، أسرع تلميذاه، وبقيّة أعضاء التفسير في البحث عن دعم لأقوال الربى في أسفار المفسرين الآخرين، لتتقيد بها بتلك الوسيلة في نظر القراء. وإذا تشجع مرة شلومو دوفنا ويعدج عن المجالات التي حددها الربى واقترّب من الأسئلة التي أزعجت الباحثين آنذاك، تغلب على رغبته واكتفى بإعلان ملاحظة أنه لا تزال عنده أقوال (أنظر على سبيل المثال تفسيره لسفر التكوين ٦: ١٢ - فقرة الكنعاني آنذاك في الأرض "فيعتبس أقوال الرب شلومو بتسحاقي ومضيف، ولا تزال توجد لدى أقوال في هذا، وإذا أطل الله في العمر فسوف أفصل ذلك في موضع آخر).

وتجذب أقوال مندلسون عن صور الشعر العبري في العهد القديم وأنواع وزنه الشاء لنفسها، فممن ذلك الحين ساد في فكر العديد من باحثي العهد القديم اليهود الاعتراف بوجود وزن لقصائد العهد القديم، فقال عزريّا عن هادوصيم "يقول لي عقل، إنه يوجد بلا شك قواعد ونظم للأشعار المقدسة التي ذكرنا، غير أنها لا ترتبط بعدد الحركات، سواء في وحدة كاملة أو غير كاملة، مثل القصائد السائدة حالياً عندنا". وحاول أيضاً تحديد أشكال القصيدة في العهد القديم مثل "مقال ذو نمطين" يمينك

يهوه - معنزة بالقوة - يمينك يهوه - تحطم العدو' (الخروج ١٥-٦) أو ذو ثلاثة أنماط (انصتى أيتها السموات فأتكلم - ولتسمع الأرض أقوال فمى' (التثنية ١٠: ٣٢). وقرر) يجب علينا أن نشق في أن كل القصائد الموجودة في العهد القديم مثل أنشودة البحر، والبنر، وانصتوا، وقصيدة دبور، ومزامير داود وأسفار أيوب والأمثال والمزامير، تحترى جميعها على وزن ونظام .

ويدعم مندلسون هذه الملاحظات للرب عزريا ويضيف عليها أيضاً بركة يعقوب وموسى وأمثال بلعام ونشيد الأناشيد والمرثى، وإصحاحات مختلفة في أسفار الأنبياء. ويقسم أجزاء القصيدة على أساس أنوات القصيدة التي كانت منتهجة في عصر العهد القديم والتي غُيّت على أساسها، وينصت بتذوق هام للوزن الواقع فيها.

وكان مندلسون أول من كشف وحدد وزن المراثية، المسلم به حالياً في علم العهد القديم ('صياغة منظمة' للسطر ذي الثلاثة أنماط وللسطر ذي النمطين مثل 'قسقطت عذراء إسرائيل ولا تعود تقوم' (عاموس ٥: ٢) ، أو حسب تعبيره تحدث بإسهاب وندب باقتضاب') وكذلك وزن أغاني الحب وقصائد المزامير ، وربما كان من ثمار تأثيره أن تلميذه الوفي شلومو دوفنا طبع آنذاك كتابه عن العزف (أسلوب الإنشاد) في أسفار أيوب والأمثال والمزامير باسم صاحب مؤلف النظرية .

وأصبح العصر عصر هيردر ، غير أن جوهر القضايا المرتبط بتاريخ تشكل أدب العهد القديم نفسه ولم يتشجع بعد أدب الهسكالا في ذلك العصر للاقترب منها . وكان مندلسون يعرف بلا شك أن " المترجمين النصارى بما أنه ليس لديهم قبول لحكمائنا طيب ثراهم ... فهم يتعاملون مع أقوال التوراة مثل التعامل مع سور محطم .. يضيفون ويحذفون ويغيرون في تورا يهوه وليس فقط في التشكيل والبنر بل أحياناً في الحروف والاختصارات . وعلاوة على ذلك فإنه لم يشجب كلية هؤلاء العلماء " ، لأنه طبقاً لمنهجهم التوراة ليست سوى مصدر " لمعرفة الأحداث في العصور القديمة مثل سفر أخبار الأيام ، غير أنه إذا قبل ذلك علماء الشعوب وتلاميذهم ، فإنه ليس مقبولا لدى اليهود . " وهكذا تم تقرير مضير بحث العهد القديم في مدرسة مندلسون.

٣ - الإصلاح والعهد القديم

كانت العناية بالتفسير العرفى (البشاط) والارتقاء بالتذوق (البنر) تمثل الخطوات الأولى لحركة الهسكالا في مجال العهد القديم ، وعلى مجد شيوخ هذه

المدرسة نشأ جيل من الباحثين دعموا قوتهم بتأويل فروع العلم وطرق البحث المتبعة في عصرهم لتدل على قدم إسرائيل واضطراب ماضيها وألراء العبرية التي تصدرت ، صارت من أجل أحقية نشأتها وسيادتها التاريخية لتطبع أثرها أيضاً على القيم المسلم بها والمقدسة . وكان من الضروري لعلم اليهودية أن يوضح أنه قد شهد حدوث تغيير داخلي في اليهودية أكثر من مرة ، حتى بعد أن أقرت بمصادرها المعترف بها ، دون تجميد لروحها ، أو لروح إسرائيل في السبى .

وباسم هذه الفكرة حملت أفكار حركة الإصلاح في الغرب ، والتي كانت آنذاك مصدر علم اليهودية بتوجهه تجاه عصور ما بعد العهد القديم . وقد كانت بداية مهمة علم اليهودية في ألمانيا تشويه حياة أجيال السبى ، التي تبذر متجمدة وثابتة .

٤ - يوم طوف ليفمان تسونس

وفي عام (١٨١٨) نشر يوم طوف ليفمان تسونس ، زعيم هذه الحركة العلمية ورائدها مؤلفه الأول الذي وجه فيه انتباه الباحثين اليهود وغيرهم إلى هذه الشعبة البحثية حتى قيل أن يعرف اسمها ، وقد وضع في مؤلفه قواعد هذا العلم كما وضع الأساس لمصنيف عصور ما بعد العهد القديم ، وأطلق على مؤلفه اسم " قضية الأدب الرباني " وذلك بالتركيز على الربانيين وليس على اليهود جميعاً . وفي أحد مقالاته الأولى فسر موضوع : أدب العهد القديم " بأنه صيغ على أساس من الثقافة النصرانية ، ولذلك كثر الباحثون فيه ، أما الأدب المتأخر فهو إرث اليهود وحدهم . وفي عصره نسي ذلك في بني إسرائيل ومن من جيل ذلك الماضي ملزم بالاهتمام بهذا الإرث وبحثه .

وفي نفس الوقت جاهد تسونس في سبيل وضع نهاية لفكر دي - فته ، ووهب تسونس نفسه لهذه المهمة مديناً بالفضل لوجود منقذين للعهد القديم وبناءً على هذا اعتبر تسونس السماح ببحث العهد القديم بداية علم اليهودية . وتمسك تلاميذه بهذا الأمر . فنجد أنونارد جناس رائد الجمعية الأولى لعلم اليهودية التي تأسست (١٨٢١) ، في خطباته عن مهمة هذا العلم ، لا يدخل نقد العهد القديم في الحسبان . وكرس تسونس مؤلفاته لبحث أدب العصر الوسيط ، وعندما توجه بوست لكتابة تاريخ اليهود في كل العصور ، لم يكتشف شيئاً جديداً مطلقاً في عصر العهد القديم وصدرت

في السنوات (٣٧-١٨٣٨) ترجمة ألمانية كاملة للأربعة وعشرين سفرًا المقدسة تحت إشراف تسونس نفسه، وبصورة عامة اعتمدت هذه الترجمة على إرث مندلسون كما كانت مقيدة بالماسورا.

وقبل عام من إصدار الترجمة، أصدر هـ. إرنهيم تفسيراً باللغة الألمانية لسفر أيوب، ولم يسمح لنفسه بالابتعاد عن نص الماسورا. وقد كان إرنهيم أحد مساعدي تسونس الأساسيين في ترجمته. وقد كان من ضمن مساعدي تسونس الثاني وفيًا للماسورا، فأصدر ترجمة وتفسيراً لسفر المزامير قبل عام من إصدار ترجمة تسونس. وعرف تسونس بعد ذلك أنه لا يمكن اتباع كل نسخ الماسورا، ومع ذلك فقد اعتمد عليها وكذلك فعل مساعده الأساسيان في الترجمة. وقد أثنى عليه آباء العلوم اليهودية في ذلك الجيل.

لقد امتدح معظم مؤسسي البحث التاريخي بين اليهود البحث في العصور المتأخرة، وأما عصور العهد القديم فكان الاقتراب منها غير مرغوب فيه. ومع ذلك فقد امتدح بصورة غير مباشرة، باستثناء بعض موضوعات البحث وبخاصة قصة الخلق في العهد القديم، وأيضاً حياة الشعب وروحه في عصر العهد القديم، وأما الموضوعات التي انتشرت بشكل واسع فهي: تاريخ العهد القديم منذ تئبيتته. ومضمون هذا الأدب المقدس ومستقبله، والنسخ والتراجم وتفسيرها. وتم الاهتمام بالأسفار المتأخرة ذاتها مثل أسفار الكتابات وأخبار الأيام واستهل تسونس بحث هذه الأسفار في تأليفه الكبير: تاريخ المواعظ (الدارشانوت)، ودعامة نشاطها وقوة نتائجها. وحلل تحت مجهر النقد سفر المزامير، ووجد فيه العديد من المزامير التي وضعت زمن السبي البابلي، وبعضها وضع بعد العودة بوقت طويل وبعد توضيح مفصل وضع قاعدة وهي: أن الترتيب الأخير لسفر المزامير بدأ في عصر واحد مع تأليف سفر أخبار الأيام، ويحل بوضوح رائع مضمون سفر أخبار الأيام ويحدد ملامحه التي اعترف بمعظمها كقانون من قبل كل باحثي ذلك العصر.

وقد كان رأي تسونس أن هناك هدفاً دينياً محدداً للمؤلف الذي يرجع عصره إلى زمن الهيكل الثاني، ولهذا الهدف أخضع المادة التاريخية المتوافرة أمامه. وقد فحص المؤلف الماضي القديم من وجهة نظر عصره ودائرته دائرة الكهنة، ونسب للشخصيات النموذجية المعترف بها عند الشعب القيم والأفكار التي قدست في عصره.

وفى البداية لم تكن أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا سوى سفر واحد ، وكان غرضه أن يحكى للجيل كل تاريخ مملكة يهوذا ، وذلك فيما يتعلق بشأن الهيكل على رابيته ، وكرسى داود فى موضعه ، وذلك من وجهة النظر المعاصرة لحكومة الكهنة زمن الهيكل الثانى . ثم اكتشف أن هذا السفر وهو أول أسفار الدراش قد ألف فى عام ٢٦٠ ق.م. وعلى أساس من هذه الحقيقة أدخل السفر فيما بعد داخل الكتابات المقدسة ، وعلى أساس من وجهات نظر أخرى قرر تسوتس : أن العهد القديم قد تم قبل زمن دمار الهيكل الثانى بفترة قصيرة ، وبعد أن ترجم سفر ابن سيرا لليونانية . وقد تم الاعتراف برأى تسوتس عن سفرى أخبار الأيام بكل ما فيه من تجديد . وقد أقر به الربى نيمان كروكمل ، وأخذ كبناء أساسى لكل أسفار الكتابات من قبل أبراهام جايجر .

٥ - أبراهام جايجر

بدأ جايجر - بكتابه "النسخة الأصلية" - الذى يمثل أساس كل مؤلفاته - يبحث زمن الهيكل الثانى منذ العودة من بابل وحتى عصر الحشمونيين ، كما يربط التأثير الحاسم فى أدب ذلك العصر بأبناء صائوق ، عشيرة الكهنة ، فقد خرج من بينهم مؤلفو سفرى أخبار الأيام الذين رأوا أنه من الضرورى أن يؤلفوا لمعاصريهم من جديد كل ما حفظ فى الأدب التاريخى السابق عليهم . لكن بصياغتهم ، أى صياغة الكهنة ، الذين يرون فى الهيكل وعمل الكهنة مركز حياة جماعة بنى إسرائيل . وكان قلقهم الأساسى يكمن آنذاك فى محاربة النساء الأجنبية اللاتى استوطن وسط الجماعة وأثرن على روحها ، وقد وجد جايجر صدى لهذا الصراع فى العديد من التغييرات التى بدّلها مؤلفو سفرى أخبار الأيام عن روايات الأنبياء الأوائل . فها هو ذا يرد فى سفر الملوك الثانى (٢٢:١٢) لأن يوزاكار بن شمعنة ويهوذا زاباد بن شومير عبدي الملك يوش فثنا فثنة عليه ، وضرباه فمات . لكن نهض أصحاب أخبار الأيام وأضافوا : "وهذان هما القاتلان عليه زاباد بن شمعنة العمونية ويهوذا بادا بن شميرت المؤابية" (أخبار الأيام الثانى ٢٤:٢٦) فأرادوا التحذير من أن الشر داخل فلسطين مصدره من يتخذ زوجة من بنات الأمم الأجنبية . ويسرد صاحب سفرى الملوك ببساطة "وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون - مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات ... (الملوك الأولى ١١:١) " أما فى سفرى أخبار الأيام فقد

نهضوا وحذقوا كل هذه الأخبار من رواياتهم عن حياة سليمان، حتى لا يسخر أبناء من هذه الذرية الكبيرة، وكانت ابنة فرعون فقط هي التي كانت الأخبار بشأنها منتشرة بين الجماعة ولا يمكن سكوت البحث عنها، لذلك ذكروها بأسلوب عابر واستخدموها لهدف في تأليفهم: "وأما بنت فرعون فأصعدها سليمان من مدينة داود" (أخبار الأيام الثاني ١١: ٨)، وكما يبدو حتى لا تدنس المدينة المقدسة ببقائها فيها. وطبقاً لرأيه وتحت تأثير هذا الصراع كتبت أيضاً مجلة روث التي تناقش التمييز بين الأجنبية والأجنبية - بين روث وعرفة.

وتظهر علامات تأثير أبناء هذا العصر في بقية أسفار الكتابات وأيضاً في إصحاحات نبوة إشعيا الثاني وذكريا الثاني (من الإصحاح ١٢ وما بعده)، ويضع جايجر بأقوال واضحة وجريئة قاعدة: كل عصر، وكل حركة روحية، وكل شخصية، أقحمت داخل العهد القديم بواسطة، ومعبرة عن وجهة نظرهم. ومن هنا حدثت الإضافات والشروح وكشف المعنى بأسلوب الدراش والرمز... أما الوعي القومي والديني لكل عصر فقد اقترن كلية بهذه الثروة المقدسة، وعلى هذا الأساس أصبحت ملائمة له، فأبرزته داخلها وأنتجته بصورتها وعلى شكلها. "فكتاب جايجر بالكامل ليس سوى تفسير لهذا المضمون الكبير".

وقد تعقب جايجر الاختلافات بين الهالاخوت القديمة والهالاخوت المتأخرة، ووجدتها قبل أي شيء داخل التراجم اليونانية والآرامية حتى أن عزريا عن هانوميم خصص في كتابه قسماً خاصاً للترجمة السبعينية، وحاول على أساسها وصف الطابع الروحاني لليهودية في الأسكندرية، واهتم قبله تسونس بتاريخ الترجمات في كتابه "تاريخ المواعظ" (الدارشانونوت). كما اهتم شموئيل دافيد لوتساقو في مؤلفه (أخب الغريب) الذي ألف بالعبرية بصورة غنية بترجمة أونقلوس وكانت الترجمة السبعينية موضوع بحث زكريا فراينكل، واعتمد جايجر على هذه المقالات العلمية عندما بدأ عمله الكبير لتأسيس تاريخ الترجمات وعمل أكثر من ذلك، فقد أدرك أن في هذه الترجمات تظهر سمات العصر والتي بسببها كتبت كل ترجمة من الترجمات والتي حاولت أن تترك طبيعتها وطبيعة أسلوبها على أقوال التوراة، وتقف في بؤرة الحياة الدينية للأجيال المتأخرة - زمن الهيكل الثاني - حرب الغريسيين ضد الصدوقيين، وحاملي ماسورا الكهنة وحراس النسخ.

وبعد ثورة بركوخبا أهمل سبب النزاع ، واعترف بروي الفريسيين كقاعدة دون معارضة لها ، وبدأ الفريسيون تفسير (دراش) التوراة طبقاً لروحهم وحسب تقاليدهم (هالاخوت) . وعرف جايجر صدى هذه الثورة من خلال أقوال الترجمات ، وبغير عقيلاس اليوناني كلية طبقاً للتقاليد (الهالاخوت) الجديدة الجوهر القديم للترجمة السبعينية ، وفي نفس الوقت كان تنوتيون وفياً للترجمة السبعينية ومنفذاً لأقوالها .

وقد سادت نفس اختلافات وجهات النظر بين التراجم الآرامية الموازية لها ، أي بين أونقلوس ويوناثان وبين الترجوم الأورشليمي الذي ينسب ليوناثان وهو ليس له ، والذي يشمل طبقاً لرأي جايجر إشارات عديدة للتقاليد (الهالاخوت) الأولية . ويحلل جايجر من خلال وجهة النظر هذه أسفار الحشموتيين ، فيظهر الاتجاه "الصدوقي" في السفر الأول والفريسي في السفر الثاني .

غير أنه خصص معظم سفره للتغييرات التي طرأت داخل مادة العهد القديم ، بقصد أو بدون قصد . وكرر كل ما قيل قبله بشأن المقروء والمكتوب ، مقراً سوفريم وزخرفة الكتبة ، وما شابه ذلك ، تلك التي ذكرت في التلمود أو التي لم تذكر ، وأضاف أحياناً من عنده عن تغييرات الحرف وتغييرات التشكيل ، وكشف أمامنا أسلوباً كاملاً للتأثير المستمر والقائم بين وجهة نظر الجيل وبين تغييرات النص . فأخصى عدد كل التغييرات التي حدثت في العهد القديم لحفظ نقاء فكرة الألوهية ، وتلك التي حدثت من أجل حفظ مجد بني إسرائيل ، وتلك التي حدثت من أجل الرغبة والتمتع بالانغماس في الملذات . وباختصار ، فإن كل جيل من الأجيال في بني إسرائيل قد نظر في كتاباته المقدسة من وجهة نظره هو . ونقص علامات القراءة سويًا مع فقدان التشكيل سمحت بمساحة واسعة لكل جيل أن يظهر شروحا للتوراة تتفق وروحه . وعندما تكون هناك ضرورة خاصة لأمر ما فقد سمحوا لأنفسهم أن يضيفوا ويحذفوا ويوضحوا ويفصلوا ، ويعدلوا ويغيروا ، لأن كتاب الكتب مفعم بالحياة ، ويرتبط بروح كل جيل . وعندما زادت التعديلات والتحريفات ، وبالغ المصححون في عدم جمعها ، قام أصحاب الماسورا واصطلحوا على المضمون الوحيد والمميز وحددوا علامات (رموزاً) وأغلقوا الباب في وجه التحريفات .

ومع أن كتاب جايجر لم يقترب من تاريخ تكوين العهد القديم ، فإنه في أبحاثه عن تثبيت النصوص وعن أطوار الكتاب بعد التثبيت أفسح طريقاً للنقد العلمي . ومن

الأفضل إضافة أن كتابه لم يلق قبولاً حسناً في بيئته وفي النواثر القريبة منه، حتى أن المجلة الفصلية "كتاب شهري لتاريخ اليهودية وعلمها" التي تصدر في مدينة جايجر تجاهلت الكتاب. وكان ليوبولد ليف مناضل الإصلاح في المجر الوحيد الذي ذكر الكتاب بالثناء من بين اليهود.

٦ - ي . بريستد . و ي . ش . بلوخ

ومن أجل هذه المشكلة الخاصة ببحث قضية القانونية وجمع كل المادة التي تبرهن على قانونية العهد القديم وتفصيله، تفرغ لعلها في فترة واحدة اثنان من الباحثين اليهود الألمان هما : نيلوبس بريستد و ي . ش . بلوخ ، فالأول صاحب "تاريخ أدب العهد القديم والأدب الهلينستي" نشر في مجلة "الشرق" (أورينت) سلسلة مقالات جمعت بعد ذلك في مجموعة واحدة بعد عشرين سنة من صدورها لأول مرة ، وتضمنت ثروة عظيمة عن معرفة أسماء أسفار الكتابات المقدسة ومعرفة مؤلفيها وتقسيمها وترتيبها من خلال أدب التلمود والمدراسيم . ويحت الثاني هذه القضايا في فصلية "رمر" في سلسلة مقالات، جمعت بعد ذلك أيضاً في مختارات أدبية ، ويحت على وجه الخصوص في الأسباب التي أدت إلى الاعتراف بالقانونية ، ونقد أقوال البرايتا المعروفة في (بابا باترا ١٤ ص ٢) عن ترتيب الأسفار وكتابها ، ونفى عنها القبيحة التاريخية، ووضع خاصة مهمة رجال الكنيسة الكبرى في تاريخ تثيت العهد القديم.

ويلا شك فقد أثارت هذه الآراء في حينها غضباً كبيراً . وقد أصبحت هذه الآراء في نقد العهد القديم منبعاً متدفقاً للصراع الذي دار حول حركة الإصلاح الدينية . وبالتأكيد ، وقد اتحد هذا الفريق ضد أبحاث ونظريات علماء العهد القديم غير اليهود . غير أنه في الوقت الذي استسلم فيه الإصلاحيون ، حرصوا على نقد العهد القديم ، واتبعوا مناهج هذا العلم وقد لاحظ معارضوهم هذا فاتهمهم بأنهم بمثابة وسطاء للخطيئة وحاربوهم في سخط شديد .

غير أنه بسبب هذا الأسلوب التقليدي للبحث العبري في مجال النقد العلمي للعهد القديم ، لم يكتف مرة ثانية بمسألة البحث في إقرار العهد القديم فحسب أو في مسيرته منذ عصر الإقرار ، فقد انكشف عنه الستار وتجاوز قصة الخلق ، وعلى أية حال فقد نضجت العلوم اليهودية وبدأت تتحرر تدريجياً لتصبح أدوات خادمة للحركات الاجتماعية والدينية المختلفة.

ومع ذلك اختفى علم العهد القديم الشامل وخرج على أساليب تعدد الأجزاء والتكملات تلك الأساليب الغربية جداً للباحث العبري الذي يعيش على المصدر العبري للعهد القديم ويظهر على المسرح جرافه رويس ، وكذلك كيجون واستمرت الآراء في الظهور والتطور في أسلوب شامل مؤسس على قواعد التطور المتدرج ، وإنذاك اتسعت حدود نقد العهد القديم أيضاً وسط دوائر اليهود ، وشقت الآراء الخارجية طريقاً لها ، وبدأ الباحثون اليهود الخروج من انغلاقهم مزودين بأدوات بحث جديدة ، وفحصوا قضايا مؤلفات العهد القديم في ضوء الحرية الداخلية والموازنة العلمية.

٧- ح . شتيفنيل

وكان حاييم (هرمان) شتيفنيل أحد المؤثرين الأوائل في هذا الاتجاه . ف هذا الباحث اللغوي الحسن الروح والرفيق الإحساس ، تتبع جذور لغة البشر وسر تطورها ، ونشر في عام (١٨٦٧) في مجلته الشهرية " علم نفس الشعوب ويحث اللغة " بحثه عن أسطورة شمشون . وكان لا يزال مبتدئاً في مجال نقد العهد القديم ، قبل أن يتشجع ليهدم بعض القضايا المبهمة " . ولم ينشغل بقضية قبة أسفار العهد القديم كمصادر تاريخية ، أو زمن تأليف الأسفار المختلفة أو علاقة هذا بذاك . حيث كان لا يزال النقاش في هذه الموضوعات مستمرا ومتواصلا ، وفي محاضراته عن تطور أسطورة شمشون ، عالج المادة الميثولوجية المدمجة داخل أسفار الأنبياء والمزامير ، واستخرج من داخل النصوص " نظم - قبل جونكل ثلاثين سنة - كل ما يوجد داخلها عن رهب ، والصوت ، والتنين والحية القديمة ، وقارن الخرافة العبرية الموجودة في العهد القديم مع تلك الموجودة عند شعوب الشرق ، وميز بينها ووصف مضمون كل منها وصفاً دقيقاً ، وألقى الضوء على الأصول اليونانية لأساطير العهد القديم .

وصارت هذه الأحوال شائعة ، والزمن أصبح زمن بزوغ شمس إرنست رينان - هذا المؤرخ الفرنسي الذي كان يبدو وكأنه محايد - ولم يشبوا اسمه سرا لمؤسسي علم العهد القديم المسلم به ، فقد قام في كتابه " تاريخ شعب إسرائيل " بتحديد روح بني إسرائيل وتحديد الملامح المميزة للشخصية القومية لجنس بني إسرائيل ، تلك الجماعة الشرقية ، وبناءً على ذلك تغلغل في عمق التوحيد عندهم ، وقد وضع قاعدة وهي : أنه لا توجد أساطير في بني إسرائيل ، فحياة أبناء سام ذات الطبيعة الصحراوية المهجورة والمنفية مفتقرة للتنوع ، وعديمة الخيال ، لم تنجح في إنتاج أساطير قوية

ومتنوعة مثل بيئة الروح الهندية الجرمانية متعددة الآلهة . وبناءً على هذا فإن عقيدة بنى إسرائيل بوحدانية الألوهية هي من نتاج صفاء الصحراء ورتابتها .

وتظهر أقوال شتيتنيل بشأن أسطورة شمشون وكأنها تحتوي على افتراض رينان، الذي اعتبر بمثابة إهانة (أزدراء) لبني إسرائيل ، ولأجل ذلك تم تداول أقواله في بعض دوائر يهودية لا تعبر اهتماماً لمثل أقوال النقد هذه.

٨ - ! . جولدتسيهر

وبعد مرور حوالي عشر سنوات استجاب لرؤية شتيتنيل مساعد يضافيه ، هو أجنثس جولدتسيهر، وإذا كان الأول باحثاً نفسياً شاملاً ومسيطرًا على كتوز لغة وأدب الرومان واليونان ، فإن الثاني كان وفياً للشرق ومسيطرًا على كتوز لغة وديانة العرب وشعوب الشرق . وفي ضوء معارفه تلك ، فسر المادة الميثولوجية العبرية التي دمجت داخل قسم الآباء وروايات القضاة في تصوراتها التاريخية لعظماء جماعة بنى إسرائيل وأيضاً داخل شايا اللغة العبرية نفسها . وقد أسس كل تجديداته واكتشافاته على أسس نقد العهد القديم المنتهجة في عصره وأعلن جولدتسيهر في بداية كتابه " : وكأنساس لأبحاثي . استخدمت الأسس التي حددها جراف وأبدها كوين ، وحالياً يدين لهما كايذر ودوهم ، " وقد صدر الكتاب في وقت واحد مع كتاب قلهاوزن.

غير أنه قد مرت عشر سنوات بين مقال شتيتنيل الأول الذي منه بدأ النضال ضد رينان وبين ظهور كتاب جولدتسيهر الذي حدد فيه أسس الميثولوجيا في العهد القديم وكانت هذه السنوات العشر سنوات انتصار لنقد العهد القديم داخل مجالات العلوم اليهودية في الغرب .

٩ - ك. كوهلر

وفي عام (١٨٦٧) نشر ك. كوهلر مؤلفاً عن بركة يعقوب حاول فيه أن يمرر تحت مجهر النقد الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين، ويحدد على أساسه زمنه . ولأجل هذا راجع بإمعان تاريخ كل سبط من أسباط إسرائيل ، وقابل وضعه في عصور مختلفة بالسمات الشخصية التاريخية المجموعة في مواد هذه الأنشودة ، وحدد على أساس هذا النقد زمن تأليف أنشودة هذه البركة وأرجعها إلى بداية عصر القضاة في فلسطين.

١٠- أ. بيرنشتاين

ومرت أربع سنوات وظهر باحث يهودى آخر صاحب تصور شجاع ! فمهد سبيلاً جديدة لتفسير قصص الأساطير الخاصة بالآباء ، وهذا الباحث هو أهرن بيرنشتاين . من تلاميذ تسونس . الذى كتب وهو فى الثلاثين ترجمته وتفسيره لسفر نشيد الأنشيد ، وضم إليه تسونس مقدمته المشهورة المتضمنة فى وسطها باختصار شديد استعراضاً شاملاً لكل تاريخ تفاسير هذه المجلة ، وكان قد نشر آنذاك كتابه "مصدر الأساطير عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب" ، والتزم الباحث بنتائج النقد بشأن تقسيم المصادر ، فكان لا يبحث سوى المادة الأسطورية القديمة التى كانت أمام أصحاب المجموعات التاريخية، أى الألوهيمى واليهوى ، وما حكم هذه المادة القديمة، ومن أى المصادر أتت ، ومن أى الأجزاء ، وهل هو نفسه مركب ؟ وما هى علاقة هذه الأجزاء بتلك ؟ ، وتحرر من كل رأى سابق ماثوراً كان أو علمياً ، وغاص فى مخابى العهد القديم ليكشف مصدره وقصة تطور تلك الأساطير القديمة التى ضمت فيما بعد الأسطورة عن عشيرة الآباء ، كما هى أمامنا فى المصدرين البهوى والألوهيمى ، وظهر له من أبحاثه ، أنه فى البداية لم يكن هؤلاء الأبطال الثلاثة : إبراهيم وإسحاق ويعقوب - ثلاث جماعات فى سلسلة واحدة كما هى أمامنا ، ولم تكن أيضاً ثلاث صيغ لمادة روائية واحدة ، كما اعتقد آخرون ، بل إنها ثلاث مجموعات أسطورية مميزة ، وكل واحدة منها مرتبطة بمركز دينى وتاريخى آخر ، وأن كل واحد من هؤلاء الأبطال الثلاثة يستخدم كتاب لنفس المركز . وقد لاحظ أن الأساطير عن إسحاق - وهى طبقاً لرأيه الأكثر قديماً - كانت منتشرة فى بنو سبيع ، والأساطير عن إبراهيم كانت جنورها فى حبرون . والأساطير عن يعقوب أساسها فى بيت إيل وهؤلاء الثلاثة هم ثلاثة آباء لثلاثة أماكن مقدسة فى مناطق مختلفة فى فلسطين ، والذين لم يتصل أحدهما بالآخر مطلقاً .

وبعد ذلك ، عندما اقتربت الأسباط من بعضها وتناقست ضد بعضها البعض ، بدأت الأساطير تنتشر بينها ويقتبس كل سبط من الآخر ، وفقط بعد مرور مئات السنين تكون شعب كامل على تلال الأطلال الثقافية للسيط والمكان المقدس . واستمرت هذه الأساطير المقدسة واكتملت فيما بينها ، وتكيفت الواحدة مع الأخرى حتى صارت الثلاثة رواية واحدة ، وحتى صار أبطالها الرئيسيون حقيقيين داخل إطار واحد : الأب والابن والحفيد ، وحتى عصر يريعام - عندما كانت الحرب منتشرة بين يهودا وإسرائيل

- أدخلوا الآباء في الحرب، فمن خلال الأساطير عن إبراهيم الأب ليهوذا (حبرون) وعن يعقوب الأب لإسرائيل (بيت إيل) أدرك بيرنشتاين صدى متزايدا من هذه الفترة عن الانفصال والكراهية، ومع سقوط إفرام أخذت العلاقات بين يهوذا وإسرائيل تتقارب، ومع هذا تتحد وتكتمل الأساطير عن آباءهم، وبعد سبي السامرة وخراب بيت إيل، سببت إسرائيل من أرضها، ونسبت كراهية الأسباط من القلب، وضع أنبياء يهوذا في وسطهم موروثة مؤلفات كل أسباط إسرائيل، وصار إبراهيم وإسحاق ويعقوب آباء الجماعة بكاملها.

فأدب شعوب الشرق وأساطير بابل وأشور لم تكن قد عولجت قبل عصر بيرنشتاين ولم توجد أمامه مادة للمقارنة، وما قد فهمه لم يفهمه إلا من خلال النصوص المقدسة ذاتها ومن خلال أسفار الأنبياء الأوائل التي استخدمها كوسيط تاريخي لشرح المؤلفات الأسطورية في سفر التكوين، ومن أجل تدعيم وجهة نظره بكل تفاصيلها، وتوضيح كل دقائق الأساطير كان يبتعد أحيانا عن السير وراء خياله، غير أن جوهر كلامه فتح فصلاً جديداً في نقد العهد القديم في علم اليهودية.

١١- دافيد كاسل

وفي نفس الفترة بذلت المحاولة الأولى للتغلغل داخل تاريخ أدب العهد القديم رغبة في تفسير عظمته، ولكن ليس على أساس عصوره، بل على أساس الأنواع الأدبية. فقد ظهر دافيد كاسل ليكمل في كتابه عن تاريخ الأدب العبري التأمل في أسفار العهد القديم من خلال وجهة نظر جمالية وذلك بعد ظهور هيردر، فقسم كاسل أدب العهد القديم إلى أجناس شعرية ونبوية وقانونية وروائية، ويميز في الأدب الشعري بين القصائد الدينية والأشعار الدينية، وبين أشعار الطبيعة والقصائد القومية، وشيئاً فشيئاً نشر من داخل العهد القديم أشعار الزبيب وأشعار الحقل، وقصائد البحر وأشعار الغضب، وتتبع أنماط وصف العهد القديم لعالم الحيوانات والنباتات، ويفحص الأشعار القومية عالج من خلال العهد القديم أجزاء شعرية مرتبطة بحدث تاريخي (صفات كنعان، حدث بلعام، بركة كل من إسحاق ويعقوب وموسى، أنشودة البحر وأنشودة البحر، وأنشودة دبوراً ورتاء داود) وجمع قطعة مع أخرى مثل منسق اللؤلؤ وكشف لنا عن تاريخ شعري كامل لحياة بني إسرائيل، وبهذا الحماس ألقى الضوء على أسرار النبوة، وتعقق في الصورة الروحانية، وطرق سمات كل نبي من الأنبياء.

ومما لا شك فيه أنه لم يقبل دائماً أسس نتائج العلم في ذلك العصر بشأن تحديد زمن الأسفار .

وهكذا فإنه يتسبب على سبيل المثال الإصحاحات الأخيرة من سفر المزامير لزمن العودة من بابل، ويرى أن بعضها ثمار تأليف داود وسليمان وأن يوشع سابق على عاموس، غير أن أسلوب فحصه وحيوية نقده تركا أثراً جيداً، وجذب الانتباه إليه بين دوائر الباحثين اليهود في الغرب .

١٢- تسونس في نهاية حياته

غير أن تسونس نفسه قد تعمق في بحثه وكان مذهباً في نتائجه أكثر من الآخرين . ففي نهاية حياته توجه مرة ثانية لأدب العهد القديم، وتشجع هذه المرة في التوجه لتحقيق النقد العلمي لأسفار التوراة الخمسة، وقبل أن يرى الجماعة اليهودية ناضجة بما فيه الكفاية لتقبل بحرية ملائمة مثل هذه الأبحاث، وجد من الواجب عليه أن ينشر أبحاثه عن "نقد العهد القديم" في المجلات الخارجية، فنشرها في فصلية "الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية"، أما أبحاثه المتأخرة عن سفرى التكوين والخروج فلم ينشر مطلقاً، وعرفاً للجمهور من خلال مجموعة مقالاته التي نشرت بمناسبة الاحتفال ببلوغه الثمانين، ويظهر أمامنا تسونس في ثانيا رؤوس الأقلام هذه محنكا، وبها هو ذا قد تعمق ونشط في بحث العهد القديم، وهو كتلميذ وفي لندى - فته بدأ أبحاثه بتحليل نقدي لسفر التثنية، فقسم السفر إلى ثلاث وحدات (١-١١؛ ١٢-٢٦؛ ٢٩-٣٤)، حيث تميز بينهم أحداث متفرقة ومتأخرة ومختلطة في ثنائها، وألفت الوحدات الأولى والثانية - طبقاً لرأيه - قبل تعليق يهوياقيم، وهما سويا مع التوبيخ في الإصحاح (٢٨) يمثلان مضمون سفر العهد الذي وجد عام (٦٢٢ ق.م) كما هو مكتوب في سفر الملوك الثانى (٢:٢٣) . ويرؤى جديدة - لم تكن متوافرة لندى - فته - مؤسبة خصوصاً على بحث اللغة العبرية فحص التعابير والألفاظ، معززاً ذلك بسلطة معلمه، فدعم من جديد الرأى الذى عرف في عصر دى - فته كقاعدة، وهو أن سفر التثنية أقدم أسفار التوراة.

وقد أحصى ستين تعبيراً في بقية أسفار التوراة غريبة عن البيئة الدينية لسفر التثنية، وحدد أنها عرفت سويا مع هذا في سفر التثنية قبل أن يعرف في إسرائيل.

قدس الأقداس والكاهن الأكبر وعيد الكيوريم وعيد الاجتماع، ولا يوجد نفخ في البوق ولا البوقيل، ولم يقطع ولم يخصص أسلوب القرايين كما هو موجود في الإصحاحات الأخيرة من التوراة. وأقدم قسم في سفر التثنية هو "بركة موسى"، "وكما يبدو فإنه سابق لإشعيا، وتنسب لأقسام الشعر والأدب القديم الذي أدمج في التوراة" وأما المتأخرة في الأقسام فهي أنشودة "انصتوا" التي مصدرها زمن سبي بابل.

وفي كتابه "تاريخ المواعظ (الدارشانون) لاحظ تسونيس الزمن المتأخر لسفر حزقيال، غير أنه حلل أسلوب النبي ولغة واستنتج من خلال رؤاه وتعبيراته صورة شاملة عن حياة الطقوس ونظم الهيكل في عصره، وحدد على أساس ذلك أن مؤلف السفر عاش في الأعوام (٤٤٠-٤٠٠ ق.م)، وأن الأعمال التي يرويها حدثت قبل ذلك بزمان طويل، ولذلك فليس لأقواله أية قيمة كوثائق تاريخية.

لقد ساعدت النتائج المتزايدة والأساسية على فهم عالم العهد القديم وفيما يتعلق بنظريته عن توراة الكهنة فقد حدد - مثل كيويين الذي كتب قبله بسنوات قليلة - مثل فلهاوزن الذي ظهر بعده بسنوات قليلة - القرابة الدينية بين سفر اللاويين وسفر حزقيال حيث إنهما انعكاس بيئة واحدة سائدة فيهما، هي وجهة نظر الكهانة المتأخرة. وها هي القاعدة التي حددها "سفر اللاويين أحدث من سفر التثنية، وأكثر حداثة من سفر حزقيال. وكتب زمن الهيكل الثاني عندما كان موقف الكهنة قوياً، وأسلوب القرايين محدداً ومفصلاً، يعني حوالي ألف سنة بعد موت موسى".

وعلاوة على ذلك فقد دعم رأيه على أساس من رؤى جديدة لم تكن مستمدة فقط من تاريخ الطقوس، بل أيضاً من خلال الآراء التاريخية في السفر (لأن جميع هذه الرجاسات قد عملها أهل الأرض الذين قبلكم فتنجست الأرض، فلا تقذفكم الأرض بتنجيسكم إياها كما قذفت الشعوب قبلكم) (اللاويين ٢٧: ١٨) يعني أن هذه الأقوال قيلت بعد زمن طويل من ترك سكان الأرض القدياء، وعقاب الرجم بسبب خطيئة لعن الزب (١٦: ٢٤) متأخرة، وقضية التيس لعزازيل (١٠: ١٦) - يشهد فعلاً على تأثير الديانة الفارسية وغير ذلك.

وخصص فصلاً واحداً في ملاحظاته لمجلة أستير، نفى فيه عن هذه الرواية أي أساس تاريخي ويرهن أن عيد البوريم ليس سوى بقايا عيد سابق للاستيطان عند يهود فارس، وأن اليهودية القديمة لم تعرف هذا العيد مطلقاً.

وفي كتاب الاحتفال بيوبيله أضاف بعض رؤوس الأقسام عن تركيب سفر التكوين، وسفرى الخروج والعدد . فقسم سفر التكوين لمصدرين أحدهما يستخدم الاسم يهوه والآخر يستخدم الاسم ألوهيم ويشير بوضوح شديد إلى خاصية ومضمون كل واحد منهما و مضمونه ويوافق أقوال بيرنشتاين فيما يتعلق بالتناقضات بين يهوذا وإسرائيل التي يسمع صداها من خلال الأساطير عن الآباء . وبعد أن يوضح المادة التاريخية التي جمعت داخل السفر يحدد قاعدة : أن سفر التكوين قد ألف بعد مئات السنين من استيطان اليهود في فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط في إرث استيطانهم بزمان طويل، وأن مؤلف السفر لم يكن موجودا على كل حال قبل عصر إشعيا . أما بالنسبة لسفرى الخروج والعدد فيرى أنهما "معالجة لأساطير وأشعار قديمة" . ويصدر الحكم التالي : "إن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة في التوراة بين أنشودة موسى الموجودة في سفر الخروج وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد، هي في مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام وقواعد الكهنة . وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات، والازدواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة ، ومن الصعب علينا فهمها . وفي كل السفر كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما . كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر (منسوب إليه) ."

١٣- المحافظون والمصلحون : هوفمان وميبوم

ولم يتوجه شخص ما من بين اليهود في عصره لبحث العهد القديم بروح متحررة وإيمان بنتائج بحثه مثله، وقد كان الذين عبروا ودعموا نتائجهم بوضوح أقلية في عصره . ومنذ ذلك الحين حققت حدة تنكر العلماء اليهود في الغرب لأعمال النقد المتبعة في الخارج ونتائجها . ولم تقبل كل أقوال تسونس كقاعدة ، كما لم يتقبلها بمودة كل العلماء اليهود حتى هؤلاء الذين قدروا تسونس وأحبوه لم يقبلوها بمودة . كما كان هناك أيضاً أولئك الذين رفضوا معتزدين اجتماع اليوبيل الثمانين لأنه لم يناقش أقوال الجنيزا، واعتباراً من اليوم التالي بعد الاحتفال بيوبيل تسونس في كل جمعيات العلماء اليهود . وبعد الانتهاء من مدح الربى رأى داغيد هوفمان من الواجب عليه أن يدافع عن اللجنة التي أقامت الحدث، وأن يدافع عن طبع رؤوس هذه الأقسام . غير أنه لم يتمسك بواجب الالتزام باحترام الرب وبالسلك الجيد أمام حرية الابتكار .

وبما أن الأقوال قد صدرت - وصدرت هذه المرة من السيد - لم يكن ممكناً منع تسرب هذه الأقوال بعينها داخل صفوف العلماء اليهود ، واحتل بحث العهد القديم الحرم منذ ذلك الحين حق المواطنة داخل علم اليهودية في الغرب على الرغم من كل رافضيه.

١٤- جريئس بوصفه وسيطاً

نهض المؤرخ هـ. جريئس كوسيط بين المعسكرين ، معسكر الذين التزموا بالنقد العلمي ، ومعسكر الرافضين له ، فنشر في فصليته أبحاثه عن أسفار الجامعة وأستير ، ويوبيل ، ونشيد الأنشيد ، وحزقيال ، وعزرا ، والمزامير وإرميا والأمثال على التوالي . وجمع في أبحاثه المفصلة كل آراء الباحثين العلميين السابقين عليه ، ووضعها مع إصدار أحكام عليها ، وبمساعدة حسنة التاريخي وخبرته الكبيرة في نقد المصادر ، مهد لنفسه طريقاً للتأليف عن أسفار الأنبياء والكتابات ، فبدأ مقدمته لسفر المزامير بقوله " لم أكتب أبحاثي رغبة في تغيير آراء داخل النص المعترف به . " وقسم سفر إشعيا ستة أسفار ، كتبت في أزمنة مختلفة (عاش إشعيا الأول في عصر يوتام وأحاز ويحزقيا ، وكتبت الإصحاحات (٢٤-٢٧) في عصر يوشياهو ، وكتب الإصحاحات (٢٤-٣٥) مباشرة بعد الخراب وكتب الإصحاحات (١٣-١٤) بعد حزقيال بثلاثين سنة وبعد ذلك تأتي إصحاحات أنشودة إشعيا الثاني (٤٠-٦٦) ، وبعد ذلك كتبت فقط العبارات ١-١٠ من الإصحاح الحادي والعشرين) . وقسم سفر إرميا إلى أجزاء مختلفة . ووجد في سفر زكريا أقوال ثلاثة أنبياء ، أقوال النبي الأول تشمل الإصحاحات (١-٦) وعاش في عصر هوشع ، وتشمل أقوال الثاني الإصحاحات (٧-١٢) وكان في عصر يهوياقيم وصديقياهو وتشمل الإصحاحات (١٢-١٤) أقوال النبي الثالث باستثناء (١٢: ٧-١٩) الذي تنبأ بعد العودة من بابل ، ويخص في سفر هوشع نبين ، تمثل الإصحاحات (١-٣) أقوال الأول وتنبأ في عصر يريعام الثاني ، وأقوال الثاني متضمنة في (الإصحاحات ٤-١٤) وكان في عصر تجلات فلاسر وشلمناصر وكان آخر الأنبياء في مملكة إفرام وكان معاصراً لإشعيا ، ويحدد زمن النبي عوبديا بعد الخراب في زمن واحد مع مؤلف الإصحاحين (٣٤-٣٥) من سفر إشعيا .

وينسب أسفار الكتابات إلى زمن الهيكل الثاني ، وطبقاً لرايه فإن غالبية المزامير قيلت بعد العودة من بابل ، وبعضها في عصر الحشمونيين . وألف سفر دانيال زمن

سلطان المقدونيين - سويًا مع أسفار أخبار الأيام وعزرا وتحميا ، والتي كانت طبقًا لرأيه في البداية سفرًا واحدًا وينسب الإصحاحات الأولى والأخيرة من سفر الأمثال إلى ما بعد العودة ، وينسب لنفس الفترة المقدمة والخاتمة في سفر أيوب ، وينسب سفر الجامعة إلى عصر هيرونوس وروث إلى عصر الغزو اليوناني ، ونشيد الأناشيد إلى عصر المقدونيين ، أي خمسين سنة قبل حرب الحشمونيين.

غير أنه عندما توجه إلى تاريخ أسفار التوراة الخمسة ، تجرد على الفور من حرية النقد ، ولم يعر اعتباراً لإدراك أي تغيير أو أي غموض وقد كان مجبراً على الاعتراف بأن سفر التثنية وجد في عصر يوشيا ، غير أنه لم يؤلف في ذلك العصر بل نُشر فيه ، وكان فعلاً في النصوص القديمة ، ولم يكن سفر التثنية أول أسفار التوراة بل الأخير ، أما بقية أسفار التوراة بما في ذلك سفر اللاويين ، فينظر إليها من وجهة نظر "مؤلف متجاسس ، حيث توحد كل أجزائها علاقة فنية ومنطقية . "ويما أن هوشع وسبعا وإشعيا كانوا عارفين بوجود توراة موسى ، فيفهم من ذلك ، أن التوراة ألقت أو نشرت على لسانه قبلهم ، وهذا يعني في عصر أحاز ، وقد كانت التوراة كلها فعلاً في عصر حزقيا هو مصاغة لمصدر حياة الملكة ويغضب شديد دافع عن الماسورا بشأن وحدة التوراة ضد سلطان نقاد العهد القديم وواضعي المصادر بداية من ابن عزرا ونهاية يداني - فته ، وانضم إلى المدافعين من بين الياحثين الكاثوليك ، غير أنه تجاهل استفساراتهم عن تناقضها والاختلافات حولها.

١٥ - مساعدو جريثس

ويهذه الروح سار عمل النقد في الفصلية العلمية التي كانت تصندر بتخريب جريثس (في مقالات : يستروف ، ويدير ، وهوفين وتريتل ، وبرند ورمز) وسادت المدرسة الدينية للبرانيين في برسلو ، والتي كان يديرها جريثس ، وكان يعلم فيها روزين العهد القديم . بولك الحرب التي جاريها جريثس ضد نقاد التوراة دعمته ودعمت كتابه الضخم الذي لقي قبولاً أيضاً بين طائفة عريضة وجعلته كتاباً جماهيرياً بين اليهود ، ومع ذلك لم يعرقل تطور نقد العهد القديم بينهم . وكتب تونس رؤوس أقلامه المذكورة آنفاً في نفس السنة التي نشر فيها جريثس الجزء الثاني من كتابه التاريخي . كما أن أعمال جايجر وتلاميذه لم تفشل فشلاً ذريعاً ، وعندما نشرت كتب فلهاوزن ومدرسته ، وجدت أذنًا صاغية في معسكر الباحثين اليهود .

ومن مدرسة الرياين^١ التي أسسها هيلنزهيم في برلين رفع أ.برلين رئيس المدرسة راية الحرب ضد نقد العهد القديم ، ولتحقيق هذا الهدف الجري بدأ "معجم علم اليهودية " ، ونشر فيه دافيد هوفمان أبحاثاً ظهرت بعد سنوات عديدة عندما أعاد صياغتها وجمعها سوياً ، وهاجم في هذه المقالات بشدة متزايدة انتصارات النقد ، ووجه سهامه أساساً ضد الرأي الذي أسسه فلهاوزن بأن سفر حزقيال سابق لسفر اللاويين ، وقد حاول سوياً مع المحافظين في الكنائس والمعتدلين من الباحثين - دالمان ويردنكف وغيرهما - تقويض أسس النظرية التي تؤخر تورا الكهنة إلى عصر العودة من بابل ، وتحرف ترتيب الأسفار داخل التورا . ولم يكتف هوفمان بالتناقضات فحسب ، بل توجه لينشر تفسيراً جديداً للتورا ليثبت الطرق المتتوية ، ويعيد مجد الماسورا لوضعها السابق.

ومن ناحية ثانية تم الاعتراف بأقوال تسونس كقاعدة لها في "المدرسة الدينية لعلم اليهودية" التي أسسها جايجر في برلين ، ويظهر س .مايبويم رئيس المدرسة بمثابة تلميذ مخلص لفلهاوزن في كتبه عن النبوة ، وتطور الكهانة في إسرائيل ، لماقفى أثر فلهاوزن في ترتيب تاريخ العبادة عند بني إسرائيل ، ويرى نقطة الثورة في تركيز العبادة في عصر يوشياهو ، وسلطان الكهنة بعد عصر عزرا وهو مثل فلهاوزن يرى أن سفر التثنية ثمار الثورة الأولى ، وأن تورا الكهنة نتاج الثانية . ويصفته تلميذاً في مدرسة فلهاوزن وقف إلى جانبه ضد ناقديه . ثم يوضح للنقاد اليهود ، فيربط أقواله بجايجر وتسونس وحريه ضد جريش ، الذي يرى في نقد التورا مصدر ازدراء لها ، وتقليلاً لاحترامها ، وهو يعرف قطرة الفارئ العبري المهتم باحترام التورا ، فيوضح برجاجة عقل حسن لسامعي درسه أنه لا يمكن رؤية المحررين والمعدنين المتأخرين برؤية المزيقين عن عمد ، بل إن هذا قانون الروح الدينية لتوصيل قيم الماضي الإعجازي . ومثالياته لجيلاً وذاتها من خلال فهم كامل ومتجانس معا .

١١- م . لتسروس

وضع م . لتسروس مقالته عن إرميا على أساس أقوال م .مايبويم وعلى أساس مدرسة فلهاوزن التي حددت تطور بني إسرائيل ، وعلى أساس من الأبحاث العديدة والعميقة لـ : ح شنتنيل التي نشرها في فصليته "سيكلوجيا الشعوب ويحث اللغة " . وكذلك محاضراته أمام سامعيه لمدة ثلاثين سنة ، ويوضح لنا برؤية حذرة وكلام لطيف

خصائص الرواية في العهد القديم مثل : سحر الحزین في مجلة المراثی ، السامی في روايات الخلق، الرمزية في صور الطبيعة في سفر المزامير ، الشفقة المتزايدة في أقوال الأنبياء القدماء ، المראה والسخط في أقوال التوبيخ، الإيمان المتسامي في آداب التثنية. وفي سياق الماضرة يحلل أقسام سفر التثنية، ويحدد تركيب سفر دانيال، ويصف روح كل واحد من أشعار المراثی الخمسة، ويكشف عمق علاقة الأنبياء بالطبيعة والشكر، ولم يكن مؤسساً متميزاً لبحث العهد القديم فقط ، بل أيضاً مدافعاً مخلصاً عنه وحاملاً لرايته ، ويصفته خبيراً ماهراً فقد كان عارفاً بنفس القارئ والسامع اليهودي الذي يؤمن العهد القديم ويثق فيه ، لذلك كان يكشف في لغة صريحة عن حبه للتدفق للعهد القديم ، ويبالغ في الإطراء والمدح عن البركة المتزايدة الكامنة في روح بني إسرائيل في البحث العلمي في مؤلفاته النموذجية.

وهكذا تقدم نقد العهد القديم وساد الاستنباط العلمي في الدراسات اليهودية في الغرب ، تلك الثروة الروحية التي تجعلت باللغة الألمانية ، تقدمت وصارت إرثاً للعلوم اليهودية في بلاد ولغات أخرى ، وقد أقيمت في بعض المدارس الدينية اليهودية كراسي استاذية مخصصة للبحث النقدي للعهد القديم ، ومع تزايد مراكز التوراة في أمريكا بدأ نقد العهد القديم يحتل أيضاً مكاناً في الأدب اليهودي الذي يظهر هناك وبدأت الدوريات باللغات الفرنسية والروسية والإنجليزية المخصصة لعلم الدراسات اليهودية تفتح أبوابها أمام أبحاث نقد العهد القديم.

ولم تتوقف العلاقة القديمة بين علم النصوص ونقد العهد القديم ، والتي رأينا سلامتها في العصر الوسيط وينتس القدر الذي تطورت به الفيلولوجيا السامية ، وتشعبت مجالاتها وتعمقت مضامير بحثها ، تقدم وتزايد أيضاً التأثير المتبادل وبين نقد العهد القديم بين اليهود ، ومن أوائل المتحدثين عن بحث اللغات السامية وقواعدها في نهاية القرن التاسع عشر كل من : دافيد هينريش ميلر في فيينا ، ودانيل حفولسون في بطرسبرج ويعقوب بارت في برلين ، وقبلهم يوسف هليفي في باريس ، فقد حاولوا أن يدخلوا أسفار العهد القديم داخل دائرة أبحاثهم ، ويلقوا الضوء على أسرار النصوص المقدسة وبدأ أيضاً ن. ه. تورشيفر في بحث أصل اللغات السامية ، وواصل بعد ذلك أبحاثه في علم العهد القديم.

١٧- تعديل النص

تم الاعتراف عند اليهود بفرع واحد في نقد العهد القديم أكثر من بقية الفروع وذلك الفرع هو نقد النص. وللمرة الثانية تم تحديد رؤية جديدة للتخلص من المعسكر العلمى، وكان نص الماسورا معترفاً به بقوة عند العلماء اليهود منذ العصر الأندلسى وما بعده، وخصوصاً مع معرفة اللغة العبرية. ومع التخصص فى علم دراسة النصوص القديمة أصّر بعض العلماء اليهود على تعزيز هذا الفرع وتوسيع آفاقه، وبمثل هذه الملاحظات والتعديلات تملاً كل القضايا والمخاضات لعلم اليهودية بالغات المختلفة. وقد أكثر جريش من تعديل النص، وتغيير حروف واختصارات، وأنصاف عبارات أثناء تفسيراته لأسفار مختلفة من أسفار العهد القديم، ويحث الترجمات التى اجتهد فيها مؤلفوه علم اليهودية فى النصف الأول من هذا القرن وأصامت الطريق لغيرهم. يقرر جريش فى نهاية حياته أنه من الأفضل "جمع هذه التعديلات معا"، وأن تصدر تصورات تلك إلى حيز التنفيذ فى حياته، وواصل بعده ز. باكر إصدار كتاب التعديلات الذى يتضمن فى داخله ألفاظاً لأسفار التوراة الخمسة والأنبياء الأوائل وإشعيا وإرميا وحزقيال والاثنا عشر والمزامير والأمثال.

وبعد أن انتشر بين العلماء اليهود معرفة اللغات السامية والكتابات المسارية وأخرجت المخطوطات القديمة للعهد القديم من مخابئها، تزايدت الوسائل المساعدة لتحديد التعديلات، وحاول ف. بيرليس أن يرفع التعديلات إلى نظرية وتحريرها بقدر كاف من سخرية ناقديةا. ويتشجع فى تحديد الأسباب التى أدت إلى التحريفات (اختصار كلمات، دمج كلمات، استبدال حروف بما يشبهها فى الكتابة العبرية القديمة، استبدال حروف بأخرى تشبهها على أساس الصوت، أخطاء فى التشكيل، استعمال ألفاظ مهجورة فى النحو وغير ذلك). وعلى أساسها قرر تحديد القواعد العامة للتعديلات.

وكان هذا الفرع من النقد مقعماً بالحياة وبشراً فى التأثير المتبادل بين العلوم اليهودية فى الغرب وبين نقد العهد القديم فى الأدبيات العبرية الحديثة أكثر من بقية فروع نقد العهد القديم، فكانت تعديلات ش. ه. لوتساق، وى. ه. شوز، وكروكميل وريفمان واضحة للعيان أمام علماء العهد القديم فى الغرب.



القسم الثالث

النقد عند اليهود في القرن التاسع عشر

الفصل الثالث عشر

نقد العهد القديم في الأدبيات العبرية الحديثة



١ - أدب الهسكالا والعهد القديم

بعد أن حدث التقيير الأساسى فى الحياة الروحية لليهود فى نهاية القرن التاسع عشر، وكذلك فى الأدب العبرى الذى انبثق من نواثر العصر الوسيط، لم يحدث استعجال لتطوير تصورات مضادة لمواجهة نقد العهد القديم على أساس من الأبحاث والنتائج التى تم التوصل إليها.

ولم تأت الحقيقة العلمية الهامة من خارج حدود اليهود بل أيضاً من الاتجاهات التى سادت وسط العلماء اليهود فى الغرب ولذلك لم يستمر التنكر لمجالات البحث المكتوبة باللغة العبرية. وتزايد فى أدب تلك الفترة الإحساس بالتجاهل والتنكر للنقد العلمى لعلماء الأمم الأجنبية التى عاش بينها العلماء اليهود فى الغرب. وتزايد ذلك سبباً أضعاف : فقد زاد الصراع ضد هذا الولع بنقد العهد القديم لدى مصلحي الديانة من بين علماء اليهود فى الغرب. وقد تجرأ بعض الكتاب من النخبة الخاصة، ونجحوا فى أن يحذروا لأنفسهم أسلوباً خاصاً .

٢ - بن زئيف

وأول من جاء لتأسيس نقد العهد القديم داخل الأدبيات العبرية الحديثة كان هذه المرة أيضاً من علماء النحو. ومن الباحثين فى علم اللغة. كما كان الوضع فى العصر الوسيط. ففي عام (١٨١٠) نشر يهودا ليف بن زئيف كتابه "مقدمة فى التوراة المقدسة"، وكان الكتاب معداً على أساس خطط "المدخل" الألمانية التى كتبت فى عصره وقبله. وهى المقدمة الأولى، وكانت حتى فترة متأخرة القريدة أيضاً فى نوعها فى الأدب العبرى.

وكان بن زئيف تلميذاً وفيلاً لموشيه مندلسون. وقد تركت مؤلفات آيشهورن تأثيرات عديدة عليه. ومن المعروف أنه أدرك حجم المسافة بين الأدب العبرى وبين نقد العهد القديم فى أوروبا، وعلى هذا الأساس بدأ عمله بحذر شديد. فبدأ بالتخلص من "فكرة ما تجلبه ضرورة البحث فى هذا الموضوع من رأى يناقض رأى التلمود فى أقوال الأجداد"، ويأتى بـ : "براهين قوية من كل عظماء الجاؤون، لأن الميل لأقوال الهالاحا كان ممنوعاً. وكانت السلطة مخولة لأقوال الأجداد لمعالجة أى رأى يعارض أقوالهم". وأما فيما يتعلق بالكتابات المقدسة ذاتها فيوضح قائلاً : ها هوذا أمامك

الأربعة وعشرون سفرًا المقدسة، وهي من طبقات مختلفة، وعصور متباينة ومؤلفين مختلفين حيث تستوعب أسفار التوراة الخمسة ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن. وأيضاً تاريخ بنى إسرائيل منذ الهيوط إلى مصر حتى بداية الهيكل الثانى الذى تصل إليه أسفار الكتابات المقدسة واستمر أيضاً ألف سنة... ألم يكن من المناسب إذن تمييز كل سفر من الأسفار وإذا قرأت فإنك تميز.

ويقول عن أسلوبه فى النقد : "بحثت أولاً فى حقائق معلمينا، حكماء التلمود لأرى ما إذا كانت أقوالهم قد قصصت المفهوم الحرفى للنصوص (البشاط) وبدون تناقضات مع الحقيقة الواضحة. عندئذ نسكت بأقوالهم ولم أنحرف عنها. وحقاً إن لم أستطع أن أطابق أقوالهم... بسبب الغرائب العديدة... عندئذ أتوجه إلى علماء الأجيال من عارفى الأزمنة المشهورة فى العلم بشواهدهم الحقيقية العديدة". ثم يواصل ويعترف بما يتعلق بكل سفر من الأسفار "العصر الذى تنسب إليه موضوعات السفر، الذى عاش فيه النبى أو غيره، مما يحتويه مضمون السفر"، "وما موقف جماعة بنى إسرائيل" وإلى أى جنس من الأجناس الأدبية تنتسب موضوعات السفر؟ ومن كاتب السفر؟ وما شابه ذلك.

ويعرف الهالاخا قائلًا : لقد تحرر عظماء الجاؤونيم فى فهم "أقوال الأجداد برأى يخالف التلمود، غير أنهم لم يتشجعوا فى الواقع ليقطعوا ذلك. وعلى سبيل المثال فإنه يخصص فى سفر صموئيل تناقضات عديدة فى الروايات عن جليات وداود، وفى موضوع تملك داود، وعلاقات داود ويوناثان، التى لا يستطيع أن يشرحها. وينهى مقاله بقوله : "ورأيت لأحد العلماء من علماء النصارى المتعمقين فى البحث... يعلن اعتراضه بقوله : إن هذه الصعوبات والأمور الغريبة تعود إلى أن الموضوع من الفقرة الخامسة من الإصحاح (١٨) لسفر صموئيل الأول ليست نقلًا عن السفر، ومع هذا لم يتجامل ترتيب الرواية ويواصل الموضوع، ألم تكن هذه أقوال عالم ليس من بنى إسرائيل ولم تحفظه القابالا... غير أنه ليس مستوحا لنا".

ويقول على نحو مماثل عن إشعيا : "إن كان سفرًا واحدًا طبقًا لاسمه، فإنه طبقًا لموضوعه ينقسم انقسامًا ضروريًا إلى قسمين... مختلفين فى الزمن والموضوع والأسلوب اختلافًا كبيرًا، والجزء الأول من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الأربعين، والقسم الثانى من الإصحاح الأربعين حتى نهاية السفر". غير أنه لم يتشجع ليضع

قاعدة . وينهى كلامه بقوله : أتى العديد من العلماء بالتصور أن تلك النبوءات (من الإصحاح ٤٠ وما بعده) ليست لإشعيا النبي، بل من نبي آخر متأخر عنه بزمان كبير ... والأمر متروك لفطنة الإنسان، فيعتقد به الإنسان كما ينصور عقله : ألم تكن هذه أيضاً أقوال الربى موشيه مندلسون في التفسير يوما للتلميذ أن يخرج عن مجالاته؟.

ولم يخرج من مدرسة مندلسون مؤسسون للعلم في بني إسرائيل باللغة العبرية، كما لم يخرج منها مؤسسون باللغة الألمانية . فتلاميذ مندلسون أحدثوا تطورات ووجهوا الأنظار فحسب . أما بالنسبة لتأسيس العلم فقد تزعمه أبناء الجيل الثاني . وما كان لتسوتس بوجد ذلك ليأجبر في العلوم اليهودية باللغة الألمانية، كان لمعاصريهما شلومو يهودا رفوفورت و ي . ش . جاور ويعدهما شموئيل دافيد لوتساتو في العلوم اليهودية باللغة العبرية.

٣ - ش . ي . رفوفورت

خصص شلومو يهودا رفوفورت - مثل زملائه من مؤسسي العلوم اليهودية باللغة الألمانية - نظريته للأدب المتأخر . فالتاريخ الذي كتبه هو تاريخ لشخصيات العصر الوسيط، وتطور أبحاثه حول " المصطلح اللفظي " وحول قيم التلمود والمندراشيم، غير أنه اقترب إلى حد ما بأبحاثه من أقوال التوراة المكتوبة، وكشف عن رأيه : " على أسس النقد والبحث الجيد يربط الفقرات ، وتتابع الإصحاحات يمكن تعديل العديد من أقوال العهد القديم الموجودة أمامنا " . وعندما وصل إلى قضية تحليل المزمور (١١١) فيؤخر زمنه حتى "مرسوم أنطيوخوس" ، في الفترة التي بدأ ينتشر فيها روح حكمة ومظاهرها اليونان في آسيا الغربية ، لأنه مرت "منذ زمن منح التوراة حتى عصر (مؤلف هذا المزمور) .. تقريباً ١١٠٠ سنة وأكثر" .

وسمح لنفسه في بعض الأحيان أن يعدل فقرة أو يغير حروفا (على سبيل المثال: لأنى بعد أحسنه لأجل خلاص وجهه . يا إلهي نفس منحنية في) (المزامير ٤٢: ٦ب - ب-١٧) فيعدل : "يا إلهي نفس منحنية في" إلى "يا إلهي، نفسي منحنية في" . غير أنه كان متحفظاً في بحثه ويقدم عليه في رهبة . فحدد لنفسه من البداية قانوناً سمح لنفسه فيه بـ : "البحث في كتب الديانة، لكن بصورة لا تتخلى عن المسلم به والمنتشر في الأمة" . وعلاوة على ذلك فإنه في نهاية حياته يبدو وكأنه قد ندم على ضالة تلك الحرية التي سمح بها لبحثه في شبابه.

٤ - ي . ش . رجاءو

وكان ي.ش. رجاءو معاصراً لـ روفورت وقريباً منه في عالم العهد القديم ويحثه ولم يقصد في الواقع من ترجمته التوراة إلى الإيطالية سوى أن يسير في إثر مندلسون وأن يقدم ليهود إيطاليا ما قصد الربى موشيه مندلسون تقديمه ليهود ألمانيا من تفسيره وترجمته للتوراة ، غير أنه بنفس القدر الذي عالج فيه قضايا العهد القديم ، تطور وزاد اتجاهه النقدي وتركزت أبحاث البروفيسور هيتسيج الناقد الألماني للعهد القديم تأثيراً كبيراً عليه ، وإن اعترف في الواقع بأن بعض أقواله "تذهب أبعد من الحد المحدد لنا" ، لكنه يشكر لأنه يعلن عن صحة الناقد وأن "تفيد منشوراته بين إخواننا" ، ويسير هو نفسه في أثره ، ويعلن أقوال معلمه بشأن المزامير بتعديلاته وإضافاته أمام قراء "إستان السحر" ، وحاول أيضاً الإشارة إلى تحديد زمن تأليف سفر أيوب ، وقرره سورياً مع هذا السفر تحت صولجان النقد .

وكان ي.ش. رجاءو أول من أدرك في النقد الأدبي باللغة العبرية من خلال أقوال النصوص المقدسة ، أنه باستثناء الأشعار المتضمنة في الأسفار المقدسة لا تزال بعض القصائد الدنيوية موجودة في جماعتنا في زمن الهيكل الأول والهيكل الثاني ...والتي ذكر العديد منها في أسفار الأنبياء مثل أنشودة الزانية (إشعيا ١٥: ٢٢) ، أنشودة الخمر (٩: ٢٤) ، وأنشودة الغزل (حزقيال ٢٣: ٢٢) وغير ذلك ؛ ولم يتردد في إدخال تعديلات عديدة في نسخ النصوص المقدسة (حتى يوم سبى الأرض = حتى يوم سبى التابوت ، القضاة ١٨: ٢٠) ، لا تخبروا في جت لا تبكوا بكاءً = لا تخبروا في جت لا تبكوا في عكاء (مicha ١ : ١٠) وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة = قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة (إشعيا ١٧ : ١٢-١٣) هنا ازبواج والأول يزيد وما شابه ذلك) .

٥ - دافيد شموئيل لوتساتو

أما شموئيل دافيد لوتساتو فكان أول من ركز في بحثه على العهد القديم وفروع البحث المتشعبة عنه ، ورغم أنه كان معارضاً لنقد العهد القديم الأدبي في عصره معارضة مطلقة ، فتوجد عنده أقوال وتعبيرات نقدية ومع كل هذا ، فقد كان أحد المؤسسين الأساسيين والأوفياء في الأدب اليهودي . وكان شموئيل دافيد لوتساتو يؤمن إيماناً تاماً بتمام التوراة وقداستها المطلقة ، وكانت نفسه الكامنة عقائدياً تبتهج لسماعها ، مهما قسموا التوراة لأقسام ومصادر ، أو أخروا العصور أو غيروا الترتيب .

ومع ذلك فقد كان واحداً من القلائل الذين تغلغلوا داخل أغوار اللغة العبرية وكشف أسرارها ، وقد شعر من خلال فحص مميز بوجود خلل في النص وبعض التحريفات التي تسلك للنصوص المقدسة . كما كان له أيضاً ميزة خاصة هي أنه كان يتنبه من خلال جوانب النص المحرف إلى صورته الأولى ويقف عليها . ولأنه سمح بتعديل النصوص المقدسة فقد حوّر بقوة ، وقد حدثت عقيدته العميقة في قداسة النص من هذه الحرب وقد أسس شموئيل دافيد لوتسانو تعديلاته بدون خوف من أحد ، ويدون أن يهتم بتأييدها ، وقد تعمق في أسباب التحريفات و هكذا شكل مصدراً لنظرية النقد النصي على أساس من منهجه . هذه الانزواجية بين قوة العقيدة وقوة النقد التي ازدهجت داخل نفس شموئيل دافيد لوتسانو في تناغم واحد ، هي التي قللت من قيمته في تطور العلم نفسه ، غير أنه وسع أيضاً مجالات تأثيره في عصره ، وهياً لانتصار الأدب العبري أمام النقد .

وبدأ شموئيل دافيد لوتسانو تفسيره لأسفار التوراة مزوداً بكل أبعاد البحث في عصره ومتضلّعاً بكل بواطن أدب النقد حتى أنه سمح لنفسه في الفقرة الأولى من تفسيره أن يوضح لقارئيه أن قصة الخلق لا تفهم كحقيقة علمية ، وعلاوة على ذلك فإن التوراة لا تمثل كتاباً تعليمياً في تطور الطبيعة ، ويقول " يفهم المثقفون أن القصد في التوراة ليس نشر العلوم الطبيعية ، فالتوراة لم تعط إلا لتقويم البشر بأسلوب العدل والقانون ، وتؤسس في قلوبهم عقيدة التوحيد والعناية الإلهية .. وموضوع الخلق لم يسرد كلية ، ولم يكن متوقعاً أن يسرد في التوراة بأسلوب فلسفي " (التكوين ١: ١) .

ويوضح شموئيل دافيد لوتسانو بحذر شديد المادة التاريخية والأثرية المدمجة في أسفار التوراة ويطابقها بأقوال المصادر الأخرى الموازية لها . ويستخدم أقوال المؤرخين القدماء الآخرين (يوسف فليفيوس وهسيودوس (التكوين ٥: ٥) هيرودوت (التكوين ١٨: ٢٨) ، وغيرها كشواهد لذلك .

وفي أحيان كثيرة جداً كان يسير في إثر المحافظين من بين نقاد العهد القديم مثل ميخائيليس وهيردر ، جرتسيوس وكريكوس (انظر : التكوين ٢: ٤، ٨: ٢٣ ، ٣٦: ٣٦ ، ٤٠: ٢٦ ، ٢٤: ٢٨ وغير ذلك كثير) ، ويقتبس تفسيراتهم باسمهم ويذكر باسم الجن أن في أقوال الرواية عن "أبناء الله" و"قائمة الأجيال" حفظت بقايا ميثولوجيا قديمة ، وفي تفسيره للتكوين (٥) يقول " يرى أن بويال هو Apollo وبويال قاين يبدو أنه Vsumoclu ونعمى ربما هي Vsume واسمها يدل عليها ."

وعلى الرغم من أنه كان يعارض كلية نظريات أستروك والجن وأيشهورن فقد كان واثقاً أن كل أبحاثهم "ذهبت أدراج الرياح"، ومع كل هذا يرى أن من الواجب أن يخبر القارئ العبري بهم وعن نتائجهم، وأن يأتى أيضاً بأراء معارضيتهم (التكوين ٩:٢)، وفي هذا لم يسبقه أحد من بين اليهود.

وفي رأيه أن معرفة تقسيم المصادر، وحتى تقسيم المصادر في الأنبياء، أو تأخير مزامير في سفر المزامير، قد سمحت أيضاً بين اليهود وسببت ضغينة، وحرماً، ولكن لم تضلل الشخص. وأين الوقاحة أعظم من ذلك القول بأن أحداً من الغشاشين الموجودين في سبى بابل كذب من قلبه نبوة إشعيا عن قورش وقال "من أعلم بهذه منذ القديم؟" (إشعيا ٤٥: ٢٦). فتنبؤ تلك النبوءات وكأنها قبلت عدة أجيال قبل ذلك... لكن السخرية أنه ليس أفضل منها سوى سخرية سبينوزا، الذي يجعل من نفسه عبداً للرب، ومبجلاً وحبيباً، وقصد كلامه ليس سوى القول بأنه لا يوجد إله في العالم... وماذا يقال عن سخرية صاحب "الكرم" الذي يشبب لفارس التراتيل الدينية الربى شلومو جيبيرول الذي تشبه أفكاره أفكار سبينوزا وتلاميذه؟... وكيف أسكت وأكبت نفسى برؤيتي الثغرة مستمرة ومفسدة... وحالياً قام شخص من بنى إسرائيل لينشر أقوال سبينوزا وسط اليهود بلغة القابالا...، وكذلك لم يوقر أبشاً شرح ابن عزرا، وكذلك شروح النقاد العبريين في عصره.

وينفس الأسلوب الذي حارب فيه بجرأة ضد منكري صحة التوراة، يعارض أيضاً المقدسين للماسورا والمولين للحروف، فقد حفظ عن الربى إلياهو لويثا بأن أشكال القراءة متأخرة، ووضعها أصحاب الماسورا، ولذلك أدرك أنه يجب رؤية النصوص المقدسة كما لو أن ليس بها أدلة القراءة عطقاً، وأنه من سلطة الباحث، أن يضع أشكال قراءة أخرى مكان تلك التي انتهجت بواسطة أصحاب الماسورا.

وتعمق شموئيل دافيد لوتساتو في عمل أصحاب التشكيل، ووجد أن أسلوباً محدداً كان لدى أصحاب التشكيل عند وضعهم التشكيل، ولم ينبع هذا الأسلوب من علم اللغة وأقوال الماسورا المسلم بها لدى الشعب فحسب، بل أيضاً من الآراء الدينية والفلسفية لأصحاب التشكيل، ويعد أن وضع لنفسه هذا الاتجاه النفسى ليزيل الشكوك الدينية، على الصور المادية وما شابه ذلك، فقد وجد مرة ثانية وسائل دعم وفيرة للنقد ووسائل جديدة لتعديل النص.

وكما حدث مع ابن جناح الذي لم يترك مجالاً في قواعده الواردة في مقدمته لتعديل النصوص والقواعد، فقد حدث ذلك أيضاً لشموئيل دافيد لوتساتو ومرة ثانية عندما بدأ يفسر أى نص من النصوص المقدسة، لم يكن حريصاً على التعليمات التي قصدها أصحاب التشكيل. وأصحاب الماسورا، بل أدخل تعديلات في النصوص من خلال حس نقدي وروية تأملية. وقد حازت تلك التعديلات على الرضى (وغضبى في إبادتهم = وغضبى في انحراف يقيم) (إشعيا ٢٥: ١٠) بقوة ربحه = يعظم ربحه (١٥: ١١) ، ووجهاً من جهة الشمال = ووجهاً من داخل الشمال (إرميا ١٣: ١) ، مبارك مجد يهوه = بعظمة مجد يهوه (حزقيال ١٢: ٢) ، لأجل ندى صيباك = لأجل ندى صيبائك (٢١: ٢٢) ، أعدل من سياج الشوك = أعدلهم من سياج الشوك (ميشا ٤: ٧) ، وقضاؤك ثور خرج = وقضاء كثور خرج (٥: ٦) ، وفي الجامعة ٢١: ٢ ، الصعود بدلاً من "هل تصعد" ، وتنزل بدلاً من "هل تنزل" ، حيث وضع هاء الاستفهام بدلاً من هاء التعريف، وما يشبه ذلك)

وعندما توجه إليه الربى شلومو يهودا وقوفورت شيخ العلوم اليهودية باللغة العبرية، وفتح أمامه صدره بسؤاله: أعطيت لهم (علماء شعوب العالم) الحرية للدراسة والبحث طبقاً لأرائهم ، غير أننا بنى إسرائيل، ماذا نفعل بمثل هذه التفاسير أمام الأجنبي؟ أرشدنى إن استطعت ، والماسورا منتصبة كسور حديدى ضدنا ، فنهض شموييل دافيد لوتساتو بعظمة مكانته وأعلن بلقة واضحة وسليمة فأجيب (والإيهام أساعد) وأقول: إننا بنو إسرائيل إله الحقيقة إلها، الذى لم يأت أمامه كافر، وهو الذى يفحص القلوب والدمار، ولذلك فإن العمل غير الطاهر يمدوه من على لوح قلوبنا، وإن كان طاهراً، فنذيع عدلاً في جمهور كبير .. وبعد أن اتضح عندنا بمعجزات ليس لها حائل. لأن التشكيل والنبر لم تكن ولم تخلق حتى بعد إقرار التلمود ... فلماذا التراجع إلى الخلف برؤيتنا لمقرا منهم ؟ ... والماسورا تلك التى قلت إن وجودها كسور حديدى أمامنا، فما هى ؟ ومن داخل من خرجت ؟ ومتى كتبت ؟ ألم يكن معلوماً بلا شك أن أصحاب الماسورا قد قاموا بعد سنوات عديدة من أصحاب التشكيل " ... وماذا نفعل بإعلان تفاسير مثل تلك أمام الأجنبي ؟ " من المعروف لبني الاستقامة أن أسفارنا جففت خلال أجيال عديدة حفظاً مدهشاً قدر الإمكان ... لا شئ ... والبعد المطلق عن كل تشويه وظل بسيط بقوة الأجيال التى تبدلت على أسفارنا كانت مستحيلة . تلك الأقوال العلنية والشجاعة الخارجة من قلب خائف على قداسة التوراة،

وكاتب الأقوال من زعماء أوائل المتحدثين في هذا الجيل - وكم كانت الدهشة التي سلّمت بهذه الأقوال كترخيص علني للنقد وأقحمت عقول العديد من مثقفي العصر.

٦ - معدّل النص

ومنذ ذلك الحين صارت الأرض مهيأة بين اليهود لأجل تعديل النص ، فقد اعتنى بها علماء العصر الوسيط ورسخها لويتا ، وباضل من أجلها عزريا من هانوميم ، وقد تغلّغت صلة البحث للحرف في التوراة إلى داخل أدب الريانيين حتى أننا نقرأ في أسئلة وأجوبة الربى يتسحاق بن شيشيت عن الأسئلة التي طرحت عليه "عن تلك التي قالها الربى يشمعيل للرابي عقيبا هأنت تقرأ ، فكيف يمكن لعالم كبير مثل الربى عقيبا أن يحرف في قراءة فقرة ، مع أن صبيان مدرسة معلمنا يعرفوه ، إن لم يقل ، إن كتبهم لم تكن مضركة" ، فبعض الربى يتسحاق بن شيشيت "لأن تلك الكلمة كانت منقسمة في كتبهم" وهذا يعني أن نسخة الأسفار مختلفة (أسئلة وأجوبة الربى يتسحاق بن شيشيت، كتاب مختصر الأقوال) .

ويقرر الربى شلومو بن أدبرت بأسباب "التغييرات التي نجدها في النصوص المقدسة في الموضوعات التي لا تختلف فيها المعاني لا تمثل قضية، لأن النصوص لا تحفظ الكلمات الصحيحة فحسب، وهذا حدث في مادة التوراة، حدث في الوصايا العشر ، والتوراة لم تحرص على حفظ المعنى فقط " (الإشارة ١٢) .

وطالما أن شموئيل دافيد لوتساتو لم يستخدم من نقد العهد القديم سوى هذا الأسلوب لتعديل النص ، والذي سلكه يحذر شديد ، من خلال حس لغوي جيد ودقيق ، لذلك أقرت أقواله وحاول العديد السير في إثره من الريانيين والورعين مثل : الربى م. بوشك (وشعبك كمن يخاصم كاهنا = وشعب كمن يخاصم كاهناً ، هوشع ٤: ٤) ، الربى م. شتين (هو شرك للإنسان أن يلغو قاتلاً مقدس ، ويعد النذر أن يسأل = هو شرك للإنسان أن ينام قاتلاً مقدس ، ويعد النذر في الصباح (الأمثال ٢٥: ٢٠) أموالاً وجثثاً = أموالاً وملابس (أخبار الأيام الثاني ٢٥: ٢٠) ويا جهال تعلموا فهما = ويا جهال أعدوا فهماً (الأمثال ٥: ٨ وغير ذلك) ، دافيد حايم إشكنازي (ويحسب الفضة = ويصهر الفضة ، الملوك الثاني ٤: ٢٤) ومواضع عديدة مثلها.

٧ - الربى نحيان كروكمل ونظريته فى العهد القديم

أما الربى نحيان كروكمل ، دليل حائرى عصره ، فهو واحد من ذلك العصر الذى لم يكتف فى أبحاثه بالفاظ النصوص المقدسة وتعديل الحروف ، بل توغل داخل أعماق مؤلف العهد القديم ، وتشجع ليكشف جوهر تلك الثقافة الرائعة ، والوقوف على شمولية "الخاصية الروحانية" فى الأمة . وهو كتلميذ ليهيكل بوكان مؤمناً ومرتبطين بصورة أساسية بتطور كل موجود روحانى ، وعارفاً بفرع من فروع بحث العهد القديم ، كما عرفها علماء شعوب العالم وعلماء اليهود فى عصره ، فتوجه فى ضوء ذلك لكشف مراحل تطور الثقافة العبرية القديمة كما عبر عنها فى أدب العهد القديم .

ومع كل معلوماته العنيفة فى البحث الأجنبى ، فلم يتوقف أمامها ، ولم يرغب فى أن يجد لها صدق فى اللغة العبرية . إذ كان واحداً من القليلين الذين عرفوا كيف يسيطروا عليها ، ويختاروا منها ما يتفق مع الأسلوب الذى حددته فى تاريخ تطور اليهودية ، ويسطرونه داخل غيوم الماضى ويبدأ مخططة من بداية تكون بنى إسرائيل .

وهو يسلم ببديهية شهادات روايات التوراة ، ويفحصها وفق قدرته فى ضوء المعرفة ببقية الشعوب السامية . وذلك على أساس المنطق العقلى ووجهة نظره الفلسفية الأوربية . ويزيل بجرأة مشكلة الطبقات المضافة على أقوال النصوص فى عصر الأجداد والدراس ويصل من داخلها إلى المضمون القديم . فيرى أن الجماعة التى جاءت إلى كنعان كانت تعبد فى الأماكن المرتفعة باسم يهوه . ولم يتصور أحد أن هذا إثم . حتى إن يريعام بن ناباط فى إقامة العجول لم يقصد سوى اسم يهوه ، إله إسرائيل . وكان الأجانب الذين ليسوا من أبناء الكهنة يقربون القرابين بأذن وعندما تزايد الطموح فى عصر الملوك لتنظيم سياسى وحشد الأمة ، حدثت لأول مرة الحرب ضد الأماكن المرتفعة ، والعبادة خارج مركز أورشليم . ويسمع الجماعة فى عصر القضاة تغنى أغاني عديدة ومتنوعة ، ثم جمعت سوياً فى مجموعة " أول مجموعة من الأسفار المقدسة " وعرفت باسم " سفر المستقيم " .

وكتب الأنبياء الذين قاموا فى عصر الملوك - هم أو تلاميذهم - نبوءاتهم فى أسفار ، وألفوا أسفار أخبار الأيام لملوك مختلفين ، أو اختصروها فى أسفار سابقة أكثر إسهاباً ، وتلك الاختصارات وصلت إلى يد الشعب ونسخت وانتشرت . وكانت عصور يهوشافات وحزقيا ويوشياهو عصور معرفة "للتوراة ومعرفة ونسخ الأسفار" .

وحرقت العديد من الأسفار المقدسة التي كانت موجودة في الهيكل زمن الخراب، والتي بقيت وحفظت في السبي صارت تابعة للترجوم والتفسير، وجمع العائدون من السبي ما بقي في أيديهم من بقايا الأسفار القديمة ونسخوها وصححوها ووضحوها بإسهاب وقيموها بحكمة. وظهر في ذلك العصر أواخر الأنبياء مثل إشعيا الثاني ويونيل (الذي على أية حال لم ينتبأ قبل عصر عزرا) ووحى وزكريا الأول وزكريا الثاني (الذي عاش بعد موت الإسكندر المقدوني)، وقد زاد الكتب آنذاك من ترجمة التوراة وتفسيرها، وتعليم الجماعة وسردوا أماسها تاريخها. وحتى تم جمع كل أقوال هذه المؤلفات المقدسة في هذه الفترة العظيمة والغنية ورتبها سوياً مع كل ما سبقها، وطابقوا هذه بتلك وعدلوها حتى تثبت العهد القديم قبل الخراب بمائة وثمانين عاماً (في عصر حنانيا ابن جرون، معاصر هليل).

وعلى هذا النوال بحث في تطور أسفار العهد القديم، وشكل بعد ذلك تاريخ كل سفر، وكان الربي نحمان كروكمل حذراً لئلا يمس الماسورا، حتى إنه لم يستطع الاعتماد في أقواله على أي برايتا أو قول مأثور لأصحاب التلمود، فلم يناقش مطلقاً تاريخ أسفار التوراة الخمسة، وتجاهل كل القضايا المرتبطة بها، وكان يضطره الحديث إلى أن يوضح علاقته بها.

ولم تحفظ في مقالاته الروائية أقوال مفصلة عن أسفار الأنبياء الكبار السابقين على السبي، غير أنه شرح آداب العائدين من السبي وعصر الهيكل الثاني بإسهاب، وهو مثل سبينوزا في عصره، يقتبس أيضاً الرموز الغامضة لابن عزرا واحداً واحداً، ولكن هذه المرة ليدعم رأيه بوجود شخصيتين باسم إشعيا، ومن خلال العصور المذكورة في التلمود يعالج كل وحده هناك بشأن تاريخ الأسفار وترتيبها، وعندما بدأ نقد كل سفر على حدة فإنه تمسك بإساليب "أصحاب نظرية التجزئة" المتشددين، فوجد في سفر عزرا خمس قوائم مختلفة تفصل بينهم مئة وعشرون سنة (من السنة الأولى لقورش وحتى السنة الثالثة والعشرين لأرتخشستا). أما سفر أخبار الأيام الذي كان مؤلفه الأول عزرا، وأضافوا عليه بعد ذلك من قوائم نحemia، ومن لفائف النسيب، وقوائم الكهنة، سار مؤلفه واستمر ثلاثة أجيال بعد نحemia، أي حتى انتهاء مملكة فارس، فوجد الربي نحمان كروكمل من وجهة نظر التطور البطيء هذه تأليف بقية أسفار تلك الفترة وتركيبها. فسفر دانيال "مؤلف من بعض اللفائف (تسع أو عشر)

لفيفة لغيفة على حدة، ولا ترتبط الواحدة بالأخرى السابقة عليها أو المتأخرة عنها سواء في أسلوب اللغة أو في طريقة التأليف. وأمثال سليمان - هي "أساطير عامة لمجموعات أمثال" كانت سائدة لدى الجمهور ومتفقى الجماعة، وكانت منظمة في لفائف مختلفة.

ومن وجهة النظر هذه يعالج الجامعة ونشيد الأناشيد، ويحلل سفر المزامير في دقة أكثر، فوجد فيه مصدر تسبيح بابل، يعني مزامير قيلت بواسطة العائدين من بابل، في "تهنئات ممزوجة بالأمل" أو "المتف يفرحها"، ووجد فيها أيضاً تسابيح آشورية ويونانية غناها الأنثيا، الغيرون عند خروجهم للحرب في عصر الحشمونيين (مثل ٥٩، ٦٩، ٧٤، ٧٩، ٨٢، ٨٥، ١٢٢، ١٤٤) ومن خلال المزمور (٦٠) يفهم أنشودة يهودا المكابي في عبر الأردن عند خروجه لإنقاذ بيت صور المحاصر بواسطة اليونان، "الله قد تكلم بقدسه"، ابتهج، أقسم شكيم وأنيس وادي سكوت، لي جلعاد ولي منسى ... من يقودني إلى المدينة المحصنة؟ من يهدينني إلى أنوم؟ (٩:٦٠)، وغنى نفس هذا المزمور مرة ثانية عندما انتهى الحصار على يد الحشمونيين في عصر شمعون المكابي (المزامير ١٠٨).

ويرى سفر الجامعة بمثابة السفر الأخير في أسفار الكتابات، والفقرات الأخيرة فيه (كلام الحكماء كالمناسيس وكفوتاد منغزة ... ١١:١٢-١٤) هي عبارات الإتمام، ليس فقط لسفر الجامعة فحسب بل أيضاً "لأساطير أسفار الكتابات في مجموعها" ففي بداية قدوم اليونان أنهى رجال الكنيسة الكبرى "وختموا بتلك الفقرات مجموع القسم الثالث من الأسفار المقدسة" غير أن الإقرار النهائي والمطلق "لأسفار العهد القديم حدث في عصر محكمة الحشمونيين في عصر شمعون، ويوحنا الكاهن الكبير، نقاي الأربلي، ويهوشع بن فرحيا وبقية حكماء عصرهم، تلاميذ مغنى الكنيسة الكبرى"، وكما يقال، فقد ختم قبل الخراب بمائة وثمانين عاماً.

ويلا شك كان الرببي تحمان كروكمل فريداً في عصره، والأول في الأدب العبري الذي حاول أن يسلك طريقاً جديدة في تاريخ تكوين العهد القديم، وذلك من "سفر المستقيم" الذي كان في عصر القضاة وحتى تثبيت العهد القديم في الفترة الأخيرة للهيكل الثاني، وأن يقرر تلك النظرية للجمهور، وذلك يحذر شديد وإشارات سبعة، وقد كان يعرف ما يسيئه. فكتب ذات مرة "قلبي يرتعد في وسطى لأعلن مثل تلك

الفرضيات الجديدة، التي هي عكس المنشور حالياً عند العامة والخاصة. ومنذ ذلك تضاعف الورع الحقيقي وتزايد الغيوريون المتربسون على رأس الطريق ، حتى خرج قول من فيه دارس ،عكس المألوف عندهم ،أو الذي يعطى في جلسته في كنز علمهم المتافه فيقيموا عليه حرباً غير أن الربى نحصان كروكمل كان واثقاً أنه لا يمكن أن تختفى تلك الآراء . فيقول : "من يعرف الله ويعرف إسرائيل يدرك أنه ليس هناك خوف خطير أن تتوقف العقيدة ، بأبحاث حقيقية ويقلب طاهر كهذا ،ويشبهه آلاف ،وعلاوة على ذلك. شكراً وأفضلية لإسرائيل ، وعظمة لتوراة آباؤهم. وعار للجاهلين عن قصد في عصرنا هذا .

وعلاوة على ذلك فقد كان ملتزماً بإظهار أرائه تلك للأجانب، لكي ينفذ مجد التوراة : لأنه إذا تنبهنا أيضاً حالياً لنقرر بأن في المزمور "على أنهار بابل" توقع داود بالروح أورشليم أحداث سبى بابل وحزن عليها . فإن هذا لم يؤثر في قلوب القراء والسامعين العارفين - الشبان - طبقاً لوضع العلم في هذا العصر ... بل أيضاً تشمئز أنفسهم من تفسيراتنا ومواعظنا له ... ولأننا ، معلمون ووعاظ نستوعب القصد المراد في البقية عندما نوضح لهم المزمور أنه أنشد في بابل بواسطة أحد اللاويين في السبى . ولذلك يرى في نقده الحر أنه يوجد ازدراء في جانب أكثر من جانب آخر باسم عصر العمل ليهوه وقد كان واثقاً في إخلاصه أن علماء الأكثر قدماً عرفوا هذا الأمر وتجاهلوه وبصلاحيه أكثر يقتحم المخاطر ليكشف عن الذي تجاهله القدماء . من هنا كان فحصه للبرائنا في (باباترا ١٤) . ومن هنا كان حبه الشديد لأبراهام بن عزرا العالم الفقير ، الذي سلك مثل اللؤلؤ عبر رموزه وتفسيراته المتعمقة.

وحقاً ، لم يخف سائل خوف الربى نحصان كروكمل ، ولم يكن الأدب العبري مؤهلاً بعد للاعتراف بالآراء المضادة للآراء التقليدية المشهورة . "ولم يثر ضد الربى نحصان كروكمل لإزعاجه فقط "الغيوريون المختبئون على رأس الطريق "، بل أيضاً زعيم النقاد في ذلك العصر .وعندما كرر شموئيل دافيد لوتساتو نظرية إيلياهو لويتا وقرر بأن أحكام القراءة متأخرة، نال جراحه من رجاء نفسه، وكذلك عندما اتجه بعد ذلك الربى نحصان كروكمل "وأبعد من إشعيا الـ (٢٧) إصحاحاً الأخيرة فيه، وأخر أيضاً زمن كتابة بعض إصحاحات سفر المزامير .لم يرغب أن يعتذر له شموئيل دافيد لوتساتو .

٨ - تلاميذ الربى نحمان كروكمل

غير أن الصراع ضد هذه الآراء قد تسبب في طرح أسئلة مترتبة بالبحث العلمي للعهد القديم ناعت بين المثقفين وقد انتشر بين اليهود تلاميذ الربى نحمان كروكمل، وكذلك المعجبون بأقواله وأبحاثه، فكتابه الذى صدر بعد موته لقي أهمية كبيرة، كما نجحت مقدمة تسوس في استقطاب القلوب البعيدة . ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت جماعة كاملة من الباحثين الشبان تقدر النقد، وتحجب آراء المحافظين، وتواصل العمل النقدي الذى حاربت لقيامه.

ووجدت الآراء النقدية التى قبلت في الخارج طرقاً لها في مدرسة الربى نحمان كروكمل، ولدى دوائر جماعة النقد التى جاءت بعده، وبخاصة في الأدب اليهودي باللغة الألمانية، حيث وجدت أبحاث جايجر عندهم أذاناً صاغية، كما أن كتابه "النسخة الأصلية" "قويل بفرحة وهو الذى دعم سلطانهم، ووجه من جديد أدب النقد باللغة العبرية إلى أسلوب النقد النصي، وتعديل النصوص المقدسة وذلك بعد أن وضع جايجر أسسها.

٩ - أبراهام كروكمل

وينتسب إلى هذه الجماعة الباحث الشاب أبراهام كروكمل، ابن الربى نحمان كروكمل، وقد أثار كتابه في صورته المتغيرة وتعديلاته المتشددة عاصفة في الأدب العبرى آنذاك، واستخدم بمثابة صورة أدبية لكتابه هذا الأسطورة التى كانت سائدة بين الإسرائيليين بأن العلم الباطنى الذى تعلمه بعل شيم طوف من فيه شخص، وجده مختفياً في صخرة، وبعد أن أعلنه لبعل شيم طوف، أخفاه مرة ثانية في الحجر الذى في "مزبوراً"، وباستثناء هذا الشخص فقط لم يره أحد آخر في بني إسرائيل بعد، ولم يظهره للعديد، لأن الجيل لم يكن مؤهلاً بعد، ونظرية علم الباطن هذه هي النسخة الصحيحة للكتابات المقدسة.

وكان باروخ سبينتوزا - معلم بعل شيم طوف - هو نفسه الرجل الذى عرف علم الباطن، ولم يظهره للعامة بل أعلنه لشخص وقد كان هذا الشخص هو أبراهام بن نحمان كراكمال حفيد بعل شيم طوف في "مزبوراً" واستخرج هذه النسخة القديمة "خطاب الرب"، من داخل الصخرة ونشرها على الملأ، فقد جمع في كتابه هذا

التعديلات التي نشرت بالعبرية والألمانية واحداً بعد الآخر ، وأضاف عليها من عنده تعديلات عديدة ، وطبعها طبقاً لترتيب العهد القديم ، المكتوب في ناحية "والمقروء" في ناحية ، وعددها بالآلاف ، هذا بالإضافة إلى ترجمة ألمانية وشرح عبري للتعديلات ، ولم يستخدم تراجم كما ينبغي ولم يعرف أيضاً الكثابة العبرية القديمة ، ودعم تعديلاته باستدلالات منطقية فقط ، وإذ كان قد كانت البيهيات في تعديلاته عديدة وغير ناجحة دائماً . وتوصل في مقدمته إلى العلاقة بين النقاد الجدد وسبينوزا ، والعلاقة بين سبينوزا وابن عزرا وبقية الباحثين العبريين في إسبانيا - بعد أن نبه إلى ذلك بإسهاب كبير قبله الدكتور بوثيل - وفي هذا أول إشارة بالعبرية لنقد العهد القديم عند اليهود .

١٠- يعقوب ريفمان

لقد تفوق يعقوب ريفمان على معاصره الكبير كروكل ، وقد عاش ريفمان في مدينة زاموشتمس مركز الهسكالا في بولندا ، ونشر نظرية "على مسامع الشباب" ، وخصص في تحليلاته مكاناً للنقد بحث الأدب العبري ، ونقد العهد القديم ، وبصفتها لغوياً فقد تعمق خصوصاً في الترجمة السريانية ، وقارنها بمادة العهد القديم العبرية ، وقرر على أساسها منهجاً في تفسير النصوص ولم يكن نقد العهد القديم من وجهة نظره وليد الخارج ، بل يرى أن جنوره عميقة في تاريخ الإبداع العبري وقد حاول تدعيم هذا الرأي .

وطبقاً لوجهة نظره فإن الراي الإعازر بر يوسى الجليلي صاحب برأينا الاثنين وثلاثين قاعدة التي تبحث على أساسها التوراة ، هو "الأول الذي وهب قلبه لدراسة ويبحث أسس توضيح الأسفار المقدسة" ، وكل هذه القواعد خصصت لتوضيح العهد القديم وتفسيره ومنهج التفسير (النشاط) الواضح ، الذي توصل إليه علم اللغة ، "والثاني عنده هو يونا بن جناح الذي نعى وأضاف تلك الحبة الصغيرة (قاعدة) أسلوب الاختصار: "للربى الإعازر بر يوسى الجليلي ، ونماها يونا حتى أصبحت حزمة عظيمة من القواعد متعددة الأنواع ...وها هو ذا يغرسها في كتابه "التراكيب" ، ذلك الكتاب المعجز الذي تحديق فيه العين ...وتندهش منبهرة فتعرف وتقيم لماذا كانت عظيمة نقد العهد القديم في إسبانيا حتى المائة التاسعة من الألف الخامسة وقد توفر سفر كامل عن تاريخ نقد العهد القديم في بني إسرائيل ولكن بسبب فقره لم ينشر إلا كتاباً صغيراً فقط ، يشمل ثلاثة فصول : آباء النقد في جماعتنا ، ومؤسسات النقد

يعنى أساليب النقد وخطط الناقد، ودليل منهج الأسفار، وذلك من وجهة نظر مشابهة للنقد الذي وضعه لسفر سموئيل.

وقد سار في تعديلاته العديدة وراء منهج الجليلي، ومناهج الربى يونا بن جناح، وكان أول من كشف عن تحريفات في العهد القديم نجمت عن الإيجاز، واستخدام الاختصارات (مثل: أيا كان منكم على الفتى أبشالوم بدلاً من: أيا كان منكم عد يده على الفتى أبشالوم) (صموئيل الثاني، ١٨: ١٢). أو الذكر يا رب عار عبيدك، الذي احتمله في حضني من كثرة الأمم (المزامير ٥١: ٨٩)، قليل من شطر كلمة إهانة، المرادفة لكلمة عار - إجابة على القضية ص ٥٥. وما يشبه ذلك، وقد اعترف بفضل كل من فراس وديشس، وبتعديلاته الحادة والواضحة تفوق بكثير على دافيد سموئيل لوتسانو، وقد اعترف بهذه التعديلات كل الباحثين من بعده. وقد كان ريفمان أحد القليلين الذين وقفوا على الوزن في شعر العهد القديم، كما تمكن من التمييز بين الأقوال الشعرية، والأقوال النثرية في العهد القديم، واستخرج من سفر الأمثال تسعة وعشرين إصحاحاً شعرياً.

وقد كان حذراً جداً في أقواله، ومعتدلاً في بحثه، كما كان حافظاً للوصايا في حياته وتكلم على مناهج علماء التوراة والقانون، وقرع لأقوال العلماء في عصرنا، وأيضاً لأقوال العلماء الكبار في العصور القديمة، ومع كل هذا بدت أقواله الموزونة والمعتدلة مثل ثغرة في جدار، فاضطهد وعذب وتصديق أقوال شهادته تعرض لى المحافظون مرة أو مرتين واتهموني بالكذب، وجرحوني وخطوا من قدرى واعتبروني مدعياً ومشاكساً ومتمرداً.

(١- ش.ل. هيرش)

ولنفس الجماعة ينتمى أيضاً الناقد العبري الأصل ش.ل. هيرش من نفس مدينة الربى نحمان كزوكمل، والذي وصل أسلوبه إلى درجة كبيرة. وقد رأى هيرش أن مهمة النقد لا تكمن في تعديلات النصوص المقدسة فقط، بل تصور مثل معلمه الأكبر وجود منهج في تاريخ بناء أسفار العهد القديم ولكنه كان حذراً جداً أكثر من جميع الباحثين المعاصرين له.

وعلاوة على أبحاثه باللغة الألمانية، فقد ألف عن نقد العهد القديم باللغة العبرية كتابه "تاريخ بنى إسرائيل وعقيدتهم". ولكي يزيل بسخط حُرّاس السور قدم مقدمة لكتابه حذر فيها القارئ ألا يعطوا أهمية في فكرهم لأقوال الهرطقة المشروحة والكامنة هنا في الكتاب، وأن الأقوال التي تأتي في الكتاب ليست كلها من عنده، بل إن بعضها أقوال من تفسيرات المهرطقين. ولم يأت بها إلا من أجل معرفة كيف نرد على الهرطقة ونبرهن للمبتدعين أن عملهم لا أساس له؟ ومن أجل ذلك فقط يذكر باسم الهرطقة أقوالاً من هرطقتهم التي ليس لها أهمية.

واستمر بهذا الأسلوب يوضح بجلاء ويبراهين عديدة مأخوذة من داخل التاريخ وتاريخ الثقافة ومن أقوال المصادر ذاتها بأن القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب في الصحراء وأن موسى لم يكتب التوراة كلها. وأن أقوال التوراة ليست سوى لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام عشائر وأسباط مختلفة وتحدثت عن الآباء والأجداد أو كتبت هذا بعد ذلك. ويكشف في محاضرة له بأن أقوالاً عديدة من تفسيرات الهرطقة والمبتدعين لم يقدرها الجميع، لأن لها إشارات في الأساطير القديمة وأن العديد منها عشائر إليه أو مرموز له في أقوال حكمائنا طيب نراهم... لأن قداماً كانوا مفعمين بالرغبة في معرفة نشأة أسفار العهد القديم في عصرهم ويحاول باسم الناقد أن يقدم أسلوباً عن تأليف العهد القديم، ويحصى فيه ثلثي مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهي:

أ - لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرايم.

ب - لفائف من تعاليم الكهنة تمت الإضافة إليها حتى عصر يهوشع بن صادوق.

ج - لفائف أعداء الأسباط.

د - لفائف باعترافات الأنبياء.

هـ - مجموعات من روايات بيت داود.

و - أقوال الأنبياء ومجموعاتهم في يابل.

ز - أقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبي.

ح - تكملات مختارة من عصر الحشمونيين.

وعن تورا الكهنة وسفر العدد - يقول باسم المهرطق كما هو مفهوم - كما هما لدينا حاليا فإنها متأخران جدا ، ولا يمكن تقديم زمنهما عن بداية الهيكل الثاني .

ومع هذا ، فإنه يضيف في نهاية كتابه وفي شكل إجابة ما يلي : "ضد الهراطقة يسكر قصى منبع الوشاية" ثم يؤكد كلامه باعتراقه : "أن كل أبحاثه لا تمس الوصايا العملية لأنه ليس لنا قيمة أمام هذه الشريعة .

ومن خلال هذه المقدمة والخاتمة أصبح بحث هيرش الذى قدمه باسم المهرطق الأول فى اللغة العبرية الذى يتناول ليس فقط بناء أسفار العهد القديم المتأخرة ، بل أيضا مادة مصادر أسفار التوراة الخمسة ، التى لم يقترب منها الربى نحمان كروكمل نفسه .

١٢ - الطليعة ومحررها ي . ش . شاور

غير أن الاحتياطات العديدة التى نهجها هيرش كان قد انتهى عصرها بالفعل فى زمنه . فرملاؤه ومعاصروه لم يكونوا بحاجة لقناع ، أما فيما يتعلق بالمضمر فقد كانوا أكثر حرصا منه .

وقد أعرب أولئك الذين التفوا حول "الطليعة" عن رأيهم بكبرياء وفتحوا بابا لمعرفة النقد المدون باللغة الألمانية لجمهور القارئى باللغة العبرية . وبإستثناء كروكمل الابن ، فقد اشترك أحيانا فى "الطليعة" أ . جايجر نفسه وكان زعيم المتحدثين فيها رئيس التحرير ي . هـ شاور حسيد "اليهود الغربيين" فى عصره ، كما كان لديه نزعة استقامة كمصلحى الدين فى ألمانيا ، الذى وجد نقد العهد القديم له وطنا فى وسطهم . كما أن الشاعر ميخا يوسف ليفنزون الذى أقام فترة ما فى برلين أفاد من علماء العصر - سينشور زكش و . ل . تسونس - وتأثر بالبحث الحر ، وفى ملاحظاته الشعرية عن "سليمان والجامعة" أوضح أن "من له عينان يرى أن هذا السفر يعود لأبناء العصور المتأخرة ، سواء فى لغته أو فى موضوعه وربما ألف فى عصر الحشمونيين ."

١٣- خلافات المحافظين حول الأدب

ويبدأ شور قصصه بدراسة لتبينة كبار الباحثين - شموئيل دافيد لوتسانو ، والربى نعمان كروكمل ويوسف شلومو روفيه - الذين خرجوا على الطريق التقليدي ، وبدأوا فحص العهد القديم بأسلوب النقد وتعديل الأخطاء التي ظهرت فيه . وفي رؤيته أن هذا "لم يسقط حاشيا لله سور العقيدة " ، كما لم يسقط بسبب تعديلات الكتب وتعديرات الشيوخ ومن الاختلافات التي بين الوصايا الأولى والأخيرة وغيرها " . لأن "الروح ، روح الله السائدة في الكتابات المقدسة هي غذاء الجماعة وهي القائمة معجزة للشعوب " وليس الحروف والكلمات . والدليل على ذلك الاختلافات العديدة بين أسلوب الماسورا وأسلوب النصوص الواردة في التلمود والمداشيم . ويتبع ي. هـ. شور تغييرات الصيغ وأحصى ثلاثين موضعا في التوراة بعد أن قام شموئيل دافيد لوتسانو وكذلك ريفان بتعديل أسفار الأنبياء والمكتوبات فقط . ولم يقتريا من التوراة ، وقرر شموئيل دافيد لوتسانو بأنه لم تطرأ أخطاء في الأسفار الخمسة وأنها حفظت كلية حفظا تاما منذ عصر كتابتها حتى عصر طباعتها . ويفهم من ذلك أن أدلة هـ. شور لا تزال تزيد نار الانقسام . ولكي يبرهن ي. هـ. شور على صدقه اضطر إلى أن يتعمق أكثر في أدب النقد ويلتمس مساعدة علماء الأمم . فترك تفسير يوهنن لسفر التكوين عليه أثرا كبيرا ، وكذلك اختلافات الصيغ عند كينكوت وكتب روهده وفاتكه . ولكونه رجل حرب جسر ، رفع إشارة الحرب للدفاع عن أفضلية نظرية المصادر . أو - كما دعا بلغته - من أجل "الصيغ المختلفة التي كانت أمام محرر أسفار التوراة . " ويضجة كبيرى ، وصيحة حرب باغت القارئ العبرى بتوضيح الغموض والأزدواج في أحداث الخلق والطوفان ، والروايات عن لوط ، والأزدواج حول شراء المفارقة ودفن إبراهيم وقدم رفقة ولقاء إسحاق وبركة وتأكيد الاسم يوسف وتغيير الاسم يعقوب إلى إسرائيل ، وبيع يوسف والخروج من مصر وأكل المن . وأظهر بوضوح أنها لا تكون مصدرا واحدا لأقوال التوراة بل "كانت صيغا مختلفة أمام محرر التوراة التي أدخلها سوريا في جمعه " .

وأضاف في كل مقال جديد له عن نقد العهد القديم بسخطا شديدا ، غير أنه هو نفسه لم يقدم أى منهج عن تاريخ بناء أسفار العهد القديم ، بل طرح داخل العالم العبرى الصعوبات الكثيرة والغموض المفاجئ ، وبعض التعديلات والتجديدات . كما استوعبها من الخارج ، منها ما هو مناسب جدا وتوقعية . وعلى الرغم من ذلك كانت

متفرقة ومهلهلة وغير مرتبطة برؤية واحدة، وتسبب هذا أكثر فيما يتعلق بصورة تفنيد العقيدة. وفى نفس الوقت توجه معاصريه تجاه ناحية أخرى ، أما الدائرة التى تركزت فترة حول راية "الطليعة" ، راية الإصلاحيين والحرب ضد القديم، زالت وتضالعت وتوقفت تأثيرها .

١٤- رد فعل الحركة القومية

وتبدلت فى عصر شور نزعة المحافظة على القديم فى الأدب العبرى الحديث. فيظهور الحركة القومية التى انتقلت إليها السلطان الروحي فى السبعينيات ، انتقلت البؤرة الأساسية للحرب ضد الجبهات الداخلية تجاه المجددين فى الخارج ، فالعلماء اليهود فى الغرب الذين حملوا مشعل النور فى نظر المثقفين الأوائل صاروا من الرافضين للاتجاه القومى ومحتقرين فى نظر المثقفين الجدد ، فالمكانة التى أعطيت للانتماء فى الغرب والذى ساد فى دوائر "بستان الجمال" و"الطليعة" ، فهم فى دوائر "الفجر" على أنه عار ، وهذه الكراهية المفتعلة كانت موجهة فى المقام الأول ضد نقد العهد القديم ، والذى كان فى الغرب يمثل إرث المجددين فى الدين ، الكارهين لأبناء جيل "الفجر"

وقبل أن نسرد الرومانتيكية القومية لنفس الجيل توجهت إلى إحياء البحث فى الأدب الرمزي للجماعة وفتح مجالات جديدة لفهمه، غير أن محفل الحب والإعجاب أشاد بها وتأخر عنها . وقد قام علماء العصر بمهمة كبيرة بغيرتهم على العهد القديم لئلا يؤثر على الأدبيات العبرية أى انتصار للعمل العلمى المتزايد ، ولكى لا يتأثر بالنتائج التى حدثت فى الخارج حتى لا يسقط مجد سفر الأسفار كنز أدب الجماعة ، ففي الخمسينيات واجهت الأدبيات العبرية كتاب "النص الأصلي" لأبراهام جايجر بأمل حذر وصيحة احترام ، وفى السبعينيات صدرت كل كتابات تسونس بمناسبة الاحتفال ببوبيله وفيها أيضا أبحاثه النقدية ، ولم يجد أذانا صاغية داخل الأدبيات العبرية فى ذلك العصر . وبلا شك لم يسمع آنذاك شخص بالعبرية عن ظهور فلهاوزن وانتصارات مدرسته . فقد اعتبروا مفسدين لبستان اليهودية ، ومن من بين اليهود يستمع لهم ؟

١٥- بيرتس سمولنسكين

وعندما وُضع تفسير جريتس لنشيد الأناشيد أمام بيرتس سمولنسكين ، ففي ملاحظاته على الكتاب النقدي لجريتس عن المزامير عبر باشمئزاز عن هذا الاتجاه لفكرة نقد العهد القديم بقوله " :لم أسمعُ فقط من قراءة هذا الكتاب بل أيضا من الكتابة عنه . والتعبير الأكثر صدقا عن مثل هذه الكتب هو تجاهلها . " وعلل أقواله المعبرة عن علاقة الموالين لرأية نقد العهد القديم بقوله : بعد أن يدّاس مجد إسرائيل بأقدام الشريرين من كل اتجاه وأيضا بعد انتقادات عصرنا وكل إرثنا نعتقد يد الشر لانتقاط رسد مجدهم . وفي هذا الوقت ... أيضا يظهر رجل من اليهود ... لم يجد قولا حسنا ، ليشقى نفسه به ، إلا الوقوف مثل خطاب يحمل فأسا لإسقاط فرع تلو الآخر ، وغصن تلو غصن في حديقة اليهود وتعرضها للسخرية والازدراء ... ليسلب منا أيضا ثقافتنا القديمة . وفي الوقت الذي نشرب فيه كأس المحرمات ، تصبح ذكريات العصور القديمة بمثابة شراب أو نواء للعديد من البائسين . " وأعرب تيار جماهيري كامل بمثل هذه الكلمات عن علاقته بنقد العهد القديم .

١٦- دافيد كهانا

وبالفعل بدأت في الأدبيات العبرية آنذاك فترة الندم على أخطاء شباب سنوات النقد . وفي عصر رابى شلومو لوريا رافوفورت ومؤيديه دعا بيرتس سمولنسكين إلى حرمة الأخذ بمنهج تأخر معظم الكتابات المقدسة ، ومن بعده وحتى الآن تشجع العديد للعمل مثله " ... ، لأجل القضاء على هذا "المرض" حيث برز من " الفجر " زئيف يعقوب عمدين بن تسيقي ، ودافيد كهانا وغيرهما لإعادة التاج إلى مكانه القدي . وكتب دافيد كهانا كتباً كثيرة ليبرهن أن الملك سليمان هو الذي كتب نشيد الأناشيد والجامعة والأمثال وتشجع ليبرهن في " مأسورة قيد التوراة " أن نص الماسورا الذي أمامنا لا يوجد به أي خطأ . ولا يزال يعارض في العديد من المقالات المجموعة والفصليات أي تعديل النصوص المقدسة وفي تفسير اللفاظ . ولم ينزلق بعد أي شخص إلى النقد العلمي الخاص بتكوين أدب العهد القديم وامتنعت الأدبيات العبرية عن الاستجابة لعلم العهد القديم

١٧- ش.ف. رفينوفيتس

وعندما أقدم ش.ف. رفينوفيتس على ترجمة كتاب جريش "تاريخ إسرائيل" إلى اللغة العبرية لم يجرأ على إدخال أقوال جريش عن تاريخ العهد القديم في الأدبيات العبرية بسبب خوفه من النقد ، فحذف كلية الفصول الخاصة بتاريخ العهد القديم مع كل الملاحظات والإشارات المنتمية إلى ذلك وعزل ذلك بقوله: "إن أقوال المؤلف بشأن نشأة الكتابات المقدسة وتأليفها ... وأساسها في نقد العهد القديم " ، وأسلوبها بعيد عن فكر المترجم ، وأنه لا يرى في تلك الدروس أي فائدة للغالبية العظمى من القارئ باللغة العبرية .

١٨- البراعم الجديدة

ولم تتغير العلاقة حتى قبل أن تتعمق الحركة القومية بين اليهود وتنتهي حرب اندفاع التي نشبت عشرات السنين في الداخل والخارج ويتم الانتقال إلى العصر الإيجابي ، عصر الاستنارة في الإبداع . حيث احتل " البعث " مكان " الفجر " وكان الدليل القاطن لهذه المهمة الجديدة في الأدب العبري والبرهان الأول الذي اخترق الجدار وشجب التجاهل الذي أبداه الكتاب اليهود تجاه علم العهد القديم . فقد أشار أحاد هعام بمرارة إلى حقيقة أن " تفسير مندلسون وتلاميذه لا يزال عندنا حتى الآن ، بمثابة الكلمة الأخيرة " في معرفة العهد القديم " . في الوقت الذي لا يتوقف " الأوروبيون " فيه عن بحث وتفسير كتبنا المقدسة ، وأشار في الواقع إلى تفسير نوفك ودعا الكتاب اليهود أن يعملوا بالعبرية ما يشبهه . وعندما بدأ بعد ذلك أغراهام كهانا في إصدار العهد القديم مع تفسير علمي مؤسس على أساس من بحث العهد القديم في عصره ، وعلى أساس نظرية تقسيم المصادر ، احتشد حول عمله جماعة من المفسرين الماهرين ففسر أبراهام كهانا نفسه أسفار التكوين والخروج والعدد ويونا : ش.كرويس سفر إشعيا وتسفي جريش حيوت ، سفرى : المزامير وعاموس ، وموشيه تسفي سيجل سفر صموئيل ، ومئير لامبرت سفر دانيال ، وي.ب. بن تسيون فينكاف أسفار : هوشع ويوثيل وعويديا . وكان أحاد هعام واحدا من القلائد الذين باركوا هذا العمل . أما ميخا يوسف برديفسكي الذي دمر الشك وطرح التساؤل " لمن أنا أشقى " فقد رأى في كل هذا العمل " تأسيس نقد الكتابات المقدسة بالعبرية " - جرأة متزايدة ،

ومع ذلك فإن أحاد هعام نفسه لم يشغل بنقد العهد القديم ، وفي مقال وحيد له كتبه عن موضوع متعلق بالعهد القديم - موسى - تحرر فيه كلية ووضع وثيقة للفحص العلمى للواقع الفعلى لعصر العهد القديم ، وفى رأيه أن أقوال العهد القديم ليست سوى "صورة خيالية ، ابتدعتها الجماعة طبقا لحاجتها وميلها الروحى " ، والأكيد أن "هذه الصورة الخيالية لموسى النموذجى " هو الذى أثر على الجماعة آلاف السنين ، وهو البطل الحقيقى الذى يجب بحثه ومعرفته ، لكى نقف على أساسه على جوهر الجماعة ، وحقا حافظ على احترام روايات العهد القديم ، ولكنه أفرغها من مضمونها الواقعى لتظهر الحقيقة التاريخية - أو حسب تعبير أحاد هعام الحقيقة "المادية" - للبحث فى إصلاحها بقوة .

ومن فوق المناظر الأدبية لأحاد هعام بدأ يتروء أيضا صدى أدب النقد الخارجى ، وكتبت أيضا بعض الأبحاث المرتبطة بالمصادر ، وظهرت فى "البحث" مقالات الدكتور شمعون برينفيلد الأولى عن أسفار العهد القديم ، وتواصلت هذه المقالات وانتشرت ثم جمعت سوريا فى مدخل شامل ، ونشر أيضا منير إيش شالوم أبحاثه فى "البحث" . وفى كتيب أولى له "تكنز اليهودية" التى أسسها أحاد هعام قدم دافيد نيمرك خلاصة بحثه عن "الأصول" وقد تطور بحثه بعد ذلك إلى كتاب قائم بذاته على أسس النقد التاريخى ، وجاء فيه لأول مرة باللغة العبرية قسم مفصل عن التوراة وعلى أساس من المصادر ، ونهض بعدهما آخرون لتأسيس أصول النقد فى فروع مختلفة لنقد العهد القديم باللغة العبرية .

وبعد انتقال تحرير "البحث" إلى يوسف كلوزنر ، الذى اهتم أيضا بنقد العهد القديم وتاريخ بني إسرائيل فى عصر العهد القديم ، استمرت فى الظهور الأبحاث عن تاريخ أدب العهد القديم ونشأت منابر جديدة لبحث اليهودية باللغة العبرية مثل "الشرق" التى كان أحد محرريها أفراهام زرزوفسكى ، مما يظهر عمق البحث فى لغة العهد القديم ومن هذه المناظر "المستقبل" ، و"البدن" و"العصر" و"المقدس" وغيرها ، وهكذا احتل البحث العلمى فى فروع مختلفة لعلم العهد القديم مكانا ثابتا .

واجتاز المحرث ، وحرث الحقل المهجور ، وظهرت الإبداعات الجديدة لبداية هذا القرن أبناء الشيخوخة لنقد العهد القديم من الإسرائيليين الذين عصرهم مثل عصر العهد القديم نفسه ، ومن خلال التردد الشديد وبخطى دقيقة وبتأخر الزمن استمرت العقيدة العبرية العلمية وهبطت إلى إرثها القديم ، ومن يعرف؟ ربما صفحات من كتاب ، بقيت مجهولة حتى الآن ، وتكشف مستقبلا ، ويأتى زمن ويقرعه صاحب القلعة نفسه .

الفهرس

3	تقديم المراجع
16	تصدير المترجم
17	مقدمة

القسم الأول نقد الموروث

19	الفصل الأول : تثبيت العهد القديم
27	الفصل الثاني : النقد في التلمود
41	الفصل الثالث : المحافظون والمعارضون
55	الفصل الرابع : علم النحو والبحث الديني
83	الفصل الخامس : التفسير النصراية
91	الفصل السادس : باروخ سبينوزا وأراؤه في العهد القديم

القسم الثاني : النقد العلمي

103	الفصل السابع : نظرية المصادر
119	الفصل الثامن : تحديد المصادر الأربعة
139	الفصل التاسع : قلهارز ودرسته
149	الفصل العاشر : تأثير الحفريات
167	الفصل الحادي عشر : الاتجاهات الحديثة

القسم الثالث : النقد عند اليهود في القرن التاسع عشر

179	الفصل الثاني عشر : علم الدراسات اليهودية في الغرب
	الفصل الثالث عشر : نقد العهد القديم في الأدبيات العبرية
203	الحديث



المشروع القومى للترجمة

- ١ - اللغة العليا (طبعة ثانية) جون كوين
- ٢ - الوثنية والإسلام ك. مانهو باتيكار
- ٣ - التراث المشرق جورج جيمس
- ٤ - كيف تتم كتابة السيناريو انجا كارينكوفا
- ٥ - ثريا فى غيبوبة إسماعيل فصيح
- ٦ - اتجاهات البحث اللغوى ميلكا إفينش
- ٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة لوسيان غولدمان
- ٨ - مشعلو الحرائق ماكس فريش
- ٩ - التفكرات البيئية أنترو ص. جودى
- ١٠ - خطاب الكتابة جيرار جينيت
- ١١ - مختارات فيروفا شيمبورسكا
- ١٢ - طريق الحرير بيليد براونستون وإيرين فرانك
- ١٣ - ديانة الساميين روبرتس سميت
- ١٤ - التحليل النفسى والأدب جان بيلمان نويل
- ١٥ - الحركات الفنية إرنارد لويس سميت
- ١٦ - أثينة السوداء مارش برنال
- ١٧ - مختارات فيليب لاركين
- ١٨ - الشعر السانى فى أمريكا اللاتينية مختارات
- ١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة جورج سفيريس
- ٢٠ - قصة العلم ج. كراوش
- ٢١ - خوذة وآلف خوذة قسم بهرنجى
- ٢٢ - مذكرات رحلة عن المصريين جون أنثيم
- ٢٣ - تجلى الجميل هانز جيبورج جادامز
- ٢٤ - ظلال المستقبل باثريك بارنر
- ٢٥ - مشوى مولانا جلال الدين الرومى
- ٢٦ - دين عصر العام محمد حسين هيكل
- ٢٧ - التنوع البشرى الخلق مقالات
- ٢٨ - رسالة فى التسامح جون لوك
- ٢٩ - الموت والوجود جيمس ب. كارمن
- ٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢) ك. مانهو باتيكار
- ٣١ - مصادر دراسة تاريخ الإسلام جان سوباجيه - كلود كاتين
- ٣٢ - الانقراض نيفيد روس
- ٣٣ - التاريخ القصصى لإفريقيا الغربية أ. ج. هوبكنز
- ٣٤ - الرواية العربية روجر آن
- ٣٥ - الأسطورة والعدالة بول. ب. بيكسون
- ١ - أحمد بروبش
- ٢ - أحمد فؤاد بليغ
- ٣ - شوقي جلال
- ٤ - أحمد الحضرى
- ٥ - محمد علاء الدين منصور
- ٦ - سعد مصلوح / وفاء كامل طاب
- ٧ - يوسف الأنطكى
- ٨ - مصطفى ماهر
- ٩ - محمود محمد عاشور
- ١٠ - محمد مصطفى وعبد الباقى الأثرى وعمر حلى
- ١١ - هناء عبد الفتاح
- ١٢ - أحمد محمود
- ١٣ - عبد الوهاب طوب
- ١٤ - حسن المودن
- ١٥ - أشرف رفيق عفيفى
- ١٦ - بإشراف / أحمد عثمان
- ١٧ - محمد مصطفى بدوى
- ١٨ - طلعت شاهين
- ١٩ - نجيم عطية
- ٢٠ - يعنى طريف الطولى / يعنى عبد الفتاح
- ٢١ - ماجدة الفنايى
- ٢٢ - سيد أحمد على الناصر
- ٢٣ - سعيد توفيق
- ٢٤ - بكر عباس
- ٢٥ - إبراهيم السموقى شتا
- ٢٦ - أحمد محمد حسين فيكل
- ٢٧ - تفتة
- ٢٨ - أمي أبو سنه
- ٢٩ - بقر الذهب
- ٣٠ - أحمد فؤاد بليغ
- ٣١ - عبد الستار الطوبجى / عبد الوهاب طوب
- ٣٢ - مصطفى إبراهيم قهسى
- ٣٣ - أحمد فؤاد بليغ
- ٣٤ - حصية إبراهيم المنيف
- ٣٥ - خليل كلفت

- ٢٦ - نظريات السرد الحديثة / وآلان مارتن
- ٢٧ - واحة سبوة وموسيقاها / بريجيت تيفر
- ٢٨ - عقد العدة / آل توريين
- ٢٩ - الإحريق والحسد / بيتر دالكوت
- ٣٠ - قصائد حب / إن ستانفورد
- ٣١ - ذا عبد المركزية الأوروبية / بيتر جران
- ٣٢ - عالم منك / ستانلي باربر
- ٣٣ - القهر المزدوج / لويس فيليكس بات
- ٣٤ - بعد عدة أصناف / توماس هانكس
- ٣٥ - التراث القديم / روبرت ج. كينغ / جون ف. أ. كاتين
- ٣٦ - مشهور قصيدة حب / دانيال غروفا
- ٣٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) / رينيه ويليك
- ٣٨ - حضارة مصر المرحمة / فرانكو بونا
- ٣٩ - الإسلام في اللغات / هـ. د. موريس
- ٤٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأمير / جمال الدين بن السنيح
- ٤١ - أسرار الرواية الإنسانية / داريو جاكوبو / ج. م. ميتاليسكي
- ٤٢ - العلاج النفسي الحديث / سيمون إن. موفاليس وميتشيل ج. روميسيفر / رومن بيل
- ٤٣ - العزلة والتعليم / أ. هـ. أ. أشتون
- ٤٤ - المفهوم الإغريقي للمصرح / ج. مايكل والتز
- ٤٥ - ما وراء العلم / جون ماكليجهم
- ٤٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) / فديريكو غرسيه لوركا
- ٤٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) / فديريكو غرسيه لوركا
- ٤٨ - سرخشان / فديريكو غرسيه لوركا
- ٤٩ - الحسنة / كارلوس مونيت
- ٥٠ - التفسير والممثل / جوهانز آيتز
- ٥١ - موسوعة علم الإنسان / شارلوت بيور - سيث
- ٥٢ - لغة النفس / رولان بارت
- ٥٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) / رينيه ويليك
- ٥٤ - بورتاندا راسل (سيرة حياة) / آلان وود
- ٥٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى / بورتاندا راسل
- ٥٦ - خمس مسرحيات أدبية / أنطونيو جالا
- ٥٧ - مختارات / فرناندو جيسوا
- ٥٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى / فاضل زاسونين
- ٥٩ - العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين / عبد الرزاق إبراهيم
- ٦٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية / أوجينيو تشانج ووريجيت
- ٦١ - السيدة لا تصلح إلا للرمل / داريو فو
- ٦٢ - حياة جاسم محمد / ت. حياة جاسم محمد
- ٦٣ - جمال عبد الرحيم / ت. جمال عبد الرحيم
- ٦٤ - أبي سعيد / ت. أبي سعيد
- ٦٥ - مشرق شرقاني / ت. مشرق شرقاني
- ٦٦ - محمد عبد إبراهيم / ت. محمد عبد إبراهيم
- ٦٧ - غنط أحمد / إبراهيم هقي / ت. غنط أحمد
- ٦٨ - أحمد محمود / ت. أحمد محمود
- ٦٩ - محمد محمود / ت. محمد محمود
- ٧٠ - مجاهد عبد النعم مجاهد / ت. مجاهد عبد النعم مجاهد
- ٧١ - جافو جويصاني / ت. جافو جويصاني
- ٧٢ - عبد الوهاب طوب / ت. عبد الوهاب طوب
- ٧٣ - محمد براد / طاهر / ت. محمد براد
- ٧٤ - محمد أبو الغطا / ت. محمد أبو الغطا
- ٧٥ - لطفي قطيع / ت. لطفي قطيع
- ٧٦ - فرجى سعد الدين / ت. فرجى سعد الدين
- ٧٧ - حسين مصطفى / ت. حسين مصطفى
- ٧٨ - علي يوسف علي / ت. علي يوسف علي
- ٧٩ - محمود علي بكر / ت. محمود علي بكر
- ٨٠ - محمود السيد / ت. محمود السيد
- ٨١ - سعيد أبو الغطا / ت. سعيد أبو الغطا
- ٨٢ - السيد السيد / ت. السيد السيد
- ٨٣ - عسرى محمد عبد الغنى / ت. عسرى محمد عبد الغنى
- ٨٤ - مراعاة وإشراف / محمد الطوهرى / ت. مراعاة وإشراف
- ٨٥ - محمد خير القاضى / ت. محمد خير القاضى
- ٨٦ - مجاهد عبد النعم مجاهد / ت. مجاهد عبد النعم مجاهد
- ٨٧ - رئيسى عوض / ت. رئيسى عوض
- ٨٨ - رئيسى حويل / ت. رئيسى حويل
- ٨٩ - عبد الصديق عبد العليم / ت. عبد الصديق عبد العليم
- ٩٠ - المهدي أخريف / ت. المهدي أخريف
- ٩١ - أشرف الصياغ / ت. أشرف الصياغ
- ٩٢ - أحمد فؤاد متوكلي وهويدا محمد فهمي / ت. أحمد فؤاد متوكلي وهويدا محمد فهمي
- ٩٣ - عبد الحميد غلاب وأحمد عثمان / ت. عبد الحميد غلاب وأحمد عثمان
- ٩٤ - صبحي محمود / ت. صبحي محمود

- ٧٢ - السباني المعجوز
٧٣ - نقد استجابة القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمالِك في مصر
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية
٧٦ - جاك لاكاز وغراء التحليل النفسي
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣
٧٨ - العولة - نظرية الصانع والثقافة العربية
٧٩ - شعرة الكاتب
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»
٨١ - الجماعات المتغيرة
٨٢ - مسرح مجيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد
٨٥ - منصور الحلاج (مترجمة)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالغرب
٨٩ - الطريق الثالث
٩٠ - رسم السيف (قصص)
٩١ - المسرح والغريب بين الشرق والغرب
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح
الإسباني الأمريكي المعاصر
٩٣ - محببات العولة
٩٤ - الحب الأول والصحية
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني
٩٦ - ثلاث زبقات ووردة
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)
٩٨ - الهم الإنساني والافتقار الصوفي
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - مسطرة العولة
١٠١ - التي الزواشي (تقنيات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والتسامح
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آباء
١٠٤ - أوبرا ماهوجني
١٠٥ - منخل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الأنطلسي
١٠٧ - صورة القاص في الشعر الأمريكي المعاصر
- ت. أس. إلوت
ج. س. توينبكر
إ. أ. سبيلوف
أ. ب. هيرش
مجموعة من الكتات
ريشه ويلف
رومان رومانوف
جورجس أوجستكي
ألكسيس بوشكين
ديفيد شيرمان
ميجيل دي أونافون
غونتر بيد
مجموعة من الكتات
صلاح يحيى قطار
جمال خير صافى
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنطوني جينز
نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
باوير الاسوينكا
كارلوس مجيل
مالك فينرستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بوينو دايستو
فصل مختارة
فرناند جودلي
نفاذ ومقالات
تيغيد روبنسون
بول هيرست وجرافام تومسون
بيرنار كايك
عبد الكريم الخطيب
عبد الوهاب المؤيد
برنولت برنشت
جيرار جينيت
ماريا خيسوس روبييرا أمثي
نخبة
- ت. فؤاد مغني
ت. حسن ناظم وعلى حاكم
ت. حسين بيومي
ت. أحمد بروسى
ت. عبد القدوس عبد الكريم
ت. مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت. أحمد محمود ونورا امير
ت. سعيد العائلى وناصر حلاوى
ت. مكارم القمري
ت. محمد طارق الشراوى
ت. محمود السيد على
ت. خالد المعالي
ت. عبد السيد شحيد
ت. عبد الرزاق بركات
ت. أحمد قنصى يوسف شتا
ت. ماجدة العائلى
ت. إبراهيم السوقي شتا
ت. أحمد زايد ومحمد محسن الدين
ت. محمد إبراهيم حورق
ت. محمد هناء عبد الفتاح
ت. نادية جفال الدين
ت. عبد الوهاب علوب
ت. فوزية العشماوى
ت. سري محمد محمد عبد اللطيف
ت. إينوار الخراط
ت. بشير السباعي
ت. أشرف الصياغ
ت. إبراهيم قنديل
ت. إبراهيم قنصى
ت. رشيد بنصو
ت. عز الدين الكنائى الإنريسي
ت. محمد بتيش
ت. عبد القفار مكارى
ت. عبد العزيز شبيب
ت. أشرف على دعور
ت. محمد عبد الله الجعدي

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الفلسفي مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه جون بولوك وعادل مرويش
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هينغتون
١١٢ - الاحتجاج الهادئ آرلين علوي ماركس
١١٣ - راية التمرد ساسي بلاك
١١٤ - مسرحيات حماد كوني وسكان المستنقع رول شوينكا
١١٥ - غرفة شخص المرء وحده فرجيليا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (ديرة شقيق) سيبثيا لوسون
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام ليلى أحمد
١١٨ - النهضة النسائية في مصر ست بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرين سنبل
١٢٠ - الدولة الفاشية والتغير في الشرق الأوسط ليلى أبو لغد
١٢١ - الليل السقي في كتابة المرأة العربية غاطمة موسى
١٢٢ - نظام العبودية القديم ومردح الإسلام جوزيف فوجت
١٢٣ - مسرحية المشاهدة ومخاطبة المرأة نيكول الكسندر وفناتوليلا
١٢٤ - المجر الكاتب جون جاري
١٢٥ - التحليل الموسيقي سيثريك ثورب ديتلي
١٢٦ - فعل القراءة فولكلنج إيسر
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحي
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيث
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أميس جاروت
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوتير فراك
١٣١ - عصر القنينة (التاريخ التشعالي) مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فينرستون
١٣٣ - الخوف من الحرايا طارق علي
١٣٤ - تشريح حضارة باري ج. كيب
١٣٥ - المختار من نقد م. إليوت (ثلاثة أجزاء) ت. م. إليوت
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كرونو
١٣٧ - منكرات ضابط في الصلة الفرنسية جوزيف ماري ماري
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف إيلينا تاروني
١٣٩ - بارميغال ريشارد فاجنر
١٤٠ - حديث تلقى الأنهار هيريت ميسس
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإنسكتورية : تاريخ وليل آ. م. فيرمستر
١٤٣ - قضيا التفتي في البحث الاجتماعي دوبريك لايدار
١٤٤ - صاحبة الوكانة كارل جولدوني
- ١ - مجموعتي علي مكي
٢ - هاشم أحمد محمد
٣ - منى قطان
٤ - ريهام حسين إبراهيم
٥ - إكرام يوسف
٦ - أحمد حسان
٧ - نسيم مطي
٨ - سميرة رمضان
٩ - نهاد أحمد سالم
١٠ - منى إبراهيم ، وهلة كمال
١١ - ليس النقاش
١٢ - بإشراف / رؤوف عباس
١٣ - نخبة من المترجمين
١٤ - محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٥ - منيرة كروان
١٦ - أنور محمد إبراهيم
١٧ - أحمد غزاد بلبح
١٨ - سمحة الشواش
١٩ - عبد الوهاب علوب
٢٠ - بشير السباعي
٢١ - أميرة حسن نورية
٢٢ - محمد أبو العطا وآخرون
٢٣ - شوقي جلال
٢٤ - لويس بقطر
٢٥ - عبد الوهاب علوب
٢٦ - طلعت الشايب
٢٧ - أحمد محمود
٢٨ - ماهر شفيق فريد
٢٩ - سحر توفيق
٣٠ - كاميليا صبحي
٣١ - وجيه سبحانه عبد المسيح
٣٢ - مصطفى ماهر
٣٣ - أمل التيجوري
٣٤ - نعيم عطية
٣٥ - حسين بيومي
٣٦ - علي السعدي
٣٧ - سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيمور كزوف	كارلوس غوينش	ت : أحمد صان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دي لينس	ت : علي عبد الرؤوف السبي
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تالكريد نورست	ت : عبد الغفار عطاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتمهيد)	إتريكي أشرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي مولي
١٤٩ - النظرية الشعرية عبد البر والونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إس
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليشان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ - ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهند وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد القطامي
١٥٣ - غرام القراءة	فيولن فانك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل زكوت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرمي
١٥٦ - الفلاس الجمالية الكبرى	جس انبال وآلان وأوميت فيرمو	ت : مني القاسمي
١٥٧ - خسرو وشيرين	الطامس الكنجي	ت : عبد العزيز بوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ - ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	تقليد هوكس	ت : إبراهيم فتحي
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيريش	ت : حسن بيومي
١٦١ - من المسرح الإسباني	الخوانيرو كاسوتا وأبلونيو جالا	ت : رفاي عبد العظيم زهران
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الاسوي	ت : صلاح عبد العزيز محبوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع	جورج مارشال	ت : مجموعة من المترجمين
١٦٤ - شامولين (حياة من نور)	جان لاكوتيز	ت : نيل سعد
١٦٥ - حكايات الخطب	أ. ن. أفانا سيف	ت : سمير الصائفة
١٦٦ - العلاقات بين الفنون والفنون في إسرائيل	بشياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - في عالم طافور	راينرانات طافور	ت : شكرى محمد عباد
١٦٨ - مراسلات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عباد
١٦٩ - إبداعات أنبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عباد
١٧٠ - الطريق	مغيل نابيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرائك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - خبز الشمس	مختارات	ت : محمد محمد القطامي
١٧٣ - معنى الجبال	ولتر ث. شين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقلة السوداء	إيليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلس	ت : وجيه سعيان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاد البيئي	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - قطون شحوب	هنري نروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مقالات من الشعر الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات يسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جابوت	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبد الأمير جعدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فستك. ب. لينش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب - بيتس	ت : ياسمين طه حافظ
١٨٣ - جان كوككو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحي العشري
١٨٤ - القاهرة .. حاملة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : نسوقى سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب غلوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرملة	بزرغ علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الفي كورنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام وأعمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - مباحثاته إبراهيم بيك	زين العابدين المزاغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل النجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - محاضرات من النقد الأدبي - لويكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق غريد
١٩٥ - شفاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالتين رامبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شيلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمري وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندواى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حمام
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرى سبيروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جزء ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألفاف حسين جالى	ت : جلال السعيد الحناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زلمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٥٤٨ / ٢٠٠٠



מפרד"ס התנ"ך

מחקרים במקרא

ובתולדות ביקורת המקרא

זלמן שזר

בדומה לזוהי הספר ערש מוגר לטרייך נקד העד העד: הייט יידיא
בוישט עמליה תנייט נטש תורה, וחי עמליה נקדיה קאמ ייחא (עזרא הכותב)
פי אלון החמש קיבל המילא: הייט טמ תדוין תורה מן חלאל עמליה תחזיר
ללואיאת השפוייה, וישיר הכתאב אל הנסח תוראנייה המختلفה ומوقف الفرق
اليهودية من العهد القديم, وعملية البحث عن مؤلفي العهد القديم, وموقف
علماء التلمود من العهد القديم.

وقد أشار المؤلف إلى ازدهار النقد في الأندلس بعد ظهور علوم اللغة
والنحو وتأثير من علوم اللغة العربية, وتناول تطور التفاسير المسيحية للعهد
القديم, وبخاصة عند مارتين لوتر وتلاميذه, كما اهتم بتوضيح دور الفيلسوف
اليهودي سبينوزا في تطوير نقد العهد القديم وإثارته للعديد من المشاكل
النقدية.

وتعرض المؤلف لنظرية المصادر في النقد الغربي للعهد القديم بداية من
أستروك وتحديد المصدرين اليهودي والألوهيمي, وإضافات أيشهورن,
وملاحظات هيردر, وتشعيات إجن المصدريه, وآراء جديس وفيشر ودي-فته,
وتحديد المصادر الأربعة للتوراة, وقد ناقش آراء مدرسة يوليوس فلهاوزن في
تطوير علم نقد العهد القديم, كما تعرض للآراء الحديثة بعد مدرسة فلهاوزن.

وقد اهتم الكتاب بإعطاء ردود الفعل اليهودية تجاه النقد العلمي للعهد
القديم وتصور نقد يهودي حديث بداية من نشأة مدرسة علم اليهودية, ونقد
العهد القديم في الأدبيات العبرية وأهميته أيضا في نشأة نقد العهد القديم في
العصر الحديث.